إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

منهجيات التغيير والإصلاح في جزء عم – دراسة موضوعية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

اسم الطالب: نضال كمال سند

Student's name

التوقيع:

Signature

التاريخ: ٢٠١٥/٩/٧

Date:

الجامعـــــة الإســـــلامية- غـــــزة
شـــــؤون البحـــــث العلمـــــي
والدراســـــــــات العليـــــــــا
كليـــــــة أصـــــــول الـــــــدين
قســـــم التفســـــير وعلـــــوم القـــــرآن

منهجيات الإصلاح والتغيير في جزء عمّ

دراسة موضوعية

Methodologies of Reform and Change In The Light of Juz'o A'amma (Objective Study)

إعداد الباحث

نضال عزمي شنن

إشراف الأستاذ الدكتور

عصام العبد زهد حفظه الله

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٦هـ-٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

ج س غ/35/
الرقم..... Ref
2014/11/16
التاريخ..... Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **نضال عزمي عبدالرازق شنن** لنيل درجة الماجستير في **كلية** ***أصول الدين/*** **قسم التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

منهجيات التغيير والإصلاح في جزء عمّ – دراسة موضوعية

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الأحد 23 محرم 1436هـ، الموافق 2014/11/16م الساعة الثامنة صباحاً بمبنى القدس، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. عصام العبد محمد زهد	**مشرفاً ورئيساً**	.....
أ.د. زكريا إبراهيم الزميلي	**مناقشاً داخلياً**	.....
أ.د. جمال محمود الهوبي	**مناقشاً داخلياً**	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية** ***أصول الدين/*** **قسم التفسير وعلوم القرآن.**

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي و للدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

[هود: ٨٨]

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

[الرعد: ١١]

الإهداء

إلى أحبِّ النَّاس إلى قلبي بعد الله ورسوله ﷺ..أمِّي وأبي اللذين لم يقصرا في حُسن تربيتي، وبذلا الغالي والنفيس من أجلي وأجل إخوتي وأخواتي.. فأسأل الله العظيم أن يُطيل عُمرهما، وأن يمتعهما بالصِّحة والعافية، وأن يوفقهما لكل عمل صالح، وأن يجزيهما عني وعن إخوتي وأخواتي خير الجزاء.

إلى زوجتي الحبيبة، التي صبرت معي على المتاعب، ولم تقصر في الوقوف بجانبي أبداً.

إلى أبنائي الأعزاء عبد الرازق ومرح ومحمد حفظهم الله ورعاهم

إلى إخواني وأخواتي الأعزاء، وأرحامي وأقاربي وأصهاري جميعاً الذين أكنُّ لهم الحب، وأسأل الله أن يوفقهم جميعاً لما يحبُّ ويرضى.

إلى مشايخنا الأجلاء، وعلمائنا الفضلاء.

إلى زملائي العامين في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

إلى جميع إخواني الأعزاء وأصدقائي الأوفياء.

إلى جامعتي الغراء، وأساتذتي الكرام الأجلاء.

إلى كلِّ هؤلاء أهدي هذا البحث.

شُكْرٌ وَتَقدِيرٌ

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمدك ربِّي وأشكرك أن أكرمتني، ويسَّرت لي دراستي، وإتمام بحثي هذا، وأسبغت عليَّ نعمك ظاهرةً وباطنةً، فما بي من نعمةٍ فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر.

ثمَّ شُكري وتقديري وامتناني إلى أستاذي وشيخي، **فضيلة الأستاذ الدكتور/ عصام العبد زهد**، لتفضُّله بقبول الإشراف على هذه الرِّسالة، وقد عايشني فيها خطوةً خطوةً، يُوجِّه ويُسدِّد، ويَنصح ويُرشد، ويُعلِّق ويُفيد، ويَبذُل من وقته وجهده وعلمه، وتشهد على ذلك صفحات الرسالة كلُّها؛ بل وسطورها وكلماتها، وهذا جهد لا يجازيه عليه إلا ربُّه، فجزاه الله عنِّي وعن هذا البحث خير الجزاء، وأوفى له العطاء، وحقَّق له الرَّجاء.

كما وأتقدم بجميل الشكر والعرفان إلى أستاذيَّ الكريمين عضوي لجنة المناقشة:

فضيلة الأستاذ الدكتور: زكريا إبراهيم الزميلي، حفظه الله ورعاه

وفضيلة الأستاذ الدكتور: جمال محمود الهوبي، حفظه الله ورعاه

لتفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث، ولما بذلاه من وقت وجهد في قراءته، وإثرائه بملاحظاتهم السديدة لإخراجه في أحسن صورة.

وأتوجَّه بالشكر الكبير إلى جامعتي الغراء، الصَّرح العلمي الشامخ، الذي نهلت من معينه الصافي، وأخصُّ بالذِّكر كلية أصول الدين، وعمادة الدراسات العليا، والمكتبة المركزيَّة، والأساتذة الكرام جميعاً.

وفي الختام أتوجَّه بالشُّكر والتقدير لكلِّ من أعانني ووجهني ودعا لي بالتوفيق، وأخصُّ منهم: أمي وأبي العزيزين، وزوجتي الغالية، وإخوتي الخمسة _ حفظهم الله _، وأخواتي السِّتة _الحبيبات_، وأعمامي وأخوالي الفضلاء، وعماتي الفضليات، وعدلائي الأحباب، وأصحابي الأعزاء جميعاً، وأصهاري الكرام، وزملائي في العمل في دائرة أوقاف شمال غزة، وأهلي وأحبتي أهل بلدتي الحبيبة النزلة، جزاهم الله جميعاً خير الجزاء.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً، أمَّا بعد:

فإنَّ من أعظم نِعَمِ الله ﷻ علينا أن بعث فينا رسولاً منَّا، يتلوا علينا آياته ويزكينا، ويعلمنا الكتاب والحكمة، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢]؛ أرسله الله رحمة للعالمين، بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيراً، وأنزل عليه خير كتاب، القرآن الكريم، الذي هو المعجزة الخالدة، وحبل الله المتين، يهدي للتي هي أقوم، فيه شفاء ورحمة للمؤمنين؛ فأنَّى للبشرية أن تضل إن هي اهتدت بهدي القرآن؟!، وأنَّى للبشرية أن تهلك إن طلبت النجاة بالقرآن؟!، وأنَّى للبشرية أن تشقى إن طلبت السعادة بالقرآن؟!

وإننا اليوم في زمان بَعُدَ فيه الكثير من الناس عن المنهج القويم، وعن الصراط المستقيم، واتبعوا نظريات ساقطة، أدت بالكثير منهم إلى الوقوع فيما لا يُرضى ربَّنا ﷻ، فما أشدَّ حاجة الناس اليوم إلى منهج قويم يعودوا من خلاله إلى سابق عهدهم، وتنقشع من خلاله هذه الغمامة، وقد جعل الله ﷻ هذا العلاج بين أيدينا، نستقيه من كتاب ربِّنا؛ من منهج القرآن الكريم في الإصلاح والتغيير في كل نواحي الحياة الإنسانية.

والباحث في هذه الدراسة حاول جاهداً أن يتبحر في كتاب الله ﷻ؛ ليقف على منهجيات الإصلاح والتغيير من خلال جزء عمَّ بغية الوصول إلى ما ينفعه وينفع المسلمين.

والله أسأل أن يوفقني والمسلمين إلى الحق وسواء السبيل؛ إنَّه نِعم المولى، ونِعم النصير.

أولاً: أهمية الدراسة:

١- اللجوء إلى الحصن الحصين، والملاذ الأمين، إلى القرآن الكريم، الذي فيه شفاء ورحمة للمؤمنين؛ لنستخلص منه الدواء والعلاج لكل غم وكرب.

٢- عناية القرآن الكريم بموضوع الإصلاح والتغيير، ووضعه للمنهج القويم، الذي من خلاله ينجو العبد من الانحراف عن جادة الصواب.

٣- هذا الموضوع لا يخصُّ وقتاً معيناً؛ بل من خلاله يتأكد للجميع أنَّ القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان.

٤- إنَّ هذا الموضوع يعالج الكثير من المشاكل الواقع فيها المجتمع المسلم.

٥- من خلال منهجيات الإصلاح والتغيير في القرآن الكريم نستطيع أن نرتقي بالمجتمع المسلم من السيئ إلى الحسن، ومن الحسن إلى الأحسن.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

١- الرغبة في الأجر والثواب من الله تعالى من خلال التدبر في كتابه، وإمعان النظر في آياته، واستخراج الفوائد والإرشادات منه.

٢- خدمة كتاب الله ﷻ من خلال التدبر في فيه، وإمعان النظر في آياته، واستخراج الفوائد والإرشادات منه.

٣- الرغبة في الوقوف على ما أداوي به نفسي أولاً، وأهلي وعامَّة المسلمين ثانياً من الانحراف عن المنهج القرآني الذي لا نجاة للعبد إلا من خلال الالتزام به.

٤- ما نجده اليوم من عزوف كثير من الناس عن كتاب ربِّهم الذي فيه دواء لعللهم، وبدلاً من النهل من معينه الصافي ترى بعضهم يلهث وراء نظريات للغرب لا تمت _في كثير من الأحيان_ للإسلام بصلة.

٥- تشجيع مشرفي الأستاذ الدكتور عصام العبد زهد _ حفظه الله _ لطرح موضوع قرآني تعود الفائدة من خلاله على عامَّة المسلمين.

ثالثاً: أهداف الدراسة:

١- إخراج بحث قرآني موضوعي يتناول منهجيات الإصلاح والتغيير من خلال جزء عمَّ بشكل متكامل.

٢- تسليط الضوء على المنهج الرَّباني في تناول موضوع الإصلاح والتغيير من كلِّ جوانبه.

٣- العمل على استنباط العلاجات القرآنية الربانية للمشاكل الواقع فيها المسلون، وذلك من خلال منهجيات الإصلاح والتغيير في جزء عمَّ.

٤- ربط الموضوع بواقع المسلمين في هذا العصر، ومحاولة الإفادة من هذه الدراسة بصورة عملية، وذلك من خلال استنباط الحلول لقضايانا، والعلاج لمشاكلنا بما يُخفف آلامنا ومصائبنا، ويُهدئ من روعنا.

رابعاً: الدراسات السابقة:

موضوع الدراسة هو عبارة عن سلسلة علمية يُشرف عليها قسم التفسير وعلوم القرآن في الجامعة الإسلامية بغزة، قُسمت من خلاله سور القرآن الكريم على عدد من الباحثين؛ ليقوموا بإبراز منهجيات القرآن الكريم في الإصلاح والتغيير، فكان من نصيبي جزء عمَّ _والحمد لله ربِّ العالمين_ لأكون جزءاً من هذا الصرح العلمي النافع.

خامساً: منهج الدراسة:

اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي حسب منهجية التفسير الموضوعي، ثمَّ المنهج التحليلي الاستنباطي وذلك حسب ما يلي:

١- تناول جميع سور جزء عمَّ _من سورة النبأ حتى سورة الناس_ بدراسة موضوعية لاستنباط منهجيات الإصلاح والتغيير من خلال هذا الجزء.

٢- الرجوع إلى كُتُب اللغة والمعاجم، للوقوف على معاني المصطلحات الواردة في الدراسة ودلالاتها اللغوية.

٣- التركيز على جانب التفسير الموضوعي، مع عدم إغفال التفسير التحليلي لآيات الدراسة إن اقتضت الحاجة.

٤- الرُّجوع إلى كتب التفسير بالمأثور وبالرأي، القديم منها والحديث؛ للوقوف على معاني الآيات وأقوال أهل العلم فيها، مع مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق، وذكر المراجع في الحاشية، مبتدأ بذكر اسم الكتاب، ثم المؤلف، ثم الجزء والصفحة، وترك بقية المعلومات عن الكتاب إلى فهرس المراجع.

٥- تقسيم الدراسة _ حسب الآيات المتعلقة بها _ إلى فصول ومباحث ومطالب، ووضع العناوين المناسبة لكل منها حسب ما هو مناسب.

٦- الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة التي لها علاقة بمباحث الدراسة، وتخريجها من مصادرها، ونقل حكم العلماء عليها، وذلك كما يلي:

_ إذا كان الحديث مُخَرَّجاً في الصحيحين، اكتفى الباحث بعزوه إليهما، مع ذكر الكتاب والباب ورقم الحديث.

_ إذا كان الحديث مُخَرَّجاً في غير الصحيحين من كتب السنن ومصنفات الحديث، يقوم الباحث بتخريج الحديث من هذه المصادر مع ذكر حكم بعض العلماء عليه.

_ عدم الاستدلال بالأحاديث الضعيفة.

٧- ذكر تراجم للأعلام غير المشهورين، وذلك من المصادر المختصة في ذلك.

٨- عمل الفهارس اللازمة،التي تخدم الدراسة بشكل يسهل الوصول للمعلومة.

سادساً: خطة البحث:

وتحقيقا لهدف البحث وغايته، فقد قسم الباحث الدراسة إلى: مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وذلك كما يلي:

المقدمة

وتشتمل على:

أهمية الموضوع، و أسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج الباحث، وخطة البحث.

التمهيد

ويشتمل على:

أولاً: المقصود بالمنهج لغة واصطلاحا.

ثانياً: المقصود بالإصلاح لغة واصطلاحاً.

ثالثاً: المقصود بالتغيير لغة واصطلاحً.

رابعاً: أهمية الإصلاح والتغيير.

الفصل الأول

بين يدي سور جزء عمَّ

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسماء سور جزء عمَّ، وعدد آياتها، وفضلها، ونزولها.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسماء سور جزء عمَّ، وبيان مكيها ومدنيها.

المطلب الثاني: ترتيب سور الجزء، وعدد آياتها.

المطلب الثالث: فضائل سور جزء عمَّ.

المبحث الثاني: المناسبات في سور جزء عمَّ.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المحور الرئيس لسور جزء عمَّ.

المطلب الثاني: علاقة سور جزء عمَّ بالمحور الرئيس.

المطلب الثالث: المناسبات بين سور جزء عمَّ.

المبحث الثالث: مقاصد سور جزء عمَّ.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المراد بالمقاصد، وبيان أهميتها.

المطلب الثاني: مقاصد سور جزء عمَّ.

الفصل الثاني

منهجيات الإصلاح والتغيير في جزء عمَّ

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الإصلاح والتغيير العقدي.

وفيه اثنا عشر مطلباً:

المطلب الأول: بيان وحدانية الله ﷻ وبعض صفاته.

المطلب الثاني: الأدلة على قدرة الله ﷻ.

المطلب الثالث: إثبات حقيقة البعث.

المطلب الرابع: بيان أهوال يوم القيامة.

المطلب الخامس: الحديث عن مصير المؤمنين والكافرين.

المطلب السادس: بيان فوز مَن جمع بين الإيمان والعمل الصالح.

المطلب السابع: إثبات الميزان والحساب.

المطلب الثامن: الحديث عن الملائكة وبيان بعض مهامهم.

المطلب التاسع: القسم على صدق النبي ﷺ وصدق ما جاء به.

المطلب العاشر: البراءة من الكفر وأهله.

المطلب الحادي عشر: صدق الالتجاء إلى الله ﷻ.

المطلب الثاني عشر: الدعوة للتفكر في نعم الله ﷻ.

المبحث الثاني: الإصلاح والتغيير الدعوي.

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: الهداية بيد الله تعالى وحده.

المطلب الثاني: الحث على الصبر والتضحية والجد والاجتهاد في سبيل الدعوة.

المطلب الثالث: عدم الالتفات إلى المغرضين.

المطلب الرابع: النهي عن الإعراض عن الضعفاء.

المطلب الخامس: تسلية الدعاة.

المطلب السادس: بيان مصير من لم ينتفع بدعوة الأنبياء.

المطلب السابع: الوعيد لمن صدَّ عن سبيل الله ﷻ.

المطلب الثامن: بيان شرف الجهاد من أجل نصرة الدعوة.

المبحث الثالث: الإصلاح والتغيير التربوي والأخلاقي.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: بيان حقيقة الإنسان وصفاته.

المطلب الثاني: الحث على تزكية النفس وعدم إهمالها.

المطلب الثالث: الدعوة إلى العلم.

المطلب الرابع: استخدام أسلوب الترغيب والترهيب.

المطلب الخامس: الجزاء من جنس العمل.

المطلب السادس: العبرة بفناء الأمم السابقة.

المبحث الرابع: الإصلاح والتغيير الاجتماعي.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحث على الرفق باليتامى والمساكين.

المطلب الثاني: دور الأمن في الإصلاح الاجتماعي.

المطلب الثالث: التكافل الاجتماعي.

المبحث الخامس: الإصلاح والتغيير التشريعي.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإصلاح في جانب العبادات.

المطلب الثاني: الإصلاح في جانب المعاملات.

الخاتمة

وتشتمل على:

أولاً: أهم النتائج.

ثانياً أهم التوصيات.

الفهارس

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤- فهرس المصادر والمراجع.

٥- فهرس الموضوعات.

التمهيد

ويشتمل على ما يأتي:

أولاً: المقصود بالمنهج لغة واصطلاحاً.

ثانياً: المقصود بالإصلاح لغة واصطلاحاً.

ثالثاً: المقصود بالتغيير لغة واصطلاحاً.

رابعاً: أهمية الإصلاح والتغيير.

أولاً: المقصود بالمنهج لغة واصطلاحاً

١- تعريف المنهج في اللغة:

عند الرجوع إلى كتب اللغة والمعاجم نجد أن مادة (نَهَجَ) تطلق في الغالب على الطريق الواضح البين [١]، ويقال: نهج فلان الطريق أي سلكه و سار فيه ، والمنهج هو كل طريق واضح [٢]، ونَهَجَ الطريق أَبانه وأَوضحه [٣]

وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨][٤]، والمراد بالمنهاج في الآية: الطريق المستمر والبين [٥]، ويأتي المنهج أيضاً بمعنى: الخطة المرسومة [٦]، والجمع مناهج [٧].

مما سبق يتضح لنا أنَّ المنهج يطلق في اللغة على كلِّ طريق واضح بيِّن يسلكه السالك دون تعثُّر، وكذلك يطلق المنهج على الطريقة المتبعة الواضحة الجلية، وكذلك أيضاً الخطة المرسومة المتبعة من قبل سالكها، فالمنهج إذاً يطلق على الطريق المادي الذي يسار عليه وكذلك على الطريقة المعنوية المتبعة.

٢- المقصود بالمنهج اصطلاحاً:

ليس هناك تعريف اصطلاحي واحد لمصطلح المنهج؛ وإنما هناك تعريفات مختلفة حسب العلم الذي يستخدم هذا المصطلح، فكل علم من العلوم له منهجه الخاص به؛ ولكن يمكن أن نخلص إلى بعض هذه التعريفات الاصطلاحية، فمن ذلك:

المنهج: هو الطريق الذي يؤدي إلى التعرف على الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة، وهي التي تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة[٨].

---

(١) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف _ المناوي _ ٦٨١/١.

(٢) القاموس المحيط _ الفيروزآبادي _ ص ٢٦٦.

(٣) مختار الصحاح _ الرازي _ ص٦٨٨.

(٤) المحكم والمحيط الأعظم _ ابن سيده المرسي _ ١٧١/٤، تاج العروس من جواهر القاموس_محمد الحسيني _ ٢٥١/٦، لسان العرب _ ابن منظور _ ٤٥٥٤/٦.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٢٠٩/٦

(٦) انظر: المعجم الوسيط _ مجمع اللغة العربية _ ٩٥٧/٢.

(٧) انظر: مقاييس اللغة _ ابن فارس _ ٣٦١/٥.

(٨) انظر: العلم والبحث العلمي دراسة في مناهج العلوم _ إحسين عبد الحميد رشوان _ ص١٤٣.

والمنهج: هو القانون والقاعدة التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية، وفي أي مجال من الدراسة [١].

والمنهج أيضاً: أسلوبٌ ومسلكٌ ومذهبٌ وطريقةٌ منظمةٌ تقوم على جمع المعلومات بالملاحظة والتجريب، وصياغة الفرضيات واختبارها [٢].

ومن خلال النظر في هذه التعريفات وفي غيرها من التعريفات الاصطلاحية، وبالوقوف على التعريفات اللغوية أيضاً يرى الباحث أنَّه يمكن أن يُعرَّف المنهج تعريفاً اصطلاحياً يتناسب مع موضوع الدراسة، وذلك بأن يُعرَّف بأنَّه: الطريق الواضح، والإطار المحكم، والخطة المرسومة المتبعة من قبل سالكها للوصول إلى غاية منشودة.

ثانياً: المقصود بالإصلاح لغة واصطلاحاً

١- تعريف الإصلاح في اللغة:

بالنظر في كتب اللغة والمعاجم نجد أنَّ الإصلاح مأخوذ من جذر الفعل الثلاثي (صلح)، وهو مقابل فسد، والصلاح ضد الفساد، والإصلاح ضد الإفساد [٣]، "ويُقال أصلحه: أي هذَّبه" [٤]، ورجلٌ صالح في نفسه، ومصلح في أعماله وأموره، ويُقال: أصلحت إلى الدابة أي: أحسنت إليها [٥].

أمَّا الصلح والمصالحة فهي خلاف المخاصمة والتخاصم، ويُراد بها إزالة الخلاف والتنافر بين الناس، فيقال: اصطلحوا وتصالحوا [٦].

وقد ورد الصلاح في القرآن الكريم مقابلاً للفساد تارة، ومقابلاً للسيئة تارة أخرى، قال سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢]، وقد قال سبحانه وتعالى في سياق بيان حسن ثواب الله للمؤمنين: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢] [٧]

إذاً فالإصلاح هو تغيير الحال من السيئ إلى الحسن، ومن الإعوجاج إلى الاستقامة.

---

(١) انظر: منهج البحث العلمي عند العرب _ جلال عبد الحميد موسى _ ص٢٧١.

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة _ أحمد مختار _ ١٣٩٨/٢

(٣) انظر: القاموس المحيط _ الفيروزآبادي _ ص٢٩٣، المحكم والمحيط الأعظم _ ابن سيده _ ١٥٢/٣.

(٤) تاج العروس _ محمد الحسيني _ ٣٨٥/٤.

(٥) كتاب العين _ الفراهيدي _ ١١٧/٣

(٦) انظر: المفردات في غريب القرآن _ الراغب الأصفهاني _ ص ٤٨٩.

(٧) انظر: مفاتيح الغيب _ الرازي _ ٣٢/٢٨.

٢- تعريف الإصلاح في الاصطلاح:

ذكر العلماء تعريفات كثيرة لمصطلح الإصلاح؛ وهي تعريفات متقاربة في معناها ومضمونها، ونذكر من هذه التعريفات ما يأتي:

الإصلاح: هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله واستقامته، وذلك بإزالة ما طرأ عليه من الفساد [١]

وقد جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية تعريف جميل لمصطلح الإصلاح؛ حيث عُرِّف بأنه: "التغيير إلى استقامة الحال على ما تدعو إليه الحكمة، ولا يخرج استعمال الفقهاء عن هذا المعنى، ومن هذا التعريف يتبين أنَّ كلمة إصلاح تطلق على ما هو مادي، وعلى ما هو معنوي، فيُقال: أصلحت العمامة، وأصلحت بين المتخاصمين" [٢].

وقيل أيضاً في تعريف الإصلاح: كل تغيير إلى الأحسن؛ سواء كان للفرد أو الأسرة أو المجتمع، أو الدولة، أو الأمة [٣].

وبعد هذه التعريفات يرى الباحث أنَّه يمكن أن يُعرَّف الإصلاح بأنَّه: كلُّ تقويم، وكلُّ تصحيح، وكل إزالة للفساد في أي أمر من الأمور؛ سواء كان ذلك على مستوى الفرد، أو على مستوى الجماعة، أو على مستوى الأمة، سواء كان ذلك في الجانب المعنوي، أو الجانب المادي.

ثالثاً: المقصود بالتغيير لغة واصطلاحاً

١-تعريف التغيير في اللغة:

يُطلق التغيير في اللغة على انتقال الشيء من حالة إلى أخرى، وتغيير الشيء أي تحويله وتبديله، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنفال: ٥٣][٤].

والتغيير هو: إحداث شيء لم يكن قبل ذلك، ويُقال: غيرت الشيء تغييراً أي أزلته عما كان عليه؛ فتغير وتبدل [٥].

---

(١) انظر: القاموس الفقهي _ سعدي أبو حبيب _ ٢١٥/١.

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية _ وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية بالكويت _ ٦٢/٥.

(٣) هذا التعريف من مقال بعنوان: ضوابط التغيير والإصلاح في الفقه الإسلامي للدكتور صلاح سلطان، من موقع الدكتور على الشبكة العنكبوتية.

(٤) انظر: تاج العروس _ محمد الحسيني _ ١٨٦/١٣، لسان العرب _ ابن منظور _ ٣٣٢٥/٥.

(٥) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف _ المناوي _ ص٨٨، التعريفات _ الجرجاني _ ص٨٧، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير _ أحمد الفيومي _ ٤٥٩/٢.

٢- تعريف التغيير في الاصطلاح:

ورد في الموسوعة الفقهية الكويتية أنَّ التبديل والإبدال والتغيير بمعنى واحد، وهو أن يجعل مكان الشيء شيئاً آخر، أو تُحوَّل صفته إلى صفة أخرى [١].

والتغيير الإسلامي هو: "نقض أسس المجتمع الجاهلي التشريعية والفكرية، وإحلال أفكار الإسلام ومبادئه وتشريعاته مكانها، وتحقيق تعبيد الناس لله ﷻ في كافة شؤونهم الخاصة والعامة، وأن يكون ولاء المجتمع شعباً وحاكماً لله رب العالمين، وهو تغيير جذري كلي للكيانات الجاهلية، وليس ترقيعاً لها، أو إصلاحاً لجانب من جوانبها" [٢].

الخلاصة: وبعد هذه التعريفات كلها يخرج الباحث بتعريف شامل لمنهج القرآن الكريم في الإصلاح والتغيير، وهو: الطريقة الواضحة البينة التي سلكها القرآن الكريم في تحسين حال وواقع الناس والإنسانية جميعاً، وإخراجها من الظلمات إلى النور، وهدايتها لما يُصلح حالها في الدنيا والآخرة، وذلك من خلال ما جاء به الكتاب العزيز من أحكام وتشريعات وتوجيهات حكيمة ينصلح بها حال الناس إلى قيام الساعة، وهذا ما سيُحاول الباحث جاهداً الوقوف عليه من خلال دراسته التطبيقية لسور جزء عمَّ، والله المستعان، وعليه التكلان.

رابعاً: أهمية الإصلاح والتغيير

إنَّ المتأمل لتعاليم الإسلام التي تصبُّ كلها في إصلاح الناس وتغيير حالهم من الجاهلية المظلمة إلى نور الإسلام الحنيف يقف على أهمية الإصلاح والتغيير في الإسلام؛ فالإصلاح والتغيير إلى الأحسن هو صلب الإسلام وجوهره وأساسه المتين، وما بعث الله ﷻ الرسل عليهم السلام جميعاً وختمهم بمحمد ﷺ إلا من أجل أن يُصلحوا ويغيروا حال الناس.

والذي يدرس القرآن الكريم يجد أنَّ آياته الكريمة في الغالب المقصد منها هو تغيير حال الناس بإصلاحهم وإرشادهم إلى الطريق المستقيم؛ بل إنَّ من أعظم فرائض الإسلام الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وذلك هو عمل الأنبياء والرسل، وهذا هو أساس الإصلاح التغيير.

وقد جعل الله ﷻ الخيرية لهذه الأمة بهذه المهمة؛ مهمة الإصلاح والتغيير، وذلك من خلال الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[آل عمران: ١١٠].

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية _ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية _ الكويت _ ٢٩٦/١٠.

(٢) الشباب والتغيير _ فتحي يكن _ ص١٨.

بل إنَّ كل أمر ونهي جاء في القرآن الكريم كان المقصد منه الإصلاح والتغيير، وهذا ما أشار إليه ابن تيمية حيث قال: "كفى المؤمن أن يعلم أنَّ ما أمر الله به فهو لمصلحة محضة أو غالبة، وما نهى الله عنه فهو مفسدة محضة أو غالبة، وأنَّ الله لا يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليهم، ولا نهاهم عما نهاهم بخلاً به عليهم؛ بل أمرهم بما فيه صلاحهم، ونهاهم عما فيه فسادهم؛ ولهذا وصف نبيه ﷺ بأنَّه ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾[الأعراف: ١٥٧] " [١].

فهل الأمر بالتوحيد وهداية الناس إلى العقيدة الصافية إلا إصلاح للعقائد الشركية الفاسدة؟! وهل شرائع الإسلام وتكاليفه إلا إصلاح وتغيير لما كانت عليه الجاهلية من فساد تشريعي؟! وهل الآداب والأخلاق التي حثَّ عليها الدين الحنيف إلا إصلاح وتغيير لأخلاق الجاهلية الفاسدة بمجملها؟!

فالأمر بالعفة والستر وتحريم الزنا والتبرج والأمر بالكسب الحلال، وتحريم أكل الربا، والأمر بالعدل والإحسان، وتحريم الظلم والظغيان ... كل ذلك كان المقصد منه الإصلاح والتغيير إلى ما فيه صلاح البشرية جمعاء.

والسنة النبوية، وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي_ جاءت كذلك بكل ما فيه إصلاح للفرد والمجتمع والبشرية جميعاً، وهذا رسول الله ﷺ يأمر المسلمين بالعمل الجاد على الإصلاح والتغيير؛ حيث قال ﷺ: **(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)** [٢].

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: " وقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر للأمة منه علماً، وعلمهم كل شيء حتى آداب التخلي، وآداب الجماع والنوم، والقيام والقعود، والأكل والشرب، والركوب والنزول، والسفر والإقامة، والصمت والكلام، والعزلة والخلطة، والغنى والفقر، والصحة والمرض، وجميع أحكام الحياة والموت، ووصف لهم العرش والكرسي، والملائكة والجن، والنار والجنة، ويوم القيامة وما فيه حتى كأنه رأي عين، وعرَّفهم معبودهم وإلاههم أتمَّ تعريف..."[٣].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية _ ٩١/٢٧.

(٢) رواه مسلم في صحيحه _ كتاب الإيمان _ باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان _ ٥٠/١ _ ح١٨٦.

(٣) إعلام الموقعين _ ٣٧٥/٤.

أفيعلمنا رسول الله ﷺ آداب الخلاء والنوم ويترك أموراً من الإصلاح والتغيير تتعلق بأمن المجتمعات، وبمصالح الجماعات، وبحقن الدماء والأعراض لا يبينها لنا؟! هذا لا يمكن أن يقع في هذه الشريعة الإسلامية الكاملة.

وبذلك نستطيع أن نقول إنَّ الإسلام كله تغيير وإصلاح، وهذا يبين مدى أهمية الإصلاح والتغيير في كل عصر وفي كل مصر؛ فلا غنى للناس عمَّا فيه إصلاح حالهم، وتغيير فسادهم.

الفصل الأول

بين يدي سور جزء عمَّ

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسماء سور جزء عمَّ وعدد آياتها وفضلها ونزولها.

المبحث الثاني: المناسبات في سور جزء عمَّ.

المبحث الثالث: محاور سور جزء عمَّ ومقاصدها.

المبحث الأول

أسماء سور جزء عمَّ وعدد آياتها وفضلها ونزولها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسماء سور جزء عمَّ، وبيان مكيها ومدنيها.

المطلب الثاني: ترتيب سور الجزء وعدد آياتها.

المطلب الثالث: فضائل سور جزء عمَّ.

جزء عمَّ هو الجزء الأخير من أجزاء القرآن الكريم حسب ترتيب المصحف الشريف، ويحتوي هذا الجزء على سبعٍ وثلاثين سورة، معظمها من قصار السور، يبدأ هذا الجزء بسورة النبأ والتي تسمى بسورة عمَّ لبدايتها بقول المولى ﷻ : ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾[النبأ: ١] ، ولقد سُمي جزء عمَّ بهذا الاسم لابتدائه بهذه السورة.

ولا شكَّ أنَّ سور هذا الجزء لها أهمية كبيرة لكلِّ مسلم؛ فغالباً ما يُقرأ بها في الصلوات، ويحفظها الصغير والكبير، وتُدرَّس للنشء في المدارس، ويتلوها المسلمون في كثيرٍ من أوقاتهم، لذا كان لزاماً على كلِّ مسلم أن يتعلم معاني هذه السور، وما اشتملت عليه من أحكام وتعاليم ربانيَّة حكيمة، وكان لزاماً على كلِّ داعية أن لا يغفل عن تعليم الناس تفسير هذه السور العظيمة، كثيرة الخير والبركة.

لذا أفرد الباحث الفصل الأول من دراسته لوضع مقدمة تعريفية لكلَّ سورة من سور الجزء، تشتمل على ذكر أسماء السور، وترتيب نزولها، وفضائلها، والجو الذي نزلت فيه، وهذا ما سيتناوله الباحث في المبحث الأول من هذا الفصل _ إن شاء الله ﷻ _

وفي المبحث الثاني سيتناول الباحث موضوع المناسبات بين سور الجزء، وفي المبحث الأخير تناول الباحث محاور سور الجزء ومقاصدها، والله المستعان والموفق.

المطلب الأول

أسماء سور جزء عمَّ وبيان مكيها ومدنيها

من المعلوم أنَّ لكلِّ سورةٍ من سور القرآن الكريم اسماً تعرف به السورة، وهو ما اشتهرت به، وهو توقيفي لا اجتهاد فيه، ثابت بالسنة والآثار[١] ، وقد يكون للسورة الواحدة اسم واحد، وقد يكون لها اسمان، وقد يكون لها ثلاثة أسماء، وقد يكون لها أكثر من ذلك [٢]، وهذه الأسماء المتعددة للسورة الواحدة منها ما هو توقيفي بوحي من الله ﷻ، ومنها ما هو اجتهادي اجتهد به العلماء والمفسرون حسب ما ورد في السور من موضوعات أو كلمات انفردت بها السورة دون غيرها من السور.

وفي هذا المطلب سيذكر الباحث ما لكلِّ سورة من سور جزء عمَّ من أسماء توقيفية أو اجتهادية إن وجد ذلك.

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن _ السيوطي _ ٣٤٧/٢

(٢) المرجع السابق _ ٢٦٩/١

١- **سورة النبأ:** وهي مكية كلها بإجماع[١]، وهذا اسمها الذي اشتهرت به، وتسمى أيضاً سورة عمَّ لابتدائها بهذا اللفظ [٢]، وتسمى أيضاً بسورة عمَّ يتساءلون، وبسورة المعصرات ، وبسورة التساؤل؛ وذلك لورود هذه الألفاظ فيها [٣]، واقتصر صاحب الإتقان على ذكر أربعة أسماء للسورة، وهي: عمَّ والنبأ والتساؤل والمعصرات.[٤]

قال ابن عاشور: " سميت هذه السورة في أكثر المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة بسورة النبأ لوقوع كلمة (النبأ) في أولها، وسميت في بعض المصاحف بسورة عم يتساءلون، تسمية لها بأول جملة فيها، وتسمى سورة التساؤل لوقوع ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾في أولها، وتسمى سورة المعصرات؛ لقوله تعالى فيها : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾[النبأ: ١٤] ، فهذه خمسة أسماء " لسورة النبأ [٥]

٢- **سورة النازعات:** وفي كثيرٍ من كتب التفسير تسمى بـ (والنازعات) بإثبات الواو على حكاية أول ألفاظها، قال الزحيلي: " سميت سورة النازعات لافتتاحها بالقسم الإلهي بالنازعات وهم الملائكة الذين ينزعون أرواح بني آدم، إما بيسر وسهولة وهم المؤمنون، وإما بعسر وشدة وهم الكفار " [٦]

وقد ذكر بعض المفسرين أنَّ لها أسماء أخرى كالساهرة والمدبرات لوقوع هذه الألفاظ فيها [٧]، وهذه أسماء اجتهادية، وهي مكية بإجماع [٨].

٣- **سور عبس:** وهي مكية [٩] سميت بهذا الاسم لافتتاحها بهذا الوصف البشري المعتاد الذي تقتضيه الجبلّة الإنسانية، ويغلب على الإنسان حينما يكون مشغولاً بأمر مهم، ثم يطرأ عليه أمر

---

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز _ ابن عطية _ ٤٢٣/٥ ، زاد المسير _ ابن الجوزي_ ٣/٩

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ١٦٩/١٩ ، لباب التأويل في معاني التنزيل _ الخازن _ ١٩٩/٧

(٣) انظر: التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٢٤٥/١٥ ،

(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن _ السيوطي _ ٣٦٦/٢

(٥) التحرير والتنوير _ ٥/٣٠

(٦) التفسير المنير _ ٣٠/٣٠

(٧) انظر: التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٥٩/٣٠، التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٢٦١/١٥

(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ١٩٠/١٩ ، بحر العلوم _ السمرقندي _ ٥١٩/٣.

(٩) انظر: مفاتيح الغيب _ الرازي _ ٥٠/٣١ ، البحر المحيط _ أبو حيان _ ٤١٧/٨.

آخر لصرفه عن الأمر السابق، ومع ذلك عوتب النبي ﷺ على عبوسه تسامياً لقدره، وارتفاعاً بمنزلته [١]

وتسمى أيضاً سورة (الصاخة)، وسورة (السفرة)؛ لوقوع هذه الألفاظ فيها، وتسمى بسورة الأعمى نسبة لذكر ابن أم مكتوم فيها [٢]

٤- **سورة التكوير**: سميت سورة التكوير، لافتتاحها بقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾[التكوير:١]أي جمع بعضها إلى بعض، ثم لفّت، فرمى بها، ومُحي ضوؤها [٣] وتسمى سورة (كورت) بحكاية لفظ وقع فيها، وعنونها الطبري بسورة إذا الشمس كورت [٤]، وهي مكية [٥].

٥- **سورة الانفطار**: وسمت في بعض التفاسير سورة إذا السماء انفطرت، وتسمى أيضاً سورة انفطرت وسورة المنفطرة [٦] ، وهي مكية [٧]

٦- **سورة المطففين**:قال النسفي وغيره أنها نزلت في سفر الهجرة قبل دخوله ﷺ المدينة، فهي مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل، ومدنية في قول الحسن وعكرمة [٨]، ولعل الراجح أنها مكية، وهي أخر سورة نزلت بمكة [٩] سميت بهذا الاسم لافتتاحها بقوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾[المطففين:١] وهم الذين يبخسون المكيال بالزيادة لأنفسهم والنقصان لغيرهم، وسميت في بعض التفاسير بسورة (التطفيف) [١٠]

---

(١) التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٥٦/٣٠

(٢) انظر: التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ١٠١/٣٠ ، التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٢٨١/١٥

(٣) انظر: التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٧٩/٣٠

(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن _ الطبري _ ٢٣٥/٢٤

(٥) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم _ أبو السعود _ ١١٤/٩

(٦) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني _ الألوسي _ ٦٢/٣٠، التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ١٦٩/٣٠

(٧) انظر: إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر (منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءت) _ شهاب الدين الدمياطي _ ص ٥٧٥.

(٨) انظر الإتقان في علوم القرين _ السيوطي _ ١٣٥/١ ، الجامع لأحكام القرآن _القرطبي _ ٢٥٠/١٩

(٩) انظر الكشاف _ الزمخشري _ ٣٣٣/٦

(١٠) التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ١١٠/٣٠ ، التحرير و التنوير _ ابن عاشور _ ١٨٧/٣٠

٧- **سورة الانشقاق:** وهي من السور المكية بلا خلاف [١] سميت بهذا الاسم لابتدائها بقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾[الانشقاق١] أي تشققت وتصدعت [٢]

وفي الكثير من كتب التفاسير تسمى بسورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ حكاية لأول جملة في السورة وكذلك سماها السيوطي في الإتقان [٣]

٨- **سورة البروج:** سورة مكية [٤] سميت بهذا الاسم لافتتاحها بالقسم الإلهي بالسماء ذات البروج، والبروج هي الكواكب السيارة في السماء [٥]

وفي الكثير من كتب التفسير تسمى بسورة (السماء ذات البروج) [٦]

٩- **سورة الطارق:** سورة مكية [٧] سميت بالطارق وذلك للقسم الذي أقسمه الله ﷻ في مطلعها في قوله تعالى : ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾[الطارق: ١] والطارق هو النجم الذي يظهر بالليل، وفي بعض كتب التفسير تسمى بسورة (السماء والطارق) [٨]

١٠- **سورة الأعلى:** هي سورة مكية في قول الجمهور [٩] سميت بسورة الأعلى لبدايتها بقوله ﷻ : ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[الأعلى: ١] أي تنزيه الله ﷻ عن كل نقص، ووصفه بكل صفات الكمال ، فهو أعلى من كل شيء في الوجود، وتسمى أيضاً بسورة سبح ، وتسمى أيضاً بسورة (سبح اسم ربك الأعلى) [١٠] .

---

(١) انظر: تفسير النسفي _ ٥٠٠/٤ ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني _ الألوسي _ ٧٨/٣٠

(٢) انظر التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٢١٧/٣٠

(٣) انظر التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٢١٧/٣٠ ، التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٣٣١/١٥

(٤) انظر: بحر العلوم _ السمرقندي _ ٥٤١/٣

(٥) التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ١٥١/٣٠

(٦) انظر التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٢٣٦/٣٠ ، التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٣٤١/١٥

(٧) انظر الجامع لأحكام القرآن الكريم _ القرطبي _ ١/٢٠

(٨) انظر التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ١٧١/٣٠ ، التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٢٥٧/٣٠

(٩) الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ١٣/٢٠

(١٠) انظر التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ١٨٧/٣٠ ، التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٣٦٠/١٥

١١- **سورة الغاشية:** سورة مكية بلا خلاف [١] سميت بهذا الاسم لافتتاحها بقولهﷻ : ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾[الغاشية: ١] والغاشية اسم من أسماء يوم القيامة ، وتسمى سورة (هل أتاك حديث الغاشية) [٢] .

١٢- **سورة الفجر:** سورة مكية [٣] سميت بالفجر لافتتاحها بقسمه ﷻ بالفجر في قوله تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾[الفجر:١] والفجر هو وقت بزوغ ضوء الصبح [٤] .

١٣- **سورة البلد:** سميت هذه السورة بسورة البلد لأن الله ﷻ أقسم في بدايتها بالبلد الحرام مكة المكرمة وذلك في قوله تعالى:﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾[البلد:١] هذا القسم فيه تشريف وتعظيم للبلد الحرام مكة المكرمة [٥] .

١٤- **سورة الشمس:** وهي من السور المكية دون خلاف [٦] ، وسميت بهذا الاسم لقسمه ﷻ في بداية السورة بالشمس ، قال ﷻ:﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾[الشمس:١] وفي معظم التفاسير سميت (سورة الشمس) بدون واو، وعنونها ابن كثير في تفسيره بقوله: تفسير سورة (والشمس وضحاها) بإثبات الواو [٧].

١٥_ **سورة الليل:** وهي من السور المكية [٨]، سميت سورة الليل لافتتاحها بقسمه ﷻ بالليل، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾[الليل: ١] أي يغطي الكون بظلامه [٩].

١٦- **سورة الضحى:** وهي من السور المكية [١٠]، وسميت بهذا لافتتاحه بقسمه ﷻ بالضحى وذلك في قوله ﷻ : ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾[الضحى:١] وهو أول النهار حيث بزوغ النور [١١]

---

(١) انظر: الكشاف _ الزمخشري _ ٣٦٢/٦

(٢) انظر التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٣٠٢/٣٠

(٣) انظر: اللباب في علوم الكتاب _ ابن عادل _ ٣٠٧/٢٠

(٤) انظر التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٢٢١/٣٠

(٥) انظر التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٣٠ /٢٤٢

(٦) تفسير الفخر الرازي _ الرازي _ ٤٧٥٧/١

(٧) انظر التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٣٦٥/٣٠ ، التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٤٠٩/١٥

(٨) الدر النثور _ السيوطي _ ٥٣٢/٨

(٩) التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٢٦٦/٣٠

(١٠) الدر المنثور _ السيوطي _ ٥٣٩/٨

(١١) انظر التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٢٧٩/٣٠

١٧- **سورة الشرح:** وهي من السور المكية [١] ، وسميت بسورة الشرح ، والانشراح، وفي بعض التفاسير بسورة الم نشرح، وذلك لأن السورة في مطلعها تخبرنا عن شرح صدر النبي ﷺ وتنويره بالهدى و الإيمان والحكمة، وهذا في قوله ﷻ : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[الشرح:1] [٢] .

١٨-**سورة التين:** سورة من السور المكية [٣]، سميت بهذا الاسم لافتتاحها بقسمه ﷻ بالتين والزيتون، قال الله ﷻ : ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾[التين:١] , وهذا فيه دلالة واضحة على المنافع والخيرات الكثيرة التي أودعها الله ﷻ في التين والزيتون ، وسميت السورة أيضاً في الكثير من كتب التفسير بسورة (والتين) بإثبات الواو حكايةً لأول لفظ في السورة [٤].

١٩- **سورة العلق:** هي من السور المكية ، وأول ما نزل من القرآن[٥]، سميت بهذا الاسم وكذلك بسورة اقرأ لافتتاحها بقوله ﷻ : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾[العلق: ١ – ٢] ، وفي بعض التفاسير سمت بسورة (اقرأ باسم ربك)، وبعض المفسرين سماها سورة القلم[٦].

٢٠-**سورة القدر:** قيل أنها مدنية، والراجح ما ذهب إليه جمهور العلماء على أنها مكية، وهذا ما رجحه السيوطي في الإتقان[٧] .

سميت بهذا الاسم نسبة إلى ليلة القدر التي ورد ذكرها في السورة من خلال قوله ﷻ : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[القدر: ١]، **وليلة القدر أي الليلة العظيمة الشريفة .**

وسماها بعض المفسرين بسورة (ليلة القدر) [٨] .

٢١- **سورة البينة:** من السور المختلف فيها قيل أنها مكية، وجمهور العلماء على أنها مدنية، وهو الراجح، وهو ما ذهب إليه السيوطي [٩].

---

(١)انظر الكشف والبيان _ النيسابوري _ ٢٣٢/١٠

(٢)انظر التحرير و التنوير _ ابن عاشور _ ٤٠٧/٣٠ ، التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٢٩١/٣٠

(٣) انظرالدر المنثور _ السيوطي _ ٥٥٣/٨

(٤)انظر التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٤١٨/٣٠ ، التفسير المنير _وهبة الزحيلي _ ٣٠١/٣٠

(٥)انظر الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ١١٧/٣٠ ، الدر المنثور _ السيوطي _ ٥٦٠/٨

(٦) انظر التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٤٣٣/٣٠ التفسير المنير _وهبة الزحيلي _ ٣١١/٣٠

(٧) انظر الإتقان في علوم القرآن _ السيوطي _ ٧٨/١ ، اللباب في علوم الكتاب ٤٢٦/٢٠

(٨) انظر التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٤٥٥/٣٠ ، التفسير المنير _وهبة الزحيلي _ ٣٣٠/٣٠

(٩) انظر الدر المنثور _ السيوطي _ ٥٨٥/٨ ، الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ١٣٨/٢٠

سميت بالبينة لافتتاحها بقوله ﷻ : ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾[البينة: ١] ، وقد ذكر لها السيوطي عدة أسماء منها سورة أهل الكتاب، البرية، لم يكن، الانفكاك[١] .

٢٢- سورة الزلزلة: بالرجوع إلى كتب التفسير نجد أن المفسرين اختلفوا في هذه السورة هل هي مكية أو مدنية، فمنهم من قال انه مكية، وجمهور المفسرين على أنها مدنية، وهو الراجح، وهذا ما رجحه السيوطي في الإتقان [٢] .

وسميت الزلزلة بهذا الاسم لافتتاحها بذكر الزلزال العظيم الذي يحدث قبيل القيامة وذلك في قوله ﷻ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[الزلزلة: ١]، ولها أسماء أخرى ذكرها بعض المفسرين منها: الزلزال، إذا زلزلت، زلزلت [٣] .

٢٣- سورة العاديات: هي من السور المكية على قول الجمهور [٤]، وسميت بالعاديات لقسمه ﷻ في مطلع السورة بالعاديات وذلك في قوله ﷻ : ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾[العاديات:١]، والعاديات هي الخيل المسرعة للقاء العدو[٥] .

٢٤- سورة القارعة: وهي من السور المكية دون خلاف [٦]، وسميت بذلك **لا**فتتاح السورة بكلمة القارعة، وذلك في قوله ﷻ : ﴿ٱلْقَارِعَةُ ، مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾[القارعة: ١ – ٢] ، والقارعة هو اسم من أسماء يوم القيامة [٧] .

٢٥- سورة التكاثر: هي سورة من السور المكية [٨]، سميت بالتكاثر لبدايتها بالحديث عن التكاثر ، وذلك في قوله ﷻ : ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[التكاثر: ١]، أي شغلتم بالتفاخر بالأموال و الأولاد، وكان الصحابة يسمونها سورة المقبرة، وفي بعض المصاحف سميت بسورة ألهاكم [٩]

---

(١) انظر الإتقان في علوم القرآن _ السيوطي _ ٣٦٦/٢ ، ، التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٣٣٩/٣٠

(٢) انظر الإتقان في علوم القرآن – السيوطي – ٧٩/١

(٣) انظر التحرير و التنوير _ ابن عاشور _ ٤٨٩/٣٠ ، التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٣٥٥/٣٠

(٤) انظر مفاتيح الغيب – الرازي – ٦٠/٣٢

(٥) انظر التحرير و التنوير _ ابن عاشور _ ٤٩٧/٣٠ ، التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٣٦٦/٣٠

(٦) انظر فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير – الشوكاني – ٦٩٠/٥

(٧) التفسير المنير – وهبة الزحيلي – ٣٧٤/٣٠

(٨) انظر الدر المنثور – السيوطي – ٦٠٩/٨ ، الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي_ ١٦٨/٢٠

(٩) انظر التحرير و التنوير _ ابن عاشور _ ٥١٦/٣٠

٢٦- **سورة العصر**: من السور المكية [١]، سميت بذلك لقسمه ﷻ في بدايتها بالعصر، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾[العصر: ١] ، وهو الدهر، ولذلك لما في الدهر من عجائب الأمور، وسميت في بعض كتب التفسير بسورة والعصر بإثبات الواو [٢] .

٢٧- **سورة الهمزة**: من السور المكية بإجماع [٣]، سميت بهذا الاسم لبدايتها بالوعيد الشديد لكل من يهمز ويلمز الناس وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾[الهمزة:١]، والهمز هو غيبة الناس والطعن فيهم، واللمز الذي يعيب الناس بإشارة الحاجب أو العين، وسميت في بعض التفاسير بسورة (ويل لكل همزة)، وسماها بعض المفسرين بسورة (الحطمة) لورود هذا اللفظ فيها دون غيرها من السور [٤].

٢٨- **سورة الفيل**: هي من السور المكية بإجماع المفسرين [٥]، سميت بذلك لبدايتها بالتذكير بقصة أصحاب الفيل وما حصل لهم بسبب طغيانهم وذلك من خلال قوله ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ، أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ﴾[الفيل: ١ – ٢] .

٢٩- **سورة قريش**: سورة من السور المكية [٦]، سميت بسورة قريش لتفرد السورة بذكر اسم قريش دون غيرها من السور وذلك في قوله ﷻ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾[قريش: ١] ، وكان بعض السلف يسمونها سورة (لإيلاف قريش) [٧]

٣٠- **سورة الماعون**: اختلف المفسرون هل هي مكية أو مدنية، فمنهم من قال مكية، ومنهم من قال مدنية، ومنهم من قال نصفها نزل بمكة والنصف الأخر في المدينة.

والذي عليه الجمهور أنها مكية، وهذا ما قال به السيوطي في تفسيره [٨] .

سميت السورة بالماعون لأن الله ﷻ في نهايتها ذم الذين يمنعون الماعون و ذلك في قوله ﷻ: ﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾[الماعون: ٧]، والماعون هو ما يستعيره الجار من جاره من

---

(١) انظر لباب التأويل في معاني التنزيل _ الخازن _ ٢٨٧/٧

(٢)انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم _ أبو السعود _ ١٩٧/٩

(٣) الجامع لأحكام القرآن _ الطبري _ ١٨١/٢٠

(٤) التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٣٩٦/٣٠ ، التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٥٣٥/٢٠

(٥) انظر الدر المنثور _ السيوطي _ ٦٢٧/٨

(٦) انظر ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم _ أبو السعود _ ٢٠٢/٩

(٧) انظر التحرير و التنوير _ ابن عاشور _ ٥٥٣/٣٠

(٨) انظر الدر المنثور _ السيوطي _ ٦٤١/٨

أداة أو آلة يستعان وينتفع بها ، وتسمى أيضاً في كتب التفسير بعدة أسماء منها سورة أرأيت، سورة الدين، سورة التكذيب، وسورة اليتيم [١] .

٣١- سورة الكوثر: سورة الكوثر سورة مكية على رأي جمهور العلماء، وهو الراجح، وهذا ما ذهب إليه السيوطي في تفسيره [٢] .

وسميت بالكوثر لبدايتها بقوله ﷻ : ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[الكوثر: ١] ، والكوثر نهر في الجنة أعطاه الله ﷻ للنبي ﷺ [٣] .

٣٢- سورة الكافرون: سورة الكافرون سورة مكية [٤]، وسميت بذلك لأن الله ﷻ في مطلعها أمر النبي ﷺ أن يخاطب الكفار قائلاً لهم لا أعبد ما تعبدون من أصنام وأوثان، و تسمى أيضاً بسورة المنابذة، والمقشقشة أي المبرئة من الشرك [٥] .

٣٣- سورة النصر: هي سورة من السور المدنية بإجماع المفسرين [٦]، وسميت بسورة النصر لافتتاحها بقوله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[النصر: ١] ، والمقصود بنصر الله والفتح بالآية هو فتح مكة المكرمة، وكان السلف يسمونها بسورة (إذا جاء نصر الله)، وسميت في بعض كتب التفسير بسورة الفتح لوقوع هذا اللفظ فيها، وسميت أيضاً بسورة التوديع لما فيها من إشارة لقرب لقاء النبي ﷺ بربه ﷻ [٧] .

٣٤- سورة المسد: سورة المسد من السور المكية باتفاق العلماء [٨]، وسميت السورة بهذا الاسم لنهايتها بقوله ﷻ : ﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾[المسد: ٥] ، أي في عنقها حبل مفتول من الليف القوي، وهذا في قمة الإحتقار لزوجة أبي لهب، بسبب إيذائها للنبي ﷺ ، وسماها بعض المفسرين بسورة أبي لهب لذكره في السورة، وفي الكثير من المصاحف بسورة تبت تسمية لها بأول لفظ فيها [٩] .

---

(١) انظر التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٥٦٣/٣٠ ، التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٤١٩/٣٠

(٢) انظر الدر المنثور _ السيوطي _ ٦٤٦/٨ ، الكشف والبيان _ النيسابوري _ ٣٠٧/١٠

(٣) انظر السراج المنير _ الشربيني _ ٤٣٦/٤ ، التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٤٢٨/٣٠

(٤) انظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم _ أبو السعود _ ٢٠٦/٩

(٥) انظر التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٥٢٥/١٥ ، التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٤٣٧/٣٠

(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٢٢٩/٢٠ ، الدر المنثور _ السيوطي _ ٦٥٩/٨

(٧) انظر السراج المنير _ الشربيني _ ٤٤٠/٤ ، التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٥٨٧/٣٠

(٨) انظر لباب التأويل في معاني التنزيل _ الخازن _ ٣١٧/٧

(٩) انظر التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٥٩٩/٣٠ ، التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٤٥٣/٣٠

٣٥- سورة الإخلاص: اختلف فيها العلماء هل هي من السور المدنية أو المكية، والذي عليه جمهور العلماء أنها مكية، وهو الراجح، فهي تتكلم عن صلب العقيدة من إخلاص العبودية لله ﷻ، وتنزيه الله ﷻ عن كل صفات النقص، وهذا من أهم ما يميز المكي عن المدني [١]، وسميت بالإخلاص لأنه اسم يجمع معاني هذه السورة التي تصب كلها في الإخلاص لله ﷻ .

وقد اشتهرت في عهد النبي ﷺ وعهد الصحابة رضوان الله ﷻ عليهم بسورة قل هو الله احد ، وللسورة أسماء كثيرة منها: سورة التوحيد، الأساس، المقشقشة، الصمد، النجاة، الولاية، المعوذة، المانعة، المنفرة، البراءة، النور وغيرها من الأسماء [٢] .

٣٦- سورة الفلق: هي اختلف المفسرون فيها، منهم من قال مدنية،والجمهور وهو الراجح أنها مكية، وهذا ما ذهب إليه السيوطي في تفسيره [٣]، سميت بالفلق لافتتاحها بقوله ﷻ :﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾[الفلق: ١] ، والفلق هو الشق، وفصل الشيء عن بعضه، سماها النبي ﷺ بسورة (قل أعوذ برب الفلق)، وسميت مع الناس بالمعوذتين، والمشقشقتين [٤]

٣٧- سورة الناس: من السور المكية [٥]، سميت سورة الناس بهذا الاسم لافتتاحها بقوله ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾[الناس: ١]،وسماها النبي ﷺ بسورة (قل أعوذ برب الناس)، وسميت مع الفلق بالمعوذتين، والمشقشقتين [٦] .

المطلب الثاني

ترتيب سور الجزء وعدد آياتها

سيتناول الباحث في هذا المطلب _ بإذن الله ﷻ _ الحديث عن ترتيب نزول كلٍّ سورة من سور جزء عمَّ، وعدد آيات كلَّ سورة منها، وذلك بإيجاز ما أمكن:

---

(١) انظر الكشف والبيان _ النيسابوري _ ٣٣٠/١٠

(٢) انظر الإتقان في علوم القرآن _ السيوطي _ ٣٦٧/٢ ، التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٦٠٩/٣٠-٦١٠

(٣) انظر الدر المنثور _ السيوطي _ ٦٨٣/٨

(٤) انظر التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٦٢٣/٣٠ ، التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٤٦٩/٣٠

(٥) انظر الدر المنثور _ السيوطي _ ٦٩٣/٨

(٦) انظر التحرير و التنوير _ ابن عاشور _ ٦٣١/٣٠

١ـ سورة النبأ : نزلت سورة النبأ بعد سورة المعارج وقبل سورة النازعات، وعُدَّت السورة التاسعة والسبعون في ترتيب نزول سور القرآن الكريم. (١)

وعدد آياتها أربعون آية في المصحف الكوفي والمكي، وإحدى وأربعون آية في غيرهما، وعدد كلماتها مائة وثلاثة وسبعون كلمة، وحروفها سبعمائة وسبعون حرفاً.(٢)

٢ـ سورة النازعات : نزلت بعد سورة النبأ مباشرةً وقبل الانفطار، فهي السورة الثمانون في ترتيب النزول (٣)

وسورة النازعات تعتبر من أواخر السور المكية نزولاً، وعدد آياتها خمس وأربعون آية في المصحف الكوفي، وست وأربعون في غيره، وكلماتها مائة وتسع وسبعون كلمة، وحروفها ثلاثة وسبع مائة وخمسون حرفاً (٤)

٣ـ سورة عبس: كان نزول سورة عبس بعد سورة النَّجم وقبل سورة القدر، فهي تعتبر السورة الثالثة والعشرون في ترتيب النُّزول، أمَّا في ترتيب المصحف فهي السورة الثمانون، وعدد آياتها اثنتان وأربعون آية في المصحف الكوفي، وإحدى وأربعون في البصري، وأربعون في الشامي، وكلماتها مائة وثلاثون كلمة، وحروفها خمسمائة وثلاثون حرفاً (٥)

٤ـ سورة التكوير : تعتبر هذه السورة من أوائل السور القرآنية نزولاً، فهي السورة السادسة أو السابعة في ترتيب النزول، فقد كان نزولها بعد سورة الفاتحة، وقبل سورة الأعلى (٦)

وعدد آيات سورة التكوير تسع وعشرون آية، ومائة وأربع كلمات، وخمسمائة وثلاثون حرفاً (٧)

---

(١) انظر: تنزيل القرآن _ ابن شهاب الزهري _ ص ٢٩ ، الكشاف _ الزمخشري _ ٢٩٣/٦

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ١٦٩/١٩ ، اللباب في علوم الكتاب _ ابن عادل _ ٩٠/٢٠، التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٥/٣٠

(٣) انظر: تنزيل القرآن _ ابن شهاب الزهري _ ص ٢٩

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ١٩٠/١٩، الكشف والبيان _ النيسابوري _١٢٢/١٠ ، لباب التأويل في معاني التنزيل _ الخازن _ ٢٠٤/٧

(٥) تنزيل القرآن _ ابن شهاب الزهري _ ص ٢٥ ، اللباب في علوم الكتاب _ ابن عادل _ ١٥٢/٢٠

(٦) تنزيل القرآن _ ابن شهاب الزهري _ ص ٢٤

(٧) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل _ الخازن _٢١٢/٧

٥_ سورة الانفطار: هي السورة الثانية والثمانون في ترتيب المصحف، أمَّا ترتيبها في النزول، فكان نزولها بعد سورة النازعات، وقبل سورة الانشقاق، أي إنَّها السورة الثانية والثمانون- أيضاً- في ترتيب النزول، وهي تسع عشرة آية، وثمانون كلمة، وثلاثمائة وسبعة وعشرون حرفاً. (١)

٦_ سورة المطففين: نزلت سورة المطففين بعد سورة العنكبوت وقبل سورة البقرة، وهي من حيث ترتيب النزول السورة الخامسة والثمانون، ونزل بعدها القرآن المدني(٢)، وهي ست وثلاثون آية، ومائة وتسع وستون كلمة، وسبع مائة وثلاثون حرفاً (٣)

٧_ سورة الانشقاق: كان نزولها بعد سورة الانفطار، وقبل سورة الروم، فهي من حيث ترتيب النزول تعد السورة الثانية والثمانون (٤) ، وعدد آياتها خمس وعشرون آية في المصحف المكي والكوفي، وفي المصحف الشامي والبصري ثلاث وعشرون آية، ومائة وسبع كلمات، وأربع مائة وأربع وثلاثون حرفاً (٥)

٨_ سورة البروج: قد كان نزولها بعد سورة الشمس وقبل سورة التين، وهي من حيث ترتيب النزول تعد السورة السادسة والعشرون، وعدد آياتها اثنتان وعشرون آية، ومائة وتسع كلمات، وأربعمائة وثمانية وخمسون حرفاً (٦)

٩_ سورة الطارق: كان نزولها بعد سورة البلد وقبل سورة القمر، وهي السورة السادسة والثلاثون، في ترتيب النزول، وعدد آياتها سبع عشرة آية، وإحدى وستون كلمة، ومائتان وتسعة وثلاثون حرفاً (٧)

١٠_ سورة الأعلى: نزلت سورة الأعلى بعد سورة التكوير وقبل سورة الليل، وهي من حيث ترتيب النزول تعد السورة السابعة، وهي تسع عشرة آية، واثنان وسبعون كلمة، ومائتان وإحدى وتسعون حرفاً (٨)

---

(١) انظر: التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ١٦٩/٣٠ ، السراج المنير _ الشربيني _ ٥٦٢/٤

(٢) تنزيل القرآن _ ابن شهاب الزهري _ ص ٢٩

(٣) انظر: الكشف والبيان _ ١٤٩/١٠

(٤) تنزيل القرآن _ابن شهاب الزهري_ ص٢٩

(٥) الكشف والبيان _ النيسابوري _ ١٥٨/١٠ ، التفسير الوسيط_ محمد سيد طنطاوي_ ٣٣١/١٥

(٦) انظر: اللباب في علوم الكتاب _ ابن عادل_ ٢٤٤/٢٠ ، تنزيل القرآن _ابن شهاب الزهري_ ص٢٥

(٧) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل _ الخازن_٢٣٢/٧ ،تنزيل القرآن _ابن شهاب الزهري_ ص٢٦

(٨) انظر: الكشف والبيان _النيسابوري_ ١٨٢/١٠، تنزيل القرآن _ابن شهاب الزهري_ ص٢٤

١١_ سورة الغاشية: نزلت بعدة سورة الذاريات وقبل سورة الكهف، فهي السورة السابعة والستون نزولاً، وعدد آياتها ست وعشرون آية، واثنتان وتسعون كلمة، وثلاثمائة وأحد وثمانون حرفاً [١]

١٢_ سورة الفجر: هي السورة التاسعة في ترتيب النزول، وكان نزولها بعد سورة الليل، وقبل سورة الضحى، وعدد آياتها: ثلاثون آية في المصحف الكوفي، واثنتان وثلاثون في الحجازي، وتسع وعشرون في البصري، وهي مكونة من مائة وتسع وثلاثون كلمة ، وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفاً [٢].

١٣_ سورة البلد: هي السورة الخامسة والثلاثون في ترتيب نزول السور، فقد كان نزولها بعد سورة ق ، وقبل سورة الطارق وهي عشرون آية واثنان وثمانون كلمة وثلاثمائة وعشرون حرفاً [٣]

١٤_ سورة الشمس: كان نزولها بعد سورة القدر وقبل سورة البروج، فهي من حيث ترتيب النزول تعد السورة السادسة والعشرون، وعدد آياتها خمس عشرة آية، وهي أربع وخمسون كلمة، ومائتان وسبعون حرفاً [٤]

١٥_ سورة الليل: تعد سورة الليل من حيث ترتيب النزول السورة الثامنة في عداد نزول السور، حيث نزلت بعد سورة الأعلى وقبل سورة الفجر، وعدد آياتها إحدى وعشرون آية، وفيها إحدى وسبعون كلمة، وثلاثمائة وعشرة أحرف. [٥]

١٦_ سورة الضحى: ، من حيث ترتيب النزول عدت هذه السورة الحادية عشرة في ترتيب نزول السور، حيث نزلت بعد سورة الفجر وقبل سورة الشرح، وهي إحدى عشرة آية ، وأربعون كلمة ، ومائة وسبعون حرفاً [٦]

١٧_ سورة الشرح: نزلت بعد سورة الضحى، وقبل سورة العصر، وهي ثمان آيات، وسبع وعشرون كلمة، ومائة وثلاثة أحرف، وترتيبها في النزول الثانية عشرة [٧]

---

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب _ ابن عادل _ ٢٨٩/٢٠ ، التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي_ ٣٧١/١٥

(٢) تنزيل القرآن _ابن شهاب الزهري_ ص٢٤ ، التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي_ ٣٨١/١٥

(٣) التحرير و التنوير _ ابن عاشور _٣٤٥/٣٠ ، السراج المنير _ الشربيني _ ٣٩٢/٤

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي_ ٧٢/٢٠، التحرير والتنوير _ابن عاشور_٣٦٥/٣٠

(٥) انظر: الدر المنثور _ السيوطي_ ٥٣٢/٨ ، تنزيل القرآن _ ابن شهاب الزهري_ ص٢٤

(٦) انظر: اللباب في علوم الكتاب _ ابن عادل _ ٣٨٠/٢٠ ،التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٢٩٤/٣٠

(٧) لباب التأويل في معاني التنزيل _ الخازن _ ٢٦٢/٧ ، التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٤٣٥/١٥

١٨_ سورة التين: تعد هده السورة من حيث ترتيب النزول السابعة والعشرون، حيث كان نزولها بعد سورة البروج ، وقبل سورة قريش وهي ثمان آيات، وأربع وثلاثون كلمة، ومائة وخمسون حرفاً[١].

١٩_ سورة العلق: وهي أول سورة نزلت من القرآن الكريم، ونزل بعدها سورة القلم، وعدد آياتها تسع عشرة آية، واثنتان وتسعون كلمة، ومائتان وثمانون حرفاً [٢]

٢٠_ سورة القدر: كان نزولها بعد سورة عبس، وقبل سورة الشمس، فهي السورة الخامسة والعشرون في ترتيب النزول وهي خمس آيات، وثلاثون كلمة، ومائة واثنا عشر حرفاً [٣]

٢١_ سورة البيِّنة: عدت سورة البيِّنة السورة المائة وواحد في ترتيب النزول، حيث نزلت بعد سورة الطلاق وقبل سورة الحشر، هي تسع آيات، وأربع وتسعون كلمة، وثلاثمائة وتسعون حرفاً[٤]

٢٢_ سورة الزلزلة: عُدَّت سورة الزلزلة السورة الرابعة والتسعين في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة النساء وقبل سورة الحديد، وهي ثماني آيات، وخمس وثلاثون كلمة، ومائة وتسعة وأربعون حرفاً [٥]

٢٣_ سورة العاديات: عدت الثانية عشرة في ترتيب نزول السور نزلت بعد سورة الشرح وقبل سورة العصر، عدد آياتها إحدى عشرة آية، وأربعون كلمة ، ومائة وثلاثة وستون حرفا[٦]

٢٤_ سورة القارعة: عدت الثلاثين في عداد نزول السور نزلت بعد سورة قريش وقبل سورة القيامة، عدد آياتها إحدى عشرة آية، وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفاً، [٧]

٢٥_ سورة التكاثر: عدت الخامسة عشر من حيث النزول، نزلت بعد الكوثر، وقبل الماعون، وهي ثماني آيات، وثمان وعشرون كلمة، ومائة وعشرون حرفا [٨]

---

(١) السراج المنير _ الشربيني _ ٤٠٨/٤ ، تنزيل القرآن _ ابن شهاب الزهري _ ص٢٥

(٢) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل _ الخازن _ ٢٦٧/٧ ، تنزيل القرآن _ ابن شهاب الزهري _ ص٢٣

(٣) اللباب في علوم الكتاب _ ابن عادل_ ٤٢٦/٢٠ ، التحرير و التنوير _ ابن عاشور_ ٤٥٥/٣٠

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ١٣٨/٢٠، تنزيل القرآن _ ابن شهاب _ ص

(٥) انظر: الكشف والبيان _ النيسابوري _ ٢٦٣/١٠ ، التحرير والتنوير _ابن عاشور _ ٤٩٠/٣٠

(٦) انظر: اللباب في علوم الكتاب _ ابن عادل_ ٤٥٤/٢٠ ، تنزيل الكتاب _ ابن شهاب الزهري _ ص٢٤

(٧) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير _ أبو بكر الجزائري _ ٦٠٨/٥ ، السراج المنير _ الشربيني _ ٤٢٤/٤

(٨) بحر العلوم _ السمرقندي_ ٥٨٨/٣ ، تنزيل الكتاب _ ابن شهاب الزهري _ ص٢٤

٢٦_ سورة العصر: كان نزولها بعد سورة الشرح وقبل سورة العاديات فهي السورة الثالثة عشرة في ترتيب النزول، وهي ثلاث آيات، وأربع عشرة كلمة، وستون حرفا [١]

٢٧_ سورة الهمزة: عدت الثانية والثلاثين في عداد نزول السور نزلت بعد سورة القيامة وقبل سورة المرسلات، وهي تسع آيات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفاً [٢]

٢٨_ سورة الفيل: عدت السورة التاسعة عشر من حيث ترتيب النزول، نزلت بعد الكافرون وقبل القيامة، وهي خمس آيات، وعشرون كلمة، وستة وتسعون حرفاً [٣]

٢٩_ سورة قريش: عدت التاسعة والعشرين في عداد نزول السور ، نزلت بعد سورة التين وقبل سورة القارعة، و هي أربع آيات ، وسبع عشرة كلمة ، وثلاث وسبعون حرفا [٤]

٣٠_ سورة الماعون: عدت السادسة عشرة في عداد نزول ، نزلت بعد سورة التكاثر وقبل سورة الكافرون، وهي سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وثلاثة وعشرون حرفاً [٥]

٣١_ سورة الكوثر: عدت الرابعة عشرة، في عداد نزول السور، نزلت بعد سورة العاديات ، وقيل سورة التكاثر، وهي ثلاث آيات وعشر كلمات واثنان وأربعون حرفا [٦]

٣٢_ سورة الكافرون: عدت السورة السابعة عشر من حيث تعداد النزول، نزلت بعد الماعون وقبل الفيل ، وهي ست آيات وستة وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفاً[٧]

٣٣_ سورة النصر: هي ثلاث آيات وسبع عشرة كلمة وسبعة وسبعون حرفا، وتعد السورة السابعة عشر نزولاً من القرآن المدني، والمائة واثنين نزولاً بمجموع المكي والمدني، نزلت بعد الحشر وقبل النور [٨]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب _ ابن عادل_ ٤٨٣/٢٠ ، التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي_٤٩٩/١٥

(٢) انظر: التحرير والتنوير _ابن عاشور_ ٥٣٥/٣٠ ، السراج المنير _ الشربيني _ ٤٢٩/٤

(٣) الكشف والبيان _ النيسابوري _ ٢٨٨/١٠ ، التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي_٥٠٩/١٥

(٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب _ ابن عادل_ ٥٠٣/٢٠، تنزيل الكتاب _ ابن شهاب الزهري_ ص٢٥

(٥) التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٥٦٣/٣٠ ، السراج المنير _ الشربيني_ ٤٣٤/٤

(٦) انظر: تنزيل القرآن _ابن شهاب الزهري_ ص٢٤ ، لباب التأويل في معاني التنزيل _الخازن_ ٣٠٠/٧

(٧) انظر: تنزيل القرآن _ابن شهاب الزهري _ ص٢٤، السراج المنير _ الشربيني_ ٤٣٨/٤

(٨)انظر: تنزيل القرآن _ابن شهاب الزهري_ ص٣٠ ، لباب التأويل في معاني التنزيل _ الخازن _ ٣٠٧/٧

٣٤_ سورة المسد: عدت من حيث النزول الخامسة من السور نزولا ، نزلت بعد سورة االمدثر وقبل سورة التكوير، وهي خمس آيات، وعشرون كلمة ، وسبعة وسبعون حرفاً [١]

٣٥_ سورة الإخلاص: عدت من حيث النزول السورة الواحد والعشرون، نزلت بعد الناس وقبل النجم، وهي أربع آيات ، وخمس عشرة كلمة ، وسبعة وأربعون حرفا [٢]

٣٦_ سورة الفلق: عدت من حيث النزول السورة التاسعة عشر، نزلت بعد الفيل وقبل الناس، وهي خمس آيات، وثلاث وعشرون كلمة ، وأربعة وسبعون حرفا [٣]

٣٧_ سورة الناس: عدت من حيث النزول السورة العشرون نزلت بعد الفلق وقبل الإخلاص، وهي ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وتسعون حرفاً [٤]

المطلب الثالث

فضائل سُور جزء عمَّ

لقد ورد في سنة النبي ﷺ أحاديث كثيرة تدل على فضل القرآن الكريم على وجه العموم، وورد كذلك أحاديث نبوية تدل على فضل سور معينة على وجه الخصوص، وهذه الأحاديث الخاصة بفضائل سور بعينها منها ما هو صحيح، ومنها ما هو ضعيف وموضوع؛ وذلك لأنَّ الوضَّاعين قد اجتهدوا في وضع الأحاديث التي تدل على فضل السور وضعوها ليرغبوا الناس في قراءة القرآن بزعمهم.

وقد اشتهر في ذلك أناس كثر، منهم ميسرة بن عبد ربه [٥] الذي قال عندما سؤل: من أين جئت بهذه الأحاديث: من قرأ كذا فله كذا؟ قال: وضعتها أرغب الناس فيها [٦]

---

(١) الكشف والبيان _ النيسابوري_ ٣٢٣/١٠ ، التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٥٩٩/٣٠

(٢)انظر: تنزيل القرآن _ ابن شهاب الزهري_ ص٢٥ ، اللباب في علوم الكتاب _ ابن عادل_ ٥٩٩/٢٠

(٣)انظر: تنزيل القرآن _ ابن شهاب الزهري_ ص٢٤ ، الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي_ ٢٥١/٢٠

(٤)انظر: تنزيل القرآن _ ابن شهاب الزهري_ ص٢٥ ، السراج المنير _ الشربيني _ ٤٥٠/٤

(٥) ميسرة بن عبد ربه التستري الفارسي البصري قال عنه يحيى ليس بشيء وقال البخاري يُرمي ميسرة بالكذب وقال ابن حماد كان كذابا وقال أبو داود أقر ميسرة بوضع الحديث وقال النسائي والدارقطني متروك وقال أبو زرعة كان يضع الحديث وكان يقول: إني أحتسب في ذلك (انظر: الضعفاء والمتروكين _ ابن الجوزي _ ١٥١/٣)

(٦) انظر: الموضوعات _ ابن الجوزي _ ٤٠/١

وقيل لأبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي [١] : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال إنِّي رأيت الناس أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة فوضعت هذه الأحاديث حسبة [٢]

وهذه الاعترافات من هؤلاء الوضاعين تدل على أنَّ كثيراً من الأحاديث التي وردت في فضائل سور القرآن إنَّما هي أحاديث موضوعة لم تصح عن النبي ﷺ؛ لذا فإن الباحث سيقوم في هذا المطلب بالاقتصار على ما ورد من أحاديث صحيحة في فضائل سور جزء عمَّ.

وقد صح عن النبي ﷺ أحاديث عامة في فضل القرآن الكريم بعمومه، فمن هذه الأحاديث أحاديث بينت فضل القرآن في شفاعته لأصحابه يوم القيامة، فعن أبي أمامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(اقرؤوا القرآن ؛ فإنَّه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه)** [٣]

ومن الأحاديث ما بين دفاع القرآن عن أهله، فعن النواس بن سمعان [٤] ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(يُؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران ، تحاجان عن صاحبهما)** [٥]

بل قد بين النبي ﷺ أنَّ خير الناس هم من تعلم القرآن وعلمه فعن عثمان بن عفان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)** [٦]

كما أنَّ النبي ﷺ بين عظم أجر الماهر في القرآن وكذلك الذي يقرأه بمشقة فقال ﷺ: **(الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران)** [٧]

---

(١) نوح بن أبي مريم أبو عصمة يروي عن الزهري ومقاتل بن حيان قال احمد يروي مناكير وقال يحيى ليس بشيء ولا يكتب حديثه وقال ابن حماد يروي مناكير وقال ابن حماد ومسلم بن الحجاج والرازي والدراقطني متروك وقال ابن حبان كان يقلب الأسانيد ويروي عن الثقات ما ليس من احاديث الأثبات لا يجوز الاحتجاج به بحال وذكر أبو عبد الله الحاكم أن نوحا وضع حديث فضائل القرآن (انظر: الضعفاء والمتروكين _ ابن الجوزي _ ١٦٧/٢)

(٢) انظر: الموضوعات _ ابن الجوزي _ ٤١/١

(٣) صحيح مسلم _ كتاب صلاة المسافرين _ باب فضل قراءة القرآن _ ١٩٧/٢ _ ح ١٩١٠.

(٤) النواس بن سمعان الكلابي ويقال الانصاري، روى عن النبي ﷺ، وروى عنه أبو إدريس الخولاني وجبير بن نفير الحضرمي، قال ابن عبد البر يقال أباه وفد على النبي ﷺ فدعا له وتزوج أخته، فلما دخلت على النبي ﷺ تعوذت منه فتركها وهي الكلابيي(انظر: تهذيب التهذيب_ ابن حجر العسقلاني_ ٤٢٩/١٠)

(٥) صحيح مسلم _ كتاب صلاة المسافرين _ باب فضل قراءة القرآن _ ١٩٧/٢ _ ح ١٩١٢.

(٦) صحيح البخاري _ كتاب فضائل القرآن _ باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه _ ١٩٢/٦ _ ح ٥٠٢٧.

(٧) صحيح مسلم _ كتاب صلاة المسافرين _ باب فضل قراءة القرآن _ ١٩٥/٢ _ ح ١٨٩٨.

ولقد ضرب النبي ﷺ مثلاً للذي يقرأ القرآن ويعمل به بأطيب الثمر ففي حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة: ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة: لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة: ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة: ليس لها ريح وطعمها مر**) [١]

ومن فضائل القرآن أنَّه يرفع صاحبه درجات في الدنيا والآخرة فعن عمر بن الخطاب ﷺ : أنَّ النبي ﷺ قال: (**إنَّ الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**) [٢]

ولذا فإنَّ القرآن مجال عظيم للتنافس؛ فلا تجوز الغبطة إلا فيه وفي المال الحلال الذي ينفق في سبيل الله وذلك لحديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**) [٣]

وإن أجر القرآن يُكتب لكل حرف يقرأه العبد فلقد روى ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: (**من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : ألم حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**) [٤]

هذه أحاديث غيض من فيض تبين لنا فضل القرآن بشكل عام ، وتدخل تحت هذا العموم جميع سور جزء عم، التي ورد فيها أحاديث صحيحة على وجه الخصوص، والتي لم يرد فيها أحاديث صحيحة على وجه الخصوص، وفيما يلي بيان السور التي صح في فضلها أحاديث خاصة من سور جزء عم:

١-سورة التكوير: عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **(من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت)**[٥]

---

(١) صحيح البخاري _ كتاب الأطعمة _ باب ذكر الطعام _ ٧٧/٧ _ ح ٥٤٢٧.

(٢) صحيح مسلم _ كتاب صلاة المسافرين _ باب فضل من يقوم بالقرآن _ ٢٠١/٢_ ح ١٩٣٤.

(٣) صحيح البخاري _ كتاب فضائل القرآن _ باب اغتباط صاحب القرآن _ ١٩١/٦ _ ح ٥٠٢٦.

(٤) سنن الترمذي _ كتاب فضائل القرآن _ باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر _ ٣٣/٥ _ ح ٢٩١٠، والحديث صححه الألباني (مشكاة المصابيح ٤٨٤/١)

(٥) سنن الترمذي _كتاب فضائل القرآن _باب ومن سورة إذا الشمس كورت_ ٣٥٨/٥_ ح٣٣٣٣، والحديث حسنه الألباني (مشكاة المصابيح ٢٠٦/٣)

٢- سورة الانفطار: عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **(من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت)**[١]

٣- سورة الانشقاق: عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **(من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت)**[٢]

٤- سورة البروج: عن جابر بن سمرة ﷺ أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر والعصر بالسماء ذات البروج والسماء والطارق ونحوهما [٣]

٥- سورة الطارق: عن جابر بن سمرة ﷺ أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر والعصر بالسماء ذات البروج والسماء والطارق ونحوهما [٤]

٦- سورة الأعلى: عن النعمان بن بشير ﷺ قال كان رسول الله ﷺ يقرأ فى العيدين وفى الجمعة (سبح اسم ربك الأعلى) و (هل أتاك حديث الغاشية) قال وإذا اجتمع العيد والجمعة فى يوم واحد يقرأ بهما أيضا في الصلاتين.[٥]

٧- سورة الغاشية: عن النعمان بن بشير ﷺ قال كان رسول الله ﷺ يقرأ فى العيدين وفى الجمعة (سبح اسم ربك الأعلى) و (هل أتاك حديث الغاشية) قال وإذا اجتمع العيد والجمعة فى يوم واحد يقرأ بهما أيضا في الصلاتين.[٦]

٨- سورة الزلزلة: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال أقرئنى يا رسول الله. فقال ﷺ **(اقرأ ثلاثا من ذوات الراء)**. فقال كبرت سنى واشتد قلبى وغلظ لسانى. قال ﷺ **(فاقرأ ثلاثا من ذوات حم)**. فقال مثل مقالته. فقال ﷺ **(اقرأ ثلاثا من المسبحات)**. فقال مثل مقالته فقال الرجل يا رسول الله أقرئنى سورة جامعة. فأقرأه النبى ﷺ(إذا

---

(١) سبق تخريجه في صفحة ٢٧ من الرسالة .

(٢) سبق تخريجه في صفحة ٢٧ من الرسالة.

(٣) سنن النسائي_ كتاب القبلة_ باب القراءة في الركعتين الأوليين من صلاة العصر_ ٢/٥٦_ ح٩٧٨، والحديث صححه الألباني

(٤) سبق تخريجه في الهامش السابق.

(٥) صحيح مسلم _ كتاب الجمعة_ باب ما يقرأ في صلاة الجمعة_ ٣/١٥_ ح٢٠٦٥.

(٦) سبق تخريجه في الهامش السابق.

زلزلت الأرض) حتى فرغ منها. فقال الرجل والذى بعثك بالحق لا أزيد عليها أبدا ثم أدبر الرجل فقال النبى ﷺ (**أفلح الرويجل**) مرتين.[١]

٩- سورة الكافرون: عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي ركعتين قبل الفجر وكان يقول (**نعم السورتان هما**) يقرأ بهما في ركعتي الفجر قل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون [٢]

١٠- سورة الإخلاص: عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم **(أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة)** فشق ذلك عليهم وقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال ﷺ **(الله الواحد الصمد ثلث القرآن)** [٣]

١١- الفلق والناس (المعوذتين): عن عقبة بن عامر[٤] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **(ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق و قل أعوذ برب الناس).**[٥]

---

(١) سنن أبي داود_ كتاب شهر رمضان_ بلب تحزيب القرآن_ ٥٢٩/١_ ح١٤٠١، والحديث ضعفه الألباني (انظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود ح١٣٩٩، ٣٩٩/٣).

(٢) سنن ابن ماجة_ كتاب الصلاة_ باب ما جاء فيما يقرأ في الركعتين قبل الفجر_ ٣٣٨/٢_ ح١١٥٠ ، وهذا الحديث صححه الألباني.

(٣) صحيح البخاري_ كتاب فضائل القرآن_ باب فضل قل هو الله أحد_١٨٩/٦_ ح٥٠١٥

(٤) عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن الجهني الصحابي المشهور روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين منهم بن عباس وأبو أمامة وجبير وخلق من أهل مصر قال أبو سعيد بن يونس كان قارئا عالما بالفرائض والفقه فصيح اللسان وهو أحد من جمع القرآن مات عقبة في خلافة معاوية وكذلك أرخه الواقدي مات في سنة ثمان وخمسين(انظر: الإصابة في تميز الصحابة_ابن حجر العسقلاني_ ٥٢٠/٤)

(٥) صحيح مسلم_ كتاب صلاة المسافرين_ باب فضل قراءة المعوذتين_ ٢٠٠/٢_ ح١٩٢٧

المبحث الثاني
المناسبات في سور جزء عمَّ

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المحور الرئيس لسور جزء عمَّ.

المطلب الثاني: علاقة سور جزء عمَّ بالمحور الرئيس.

المطلب الثالث: المناسبات بين سور جزء عمَّ.

إنَّ سور جزء عمَّ كغيرها من سور القرآن الكريم؛ لكل سورة منها طابع خاص، ومحور رئيسي تدور حوله، يميزها عن غيرها من سور القرآن؛ إلا أنَّ المتأمل في سور هذا الجزء العظيم من القرآن الكريم يجد بين سوره ترابط عجيب، وكأن كل سورة من سور الجزء تكمل ما قبلها وتمهد لما بعدها من السور، وهذا لا يخفى على من عنده بصيرة في كتاب ربه ﷻ، وهذا ما يسميه علماء التفسير بعلم المناسبات بين السور.

ولعل السبب في وجود هذا الترابط الشديد هو أنَّ الجو الذي نزلت فيه غالبية سور الجزء هو جو واحد، الجو المكي الذي يصدع بالتوحيد، والتأكيد على قضايا البعث والحساب وغيرها من أصول العقيدة الراسخة.

لذا فإنَّ الباحث سيتناول في هذا المبحث أموراً ثلاث موزعة على مطالب المبحث:

_ المحور الرئيس لسور جزء عمَّ.

_ علاقة سور جزء عمَّ بالمحور الرئيس.

_ المناسبات بين سور جزء عمَّ.

المطلب الأول

المحور الرئيس لسور جزء عمَّ

يبلغ عدد سور جزء عمَّ _ وهو الجزء الأخير من القرآن الكريم _ سبعا وثلاثين سورة، كلها مكية، سوى سورتي البينة والنصر، وكلها تمتاز بقصرها، على تفاوت في هذا القصر، والمحور الرئيس الذي لا يغيب في غالب سور الجزء يدور حول إقامة الأدلة على وحدانية الله ﷻ، وعلى أنَّ هذا القرآن من عند الله سبحانه، وعلى صدق الرسول ﷺ فيما يبلغه عن ربه ﷻ، وعلى المقارنة بين حسن عاقبة الأخيار، وسوء عاقبة الأشرار، وعلى التذكير المتكرر بأهوال يوم القيامة، وبأنَّه آت لا ريب فيه، وعلى التحذير من الغفلة عن الاستعداد له، وعلى الإفاضة في بيان نعم الله ﷻعلى الناس، وعلى بيان ما حل بالمكذبين السابقين من دمار وهلاك، كل ذلك بأسلوب تخشع له القلوب، وتتأثر به النفوس، وتقشعر منه جلود الذين يخشون ربَّهم [1]

ومما يميز هذا الجزء ويجعل المتأمل فيه يشعر وكأنه يقرأ سورة واحدة في موضوعها واتجاهها وإيقاعها وصورها هو أسلوب هذا الجزء في استخدام الألفاظ الشديدة القوية التي تحمل

(١) انظر: التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ١٥/٢٤٥ – ٢٤٦

في ثناياها الوعيد الشديد وسوء العاقبة للمكذبين المعاندين، وفي الوقت ذاته نجد ألفاظ اللين والبشريات التي تبشر المؤمنين الموحدين بحسن العاقبة وجزيل الثواب.

إنَّها سور تركز على حقائق معينة قليلة العدد، عظيمة القدر، ثقيلة الوزن، وعلى إيقاعات معينة يُلمس بها أوتار القلوب، وعلى مشاهد معينة في الكون والنفس، وعلى أحداث معينة في يوم الفصل، ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۞ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۞ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ۞ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[النبأ: ١٧-٢٠] وعلى إثبات لقدرة الخالق ﷻ : ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ...﴾[عبس: ٢٤] ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ...﴾ [الطارق: ٥] ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ...﴾ [الغاشية: ١٧] ، ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۞ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۞ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧-٢٩] (١)

يقول سيد قطب: " وفي الجزء كله تركيز على النشأة الأولى للإنسان والأحياء الأخرى في هذه الأرض من نبات وحيوان . وعلى مشاهد هذا الكون وآياته في كتابه المفتوح . وعلى مشاهد القيامة العنيفة الطامة الصاخَّة القارعة الغاشية . ومشاهد الحساب والجزاء من نعيم وعذاب في صور تقرع وتذهل وتزلزل كمشاهد القيامة الكونية في ضخامتها وهولها واتخاذها جميعاً دلائل على الخلق والتدبير والنشأة الأخرى وموازينها الحاسمة . مع التقريع بها والتخويف والتحذير وأحياناً تصاحبها صور من مصارع الغابرين من المكذبين . والأمثلة على هذا هي الجزء كله " (٢)

هذه هي المحاور الرئيسة لجزء عمَّ؛ ولا شك أنَّ هذه المحاور البارزة في هذا الجزء تعكس طبيعة الجو المكي الذي نزلت فيه، حيث كان التركيز على قضايا العقيدة والتوحيد وإقرار البعث والحساب والجنة والنار، ونسف المعتقدات الشركية الباطلة التي كانت سائدة في ذلك الوقت.

المطلب الثاني

علاقة سور جزء عمَّ بالمحور الرئيس

بعد الوقوف على المحاور الرئيسة للجزء، ومن خلال التأمل في آيات سور الجزء نلحظ أنَّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين محاور كلِّ سورة منها والمحور الرئيس للجزء.

---

(١) في ظلال القرآن _ سيد قطب _ ٤٢٩/٧

(٢) المرجع السابق _ ٤٣٠/٧

فالسورة الأولى من سور الجزء وهي سورة النبأ تدور آياتها حول الحديث عن الآيات والبراهين الدالة على قدرة الرَّب سبحانه وتعالى، تلك الآيات المبثوثة حولنا في هذا الكون الواسع؛ من أرضٍ مهدت وجبالٍ جعلت أوتاداً، وجَعل المخلوقات كلها أزواجا لتستمر الحياة، والليل والنهار، والسماء والشمس ... وغير ذلك من آيات قدرته وعلامات وحدانيته ﷻ.

" اشتملت هذه السورة على وصف خوض المشركين في شأن القرآن وما جاء به مما يخالف معتقداتهم ، ومن ذلك إثبات البعث، وسؤال بعضهم بعضا عن الرأي في وقوعه مستهزئين بالإخبار عن وقوعه وتهديدهم على استهزائهم، وفيها إقامة الحجة على إمكان البعث بخلق المخلوقات التي هي أعظم من خلق الإنسان بعد موته وبالخلق الأول للإنسان وأحواله . ووصف الأهوال الحاصلة عند البعث من عذاب الطاغين مع مقابلة ذلك بوصف نعيم المؤمنين، وصفة يوم الحشر إنذاراً للذين جحدوا به والإيماء إلى أنهم يعاقبون بعذاب قريب قبل عذاب يوم البعث " (١)

ثمَّ تناولت السورة الحديث عن أحداث اليوم الآخر، والحديث عن جهنم وعذابها، والجنة ونعيمها، وهذا كله مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمحاور الجزء التي ذكرناها سابقاً.

وسورة النازعات بدأت بذكر أهوال الرَّاجفة، والرد على منكري البعث بعد كونهم عظاماً نخرة، ثمَّ ذكرت السورة جانباً من قصة موسى عليه السلام مع فرعون، وما كان من فرعون من إنكار وكفر وتكذيب لرسول الله، وبيان لما حلَّ به لأجل تكذيبه، وبعد ذلك بيَّنت السورة عظمة المولى ﷻ من خلال سرد شيئاً من آياته في خلقه، وختمت السورة بالحديث عن الساعة التي لا يجليها لوقتها إلا هو سبحانه. (٢)

وتلى ذلك سورة عبس وفيها ما فيها من تعداد آيات الله ونعمه على عباده الدالة على عظم قدرته سبحانه وتعالى، وختمت السورة بذكر الصاخة وشدة هولها وانقسام الناس فيها إلى فريقين: وجوه مسفرة .. ووجوه عليها غبرة. (٣)

وبعد ذلك جاءت سورتي التكوير والانفطار وفيهما بيان للأحداث العظام والأهوال الجسام المقدمة ليوم القيامة من تكوير للشمس وانكدار للنجوم وتسيير للجبال ... وانفطار للسماء وانتثار للكواكب وانفجار للبحار... (٤)

---

(١) التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٦/٣٠

(٢) انظر: التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٣١/٣٠

(٣) انظر التفسير الوسيط_ محمد سيد طنطاوي _٢٨١/١٥

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم _ ١١٤/٩

وكذا سورة المطففين تبين من خلال آياتها حال المكذبين وحال المؤمنين في يوم يرجع فيه الناس لرب العالمين.

وسورة الانشقاق من اسمها نعلم محورها الذي دار حول الحديث عن يوم الدين الذي توزع فيه الكتب على العباد، فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه فيفرح به ويسر، ومنهم من يأخذه بشماله فيخفيه وراء ظهره ويكون له العذاب والخزي.

وسورة البروج تقص علينا قصة أصحاب الأخدود الذين تمسكوا بدينهم وإيمانهم في وجه الكفر والطغيان فكان لهم الفوز الكبير.

أما سورة الطارق ففيها بيان لعظمة الخالق في خلق الإنسان، ثمَّ بعثه بعد موته ليلقى ربه ويحاسب على عمله.

ثمَّ تأتي سورة الأعلى وفيها بيان لبعض آيات الله ﷻ، وذكر موقف العباد من تذكرة ربِّهم لهم؛ فمنهم الذي يخشى الذي ينتفع بالذكرى، ومنهم الأشقى الذي يتجنب الذكرى.

وسورة الغاشية تحدثت عن حال الناس يوم الغاشية، ووصف لعذاب المكذبين، ونعيم المؤمنين، ثمَّ لفت للأنظار إلى بعض آيات الله ﷻ.

ثمَّ سورة الفجر وفيها حديث عن الأقوام السابقين الذين كذبوا رسلهم وما حلَّ بهم نتيجة لذلك، موعظة للعباد وذكرى لأولي الألباب، وفي السورة كذلك وصف لبعض مظاهر أهوال يوم القيامة.

وسورة البلد والشَّمس والليل كلها بدأت بأقسام أقسم المولى ﷻ بها، وكلها فيها إشارات لبعض آيات الخالق ﷻ، ثمَّ اشتملت هذه السور على بيان انقسام الناس إلى فريقين؛ أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة، المفلحين والخائبين، المصدقين والمكذبين ... [1]

وهكذا بقية سور الجزء كلها مشتركة في نفس المحاور من حديث عن اليوم الآخر وأهواله الجسام، وحال الناس حين ينقلبون إلى ربهم ﷻ؛ منهم المطمئن بإيمانه، ومنهم الشقي بكفره وعصيانه، وكذلك اشتملت تلك السور على ذكر بعض النماذج للكافرين المكذبين وما آل إليه حالهم من شقاء سرمدي، وفيها أيضاً بيان لأمور عقدية لا بدَّ لكل مؤمن أن ترسخ في قلبه بلا ريب أو شك.

يقول سيد قطب: " وفي الجزء كله تركيز على النشأة الأولى للإنسان والأحياء الأخرى في هذه الأرض من نبات وحيوان . وعلى مشاهد هذا الكون وآياته في كتابه المفتوح . وعلى مشاهد القيامة العنيفة الطامة الصاخة القارعة الغاشية . ومشاهد الحساب والجزاء من نعيم وعذاب في صور تقرع وتذهل وتزلزل كمشاهد القيامة الكونية في ضخامتها وهولها، واتخاذها

---

(١) انظر: التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٢٤١/٣٠، ٢٥٥، ٢٦٦.

جميعاً دلائل على الخلق والتدبير والنشأة الأخرى وموازينها الحاسمة، مع التقريع بها والتخويف والتحذير، وأحياناً تصاحبها صور من مصارع الغابرين من المكذبين، والأمثلة على هذا هي الجزء كله " [1]

من خلال هذا العرض السريع لمحاور سور الجزء نجد أن الارتباط وثيق بين هذه المحاور والمحور الرئيس للجزء، وكأنَّ القارئ لسور الجزء يقرأ سورة واحدة ذات موضوع واحد، ومحور واحد، وأسلوب واحد.

المطلب الثالث

المناسبات بين سور جزء عمَّ

يتناول الباحث في هذا المطلب العلاقة بين كل سورة من سور الجزء بما قبلها وما بعدها من السور حسب ما أورده بعض المفسرين وحسب اجتهاد الباحث.

١-سورة النبأ: تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها وهي المرسلات ظهوراً جلياً حيث إنَّ السورتين تتحدثان عن البعث وإثباته بالدليل، وبيان قدرة الله عليه، وتوبيخ الكفار المكذبين به، ففي المرسلات يقول ﷻ:﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: ١٦] ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠] ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥]، وفي سورة النبأ يقول ﷻ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۞ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۞ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ...﴾ [النبأ: ٦ _ ١٦]، وكذلك فإنَّ السورتين بينهما اشتراك واضح في وصف الجنة والنار، ونعيم المتقين وعذاب الكافرين، ووصف اليوم الآخر وأهواله، وكذلك فإنَّ سورة النبأ فصلت ما أُجمل في سورة المرسلات في الحديث عن يوم الفصل.[2]

أمَّا عن مناسبة سورة النبأ مع السورة التي تليها وهي سورة النازعات فكلتا السورتين تتحدثان عن القيامة وأحوالها، وعن مآل المتقين، ومرجع المجرمين، وكذلك فإنَّ هناك تشابه واضح في مطلع السورتين وخاتمتيهما؛ فمطلع كلٌّ منهما تناول الحديث عن البعث والقيامة، وختمت كل من السورتين بإثبات العذاب والبعث والحشر. [3]

٢-سورة النازعات: سبق بيان مناسبة سورة النازعات بسورة النبأ؛ أمَّا عن مناسبتها بالسورة التي بعدها وهي سورة عبس فإنَّ هناك ارتباط جلي بين السورتين حيث إنَّ الله ﷻ بين في سورة

---

(١) في ظلال القرآن _ سيد قطب _ ٤٣٠/٧

(٢) انظر: التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٥/٣٠

(٣) انظر: المرجع السابق _ ٣٠/٣٠

النازعات أنَّ النبي ﷺ هو المنذر لمن يخشى الساعة، وفي سورة عبس ذكر من ينفعه الإنذار، وهم الذين كان رسول الله ﷺ يناجيهم في أمر الإسلام ويدعوهم إليه؛ كما أن بين السورتين تشابها في موضوع الحديث عن يوم القيامة وأهوالها، وإثبات البعث بمخلوقات الله في الإنسان والكون، ففي النازعات أثبت الله ﷻ البعث بخلق السماء والأرض والجبال، وفي عبس أثبته بخلق الإنسان والنبات والطعام.(١)

٣-سورة عبس: بعد بيان مناسبة سورة عبس بسورة النازعات نلحظ أيضاً أن المناسبة متصلة أيضاً بالسورة التي تليها وهي سورة التكوير؛ حيث إنَّ الأخيرة فيها ذكر وبيان لأهوال يوم القيامة كما في سورة عبس.

٤-سورتي التكوير والانفطار: لا يخفى ما بين هاتين السورتين من تناسب شديد، يظهر ذلك من اسميهما، ومن آياتهما؛ فكلا السورتين تتحدثان عن أهوال يوم الحساب.

٥-سورة المطففين: المناسبة بين سورة المطففين وسورة الانفطار من عدة وجوه؛ ولكنَّ أظهر هذه الوجوه أنَّ كلا السورتين تحدثت عن تصنيف الناس إلى فريقين: أبرار وفجار، وذكر مآل كل فريق، إما إلى الجنة، وإما إلى النار. قال أبو حيان: " والمناسبة بين السورتين ظاهرة فلما ذكر تعالى السعداء والأشقياء ويوم الجزاء وعظم شأن يومه، ذكر ما أعد لبعض العصاة، وذكّرهم بأخس ما يقع من المعصية، وهي التطفيف الذي لا يكاد يجدي شيئا في تثمير المال وتنميته "(٢)

أما عن مناسبة السورة لسورة الانشقاق فظاهر أيضاً حيث إنَّ السورة الأخيرة فيها أيضاً ذكر لأهوال يوم القيامة، وفيها بيان انقسام الناس لفريقين وعنيت كذلك بما يعقب ذلك من الحساب اليسير لأهل اليمين والحساب العسير لأهل الشمال.

٦-سورة الانشقاق: يمكن أن يربط بين سورة الانشقاق وسورة البروج من حيث المناسبة بينهما باشتمال السورتين على وعد المؤمنين، ووعيد الكافرين، والتنويه بعظمة القرآن.

٧-سورتي البروج والطارق: كل من السورتين افتتحت بالقسم بالسماء وما فيها من آيات دالة على عظمة الخالق سبحانه، وكذلك اشتملت السورتين على الوعيد للكفار المكذبين، وفي كلا السورتين إثبات لصدق القرآن الكريم ونزوله من عند رب العالمين ففي البروج:﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ

---

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات و، السور _ البقاعي _ ٤٨٩/٨

(٢) البحر المحيط _ ٤٣١/٨

﴿ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج: ٢١ – ٢٢] ، وفي الطارق: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۞ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۞ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۞ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾ [الطارق: ١١ – ١٤]

٧–**سورتي الأعلى والغاشية:** هناك تناسب بين سورة الأعلى والسورة التي قبلها، حيث إنَّ سورة الطارق ذكرت خلق الإنسان ﴿ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾[الطارق: ٦ – ٧] وبدأ خلق النبات ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۞ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾[الطارق: ١١ – ١٢]، وسورة الأعلى جاءت بما هو أعم وأشمل من خلق الإنسان وغيره من المخلوقات ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ [الأعلى: ٢] (١)

وبين سورتي الأعلى والغاشية مناسبة وثيقة أيضاً حيث إنَّ سورة الغاشية جاءت تفصل لما جاء في سورة الأعلى من أوصاف المؤمنين والجنة والنار، وكذلك فإن السورتين تضمنتا الأمر بالتذكير والموعظة ففي الأعلى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ [الأعلى: ٩] ، وفي الغاشية: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [الغاشية: ٢١]

٨–**سورة الفجر والبلد والشمس والليل:** تتضح المناسبة بين سورة الفجر وسورة الغاشية باشتمال سورة الغاشية على قسمة الناس إلى فريقين: أشقياء وسعداء، أصحاب الوجوه الخاشعة، وأصحاب الوجوه الناعمة، واشتملت سورة الفجر على ذكر طوائف من الطغاة: عاد وثمود وفرعون الذين هم من الفريق الأول، وطوائف من المؤمنين المهتدين الشاكرين نعم اللَّه، الذين هم في عداد الفريق الثاني، فكان الوعد والوعيد حاصلا في السورتين.

ومن وجوه المناسبة بين السورتين ما قاله البقاعي _ رحمه الله _: " لما ختمت سورة الغاشية بأنه لا بد من الإياب والحساب ، وكان تغيير الليل والنهار وتجديد كل منهما بعد إعدامه دالاً على القدرة على البعث ، وكان الحج قد جعله الله في شرعه له على وجه التجرد عن المخيط ولزوم التلبية والسير إلى الأماكن المخصوصة آية مذكرة بذلك قال : ﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ [الفجر: ١]" (٢)

وكذلك فإنَّ بين سورة الفجر وما بعدها من سورة البلد وسورة الشمس وسورة الليل شيء من التناسب فكل من هذه السور افتتحت بالقسم الإلهي بمخلوقات عظيمة من مخلوقات الله ﷻ، هذه المخلوقات الدالة على عظمة الخالق البارئ سبحانه.

---

(١) انظر: التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ١٨٥/٣٠

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور _ ٦١٧/٨

٨- **سورتي الضحى والشرح:** تتضح المناسبة جلية بين سورة الضحى وما قبلها من سورة الليل بافتتاح كلا السورتين بالقسم بأوقات مباركة خصها الله ﷻ، وكذلك ختمت سورة الليل بوعد كريم من اللَّه ﷻ بإرضاء الأتقى في الآخرة، وقال تعالى في سورة الضحى مؤكدا وعده لنبيه ﷺ بقوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ [الضحى: ٥]

أما بالنسبة لما بين سورة الضحى والشرح من مناسبة فالأمر واضح جلي فكلا السورتين فيهما تعداد لنعم المولى ﷻ على نبيه ﷺ ، وكأنَّ سورة الشرح مكملة لسورة الضحى، يقول البقاعي: " لما أمر الله ﷻ نبيه ﷺ في آخر الضحى بالتحديث بنعمته التي أنعمها عليه فصلها في هذه السورة فقال مثبتاً لها في استفهام إنكاري مبالغة في إثباتها: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح: ١] " (١)

٩- **سورة التين:** في مناسبة سورة التين لسورة الشرح يقول الدكتور وهبة الزحيلي: " ذكر اللَّه تعالى في سورة الشرح حال أكمل الناس خلقا وخلقا، وأنه أفضل العالم، ثم ذكر في هذه السورة حال النوع الإنساني وما ينتهي إليه أمره من التدني ودخول جهنم إن عادى رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلّم، أو دخول الجنة إن آمن به وعمل صالحا " (٢)

١٠- **سورة العلق:** في سورة التين ذكر ﷻ خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم في هذه السورة بين ﷻ أنه خلق الإنسان من علق، فكان ما تقدم في سورة التين بيان للعلة الصورية وهنا بيان للعلة المادية (٣)

١١- **سورة القدر:** ومناسبة هذه السورة لما قبلها ما قاله الألوسي: " إنَّها كالتعليل للأمر بقراءة القرآن المتقدم في سورة العلق، كأنَّه قيل اقرأ القرآن لأنَّ قدره عظيم وشأنه فخيم " (٤)

١٢- **سورة البينة:** جاءت سورة البينة كالعلة والنتيجة لسورة القدر، فكأنه لما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١] قيل: لم أنزل القرآن؟ فقيل: لأنَّه لم يكن الذين كفروا منفكّين عن كفرهم، حتى تأتيهم البينة، فهي كالعلة لإنزال القرآن، المشار إليه في سورة القدر المتقدمة. (٥)

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور _٨/ ٦٨٦

(٢) التفسير المنير _ ٣٠١/٣٠

(٣) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني _ الألوسي _ ١٧٨/٣٠

(٤) المرجع السابق _ ١٨٩/٣٠

(٥) انظر: البحر المحيط _ أبو حيان الأندلسي _ ٤٩٤/٨، التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٣٣٩/٣٠

١٣- الزلزلة والعاديات والقارعة: بعد أن انتهت سورة البينة ببيان جزاء الكافرين وجزاء المؤمنين ومآل كل منهم جاءت هذه السور الثلاثة تتحدث عن يوم القيامة الذي يكون فيه الحساب والمصير إلى ذلك المآل؛ فسورة الزلزلة فيها بيان لأهوال يوم القيامة وخروج الناس للحساب، وبيان للميزان الدقيق الذي توزن به أعمال العباد، وسورة العاديات تناولت الحديث عن بداية البعث، وفيها توبيخ للإنسان الكنود الجاحد لنعمة ربه ﷻ، الذي يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة، وسورة القارعة من اسمها تقرع القلوب، وصورت ما يكون عليه العباد من فزع وجزع، ثم بينت انقسام الناس إلى شقي وسعيد.

وهكذا نرى أن هذه السور الثلاثة قد تحدثت عن موعد الحساب والجزاء الذي انتهت به سورة البينة [١]

١٤- سورة التكاثر: مناسبة هذه السورة لما قبلها ظاهرة؛ فبعد أن أخبرت سورة القارعة عن بعض أهوال القيامة، وجزاء السعداء والأشقياء، ذكرت هذه السورة علة استحقاق النار وهو الانشغال بالدنيا عن الدين، واقتراف الآثام. [٢]

١٥- سورة العصر: في مناسبة هذه السورة لما قبلها يقول الدكتور وهبة الزحيلي: " لما بيّن في السورة المتقدمة أن الاشتغال بأمور الدنيا والتهالك عليها مذموم، أراد أن يبين في هذه السورة ما يجب الاشتغال به من الإيمان والأعمال الصالحات، وهو ما يعود إلى النفس، ومن التواصي بالخيرات وكفّ النفس عن المناهي أو المعاصي، وهو ما يعود إلى المجتمع " [٣]

١٦- سورة الهمزة: لما بين الله ﷻ في سورة العصر أنَّ الإنسان في خسران إلا من استثنى الله من المؤمنين، جاءت هذه السورة تبين أحوال بعض الخاسرين، وكأنه ضرب مثل لؤلئك الخاسرين[٤]

١٧- سورتي الفيل وقريش: بعد أن ذكر اللَّه ﷻ في السورة السابقة حال الذي جمع مالاً، وتعزز بماله، وأبان ﷻ أنَّ المال لا يغني من اللَّه شيئاً، ذكر في هذه السورة الدليل على ذلك،

---

(١) انظر: نظم الدرر _ البقاعي _ ٥٠٤/٨

(٢) انظر: البحر المحيط _ أبو حيان الأندلسي _ ٥٠٥/٨

(٣) التفسير المنير _ ٣٩٠/٣٠

(٤) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني _ الألوسي _ ٢٢٩/٣٠

بإيراد قصة أصحاب الفيل الذين كانوا أشدّ منهم قوةً، وأكثر مالاً، وأعظم، وقد أهلكهم اللَّه بأصغر الطير وأضعفه، ولم يغنِ عنهم مالهم ولا عددهم ولا قوتهم شيئا. (١)

ولا يخفى أنَّ سورة قريش شديدة الاتصال بسورة الفيل؛ إذ أنَّ كلتا السورتين تذكير بنعم اللَّه على أهل مكة، فسورة الفيل تشتمل على إهلاك عدوهم الذي جاء لهدم البيت الحرام أساس مجدهم وعزهم، وهذه السورة تذكر نعمة أخرى اجتماعية واقتصادية، حيث حقق اللَّه بينهم الألفة واجتماع الكلمة، وأكرمهم بنعمة الأمن والاستقرار، ونعمة الغنى واليسار، يقول سيد قطب: " هذه السورة تبدو امتداداً لسورة الفيل قبلها من ناحية موضوعها وجوها " (٢)

١٨- **سورة الماعون:** من المناسبات التي يمكن أن تلحظ بين هذه السورة والتي قبلها أنَّ سورة قريش ختمت بالأمر بشكر الله ﷻ ووجوب عبادته سبحانه فهو المنعم المتفضل على عباده ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣ ، ٤] ثمَّ جاءت هذه السورة لتعرِّف العباد أن ذلك الشكر للمولى ﷻ لا يتهيأ إلا بالتصديق بالجزاء الحامل على معالي الأخلاق الناهي عن مساوئها. (٣)

١٩- **سورة الكوثر:** سورة الكوثر كالمقابلة لسورة الماعون التي جاءت قبلها؛ ففي سورة الماعون وصف اللَّه ﷻ الكفار والمنافقين الذين يكذبون بالدين بأربع صفات: البخل وترك الصلاة والرياء ومنع الخير، وذكر في هذه السورة في مقابلة تلك الصفات الأربع صفات أربعا للنبي ﷺ، فذكر أنَّه أعطاه الكوثر وهو الخير الكثير الذي يستلزم من النبي ﷺ أن يكون جواداً كريماً في مقابلة البخل، وأمره بالمواظبة على الصلاة في مقابلة ترك الصلاة والتكاسل عنها، وأمره بالإخلاص في الصلاة في مقابلة المراءاة، وأمره بالتصدق بلحم الأضاحي على الفقراء، في مقابلة منع الماعون(٤).

٢٠- **سورة الكافرون:** يقول الزحيلي في مناسبة هذه السورة للتي قبلها: " أمر اللَّه ﷻ نبيه ﷺ في السورة السابقة بإخلاص العبادة للَّه وحده لا شريك له، وفي هذه السورة سورة التوحيد والبراءة من الشرك تصريح باستقلال عبادته عن عبادة الكفار، فهو لا يعبد إلا ربه، ولا يعبد ما يعبدون من الأوثان والأصنام، وبالغ في ذلك فكرّره وأكّده، وانتهى إلى أن له دينه، ولهم دينهم " (٥).

---

(١) انظر: التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٤٠٣/٣٠

(٢) في ظلال القرآن _ سيد قطب _ ١٠٩/٨

(٣) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور _ البقاعي _ ٥٤١/٨

(٤) انظر: مفاتيح الغيب _ الرازي _ ٣٢٣/٣٢

(٥) التفسير المنير _ ٤٣٧/٣٠

٢١- سورة النصر: رغم أنَّ هذه السورة متأخرة في النزول عن سابقتها، وبينهما من الزمن سنوات طوال، إلا أنَّ هناك مناسبة لطيفة بين السورتين، وذلك أنَّه سبحانه لما أخبر في آخر السورة المتقدمة باختلاف دين الإسلام الذي يدعو إليه الرسول ﷺ عن دين الكفار، أنبأه هنا بأنَّ دينهم سيضمحل ويزول، ودينه سيعلو وينتصر وقت مجيء الفتح والنصر [١]

يقول الشيخ الشعراوي _ رحمه الله _ : " بعد أن قطع الرسول ﷺ العلاقات مع معسكر الشرك، جاء نصر الله سبحانه وتعالى وفَتْحه، فَهُرِع الناس من معسكر الشرك إلى معسكر الإيمان[٢]

٢٢- سورة المسد: من مناسبة هذه السورة لما قبلها أنّ المولى ﷻ بين في السورة السابقة أنَّ جزاء المطيع حصول النصر والفتح في الدنيا، والثواب الجزيل في الآخرة، وفي هذه السورة ذكر أن عاقبة العاصي الخسارة في الدنيا والعقاب في الآخرة [٣]

٢٣- سورة الإخلاص: لما تقدم في السورة التي قبلها بيان عداوة أقرب الناس إلى الرسول ﷺ، وهو عمه أبو لهب ، وما كان يقاسي من عُبَّاد الأصنام الذين اتخذوا مع الله آلهة أخرى، جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد، رادَّة على الكفار وعُبَّاد الأوثان [٤]

٢٤- سورتي الفلق والناس: لما أبان اللَّه ﷻ أمر الألوهية في سورة الإخلاص لتنزيه اللَّه عما لا يليق به في ذاته وصفاته، أبان في هذه السورة وما بعدها وهما المعوذتان ما يستعاذ منه باللَّه من الشر الذي في العالم، ومراتب مخلوقاته الذين يصدون عن توحيد اللَّه، كالمشركين وسائر شياطين الإنس والجنّ [٥]

وبهذا العرض الموجز لما بين سور جزء عمَّ من المناسبات يجد المتأمل أنَّ سور القرآن الكريم كلها منظومة في نظم واحد، ورغم التباعد الزمني بين نزولها إلا أنَّ في ترتيبها المعجز في المصحف دلالات عظيمة، وفيه إشارات معبرة جليلة، فالرابط بين سور القرآن كلها هو ذاك الهدف الأصيل الذي جاء القرآن لتحقيقه ألا وهو إنشاء أمَّة موحدة لله ﷻ، وإقامة دولة تقيم شرع الله، وتنظيم مجتمع على أساس من عقيدة صافية

---

(١) انظر: البحر المحيط _ أبو حيان الأندلسي _ ٥٢٤/٨

(٢) تفسير الشعراوي _ ٤٠٩٨/١

(٣) انظر: مفاتيح الغيب _ الرازي _ ٣٥٣/٣٢

(٤) انظر: البحر المحيط _ أبو حيان الأندلسي _ ٥٢٩/٨

(٥) انظر: التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٤٧٠/٣٠

المبحث الثالث

مقاصد سور جزء عمَّ

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المراد بالمقاصد وبيان أهميتها.

المطلب الثاني: مقاصد سور جزء عمَّ.

المطلب الأول

المراد بالمقاصد وبيان أهميتها

إنَّ المتأمل في سور الكتاب العزيز، والمتدبر لآياته بما تضمنته من أحكام وأخبار ووصايا، يجد أنَّه اهتم بشكل رئيس بمقاصد هذا الدين عامَّة، وكلياته الأساسية، ولم يُعرِّج على تفاصيل الأحكام إلا في مواضع قليلة ومواطن محددة؛ وذلك أنَّ القرآن كتاب كل زمان ومكان، وكتاب الماضي والحاضر والمستقبل، فاقتضى الحال أن يكون خطابه عاماً وكليًّا، وبما هو أساسي ومقصدي، ومن هنا جاءت كل سورة من سوره تبرز مقصداً رئيساً، وهدفاً كليًّا تدور حوله السورة، وتحوم عليه، إبرازاً له، وتأكيداً عليه.

وقد تنبه العلماء والمفسرون قديماً وحديثاً على أهمية مقاصد سور القرآن الكريم فتحدثوا عنها إجمالاً وتفصيلاً، وأصالة وتبعاً، إلى أن تشكل لديهم علم مهم، له ملامحه ومعالمه، وهو علم مقاصد وأغراض سور القرآن .

وعلم مقاصد القرآن: يقصد منه الوقوف على المعاني والأغراض الأساسية والموضوعات الرئيسة التي تدور عليها سورة معينة، وقد يُعبِّر المفسرون عن مصطلح (مقاصد السور) بمصطلحات أُخر، مثل: مغزى السورة، أو غرض السورة، أو الوحدة الموضوعية، أو نحو ذلك

ومن خلال هذا التعريف يتضح لنا أنَّ كل سورة في القرآن الكريم تتناول مقصداً واحداً، وتتلاحم آياتها لتغطية محاور هذا المقصد من جميع جوانبه.

وممن أشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية حيث أشار إلى ذلك في تفاريق رسائله، من ذلك قوله: " اشتملت سورة البقرة على تقرير أصول العلم وقواعد الدين " وقال: " فتدبر تناسب القرآن وارتباط بعضه ببعض " [١]

وأشار إلى ذلك أيضاً الإمام أحمد بن الزبير الغرناطي [٢] فقد ألف كتاباً سماه "البرهان في ترتيب سور القرآن" في مجلد واحد قال فيه: " إني تأملت فيها بفضل الله وجوه ارتباطاته وتلاحم سوره وآياته إلى ما يلتحم مع هذا القبيل من عجائب شواهد التنزيل " [٣]

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية _ ٤١/١٤ ، ٤٦

(٢) الإمام العالم الفاضل الشيخ أبو جعفر أحمد بن إبراهيم، الشهير بابن الزبير الغرناطي، قد صنف البرهان في تفسير القرآن ذكر فيه مناسبة كل سورة لما قبلها وصنف ملاك التأويل في فن التفسير مؤلف ضخم الحجم لخص فيه كتاب العلامة القاضي الحصنكيفي وزاد عليه من التفسير ما يحتاج إليه المفسرون والمصنفون، وكانت وفاته في سنة ٩٨٠ للهجرة (انظر: طبقات المفسرين _ أحمد بن محمد الأدنروي _ ص٣٩٧)

(٣) البرهان في ترتيب سور القرآن _ ص ٧٦

أما برهان الدين البقاعي فقد ألف تفسيراً سماه " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، طبع في ثمانية مجلدات، نقل فيه كلام الغرناطي والحرالي [١]، ثم زاد عليهما أضعافه في تناسب الآيات فيما بينها، وتناسب السور، وبين فيه مقاصد السور بما أدى إليه اجتهاده.

ومن العلماء المعاصرين الذين اهتموا بهذا العلم الدكتور مصطفى مسلم حيث يقول: "يجد الباحث لكل سورة شخصيتها المستقلة وأهدافها الأساسية " [٢]

أما سيد قطب فقد اهتم بعرض أهداف وأساسيات كل سورة قبل البدء في تفسيرها في كتابه في ظلال القرآن.

والملاحظ في هذا الصدد، أن بعض المفسرين اكتفى بالإشارة إلى مقاصد السور القرآنية دون التنصيص على ذلك، مثل: الإمام الطبري وابن كثير .وبعضهم صرَّح بمقصد السورة دون أن يكون له منهج محدد في هذا الشأن، كالرازي، وابن تيمية، وابن القيم، كما أن الإمام الزركشي كتب أبواباً في كتابه "البرهان" متعلقة بمقاصد السور والتناسب بينها، تعتبر على قصرها كالتأصيل لهذا العلم

والاهتمام الأبرز في هذا العلم كان من المفسرين المعاصرين، أمثال: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره " التحرير والتنوير "، وسيد قطب في كتابه "في ظلال القرآن"، وسعيد حوى في كتابه " الأساس في التفسير "

ومن أشهر المؤلفات المعاصرة في بيان علم مقاصد السور القرآنية: كتاب "مدخل إلى علم مقاصد السور" للدكتور محمد عبد الله الربيعة، وكتاب " مقاصد السور وأثر ذلك في فهم التفسير " للشيخ صالح آل الشيخ.

ولا شك، فإن الحاجة داعية لبذل مزيد من الجهد ليأخذ هذا العلم مكانه ضمن منظومة علوم القرآن؛ حتى نكون قد أدينا جزءًا من واجبنا تجاه هذا الكتاب العظيم، الذي اختصنا الله تعالى به دون سائر الأمم.

ومما لا يخفى ما لهذا العلم من أهمية كبيرة في فهم مراد الله ﷻ، وتدبر كتابه العزيز، إذ أنه بمعرفة مقاصد السورة القرآنية يسهل على المتدبر لكتاب الله ﷻ الوقوف على معاني وأسرار تلك السورة وما تحتويه من توجيه وإرشاد وبيان.

---

(١) هو العلامة المتفنن أبو الحسن علي بن أحمد الأندلسي، و واشتهر بالحرالي نسبة إلى قرية حرالة، ولد بمراكش، وأخذ النحو عن ابن خروف، ولقي العلماء، وجال في البلاد، وعمل تفسيرا عجيبا ملاه باحتمالات كثيرة، وتكلم في علم الحروف والاعداد، ووعظ بحماة، وأقبلوا عليه، وصنف في المنطق، وفي شرح الأسماء الحسنى، وكان يضرب بحلمه المثل، مات سنة ٦٣٧ للهجرة. (انظر: سير أعلام النبلاء _ الذهبي _ ٤٧/٢٢)

(٢) مباحث في التفسير الموضوعي _ ص ٢٩

المطلب الثاني

مقاصد سور جزء عمَّ

بعد أن بين الباحث في المطلب السابق المراد بالمقاصد وأهميتها في فهم مراد الله ﷻ، ولما لهذه المقاصد من أهمية كبيرة في بيان منهج التغيير والإصلاح في جزء عمَّ، أفرد الباحث هذا المطلب لبيان مقاصد كل سورة من سور الجزء على حدا بدون إسهاب.

١- **سورة النبأ:** من أهم مقاصد هذه السورة توبيخ المشركين على خوضهم في القرآن الكريم بدون علم، وتهديدهم بسوء المصير إذا ما استمروا في طغيانهم، وإقامة الأدلة المتنوعة على وحدانية الله ﷻ، وعلى مظاهر قدرته، وبيان ما أعده سبحانه للكافرين من عقاب، وما أعده للمتقين من ثواب، وإنذار للناس بوجوب تقديم العمل الصالح من قبل أن يأتي يوم القيامة، الذي لا ينفع فيه الندم على ما فات [١].

٢- **سورة النازعات:** لهذه السورة مقاصد عدة تتمثل في إقامة الأدلة على وحدانية الله ﷻ، وعلى أنَّ البعث حقّ، وذِكر جانب كبير من علامات يوم القيامة وأهواله، والرد على المنكرين الذين أنكروا وقوعه، وتذكير الناس بجانب مما دار بين موسى عليه السلام وبين فرعون من مناقشات، وكيف أنَّ الله ﷻ قد أخذ فرعون أخذ عزيز مقتدر.

كما أنَّ السورة الكريمة اشتملت على مظاهر قدرته ﷻ، التي نراها ونشاهدها في خلقه سبحانه للسموات وللأرض وما اشتملتا عليه عن عجائب،.ثمَّ ختمت ببيان حسن عاقبة المتقين، وسوء عاقبة الكافرين، وبالإجابة على أسئلة السائلين عن يوم القيامة، وبيان أنَّ موعد مجيء هذا اليوم مرده إلى الله ﷻ وحده. [٢].

٣- سورة عبس: موضوع السورة يتمحور حول العقيدة والرسالة والأخلاق التي قوامها في الإسلام المساواة بين الناس، دون تفرقة بين غني وفقير؛ حيث ابتدأت السورة بذكر قصة عبد الله بن أم مكتوم، وأبانت أن القرآن ذكرى وموعظة لمن عقل وتدبر،ثم نددت بجحود الإنسان وكفره بنعم ربه وإعراضه عن هداية الله، ثم أتبعت ذلك بإقامة الأدلة على قدرة الله ووحدانيته بخلق الإنسان والنبات وتيسير طعام ابن آدم وشرابه، لإثبات القدرة على البعث.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٥/٣٠

(٢) انظر: التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٢٦١/١٥

وختمت السورة بوصف أهوال يوم القيامة، وفرار الإنسان من أقرب الناس إليه، وبيان حال المؤمنين السعداء والكافرين الأشقياء في هذا اليوم العصيب. [١]

٤- **سورة التكوير:** إنَّ المتأمل في هذه السورة الكريمة، يجد أنَّها تسوق أمارات يوم القيامة وعلاماته، بأسلوب مؤثر يبعث في القلوب الخوف والوجل، كما أكدت على قضية البعث والحساب، وتؤكد على أنَّ هذا القرآن الكريم من عند الله ﷻ وليس من كلام البشر، وأنَّ جبريل الأمين قد نزل به على قلب النبي ﷺ. [٢]

٥- **سورة الانفطار:** مقاصد هذه السورة ليست بعيدة عن مقاصد السورة التي قبلها من حيث التأكيد على حقيقة البعث والحساب من خلال سرد لبعض أحداث وأهوال يوم القيامة، لبيان ضخامة ذلك اليوم ووجوب الاستعداد له، وبيان حسن عاقبة الأبرار، وسوء عاقبة الفجار. [٣]

٦- **سورة المطففين:** اشتملت هذه السورة على التحذير من التطفيف في الكيل، وأنَّ ذلك مما سيحاسبون عليه يوم القيامة، وتهويل ذلك اليوم بأنه وقوف عند ربهم ليفصل بينهم وليجازيهم على أعمالهم وأن الأعمال محصاة عند الله، ووعيد الذين يكذبون بيوم الجزاء، والذين يكذبون بأنَّ القرآن منزل من عند الله، وذكر الله في هذه السورة أيضاً أحوال الفجار والأبرار، ومصير أرواحهم بحسب أعمالهم، وتنعمهم أو عذابهم بحسب ذلك، ثم ذكر الله استهزاء المجرمين بالمؤمنين وعاقبة ذلك.[٤]

٧- **سورة الانشقاق:** تضمنت هذه السورة على حث المؤمنين أن يزدادوا من الإيمان والعمل الصالح، وحذرت الكافرين من سوء عاقبة إصرارهم على كفرهم وفسوقهم، وذلك من خلال وصف أشراط الساعة، وتفصيل الحديث عن أحوال السعداء والأشقياء يوم القيامة. [٥]

٨- **سورة البروج:** اعلم أنَّ المقصود من هذه السورة تسلية النبي ﷺ وأصحابه، وذلك عن طريق ذكر جانب من إيذاء الكفار للمؤمنين السابقين، وبيان أن سائر الأمم السالفة كانوا كذلك، وأنَّ

---

(١) انظر: التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ٥٧/٣٠

(٢) انظر: التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ١٣٩/٣٠

(٣) انظر: في ظلال القرآن _ سيد قطب _ ٧٤٥/٧

(٤) انظر: سلسلة التفسير لمصطفى العدوي (دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net) _ درس رقم ٨٧

(٥) انظر: التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٣٣١/١٥

هذه سنة من سنن الله ﷻ، كما أنَّ السورة الكريمة ساقت الأدلة على وحدانية الله ﷻ وقدرته، ونفاذ أمره. [١]

٩- سورة الطارق: المقصد الرئيس لهذه السورة بيان الدلالات على قدرة الله ﷻ من خلال عرضها لبعض المشاهد الكونية؛ كخلق الإنسان ونشأت النبات، والقسم بذلك على أنَّ القرآن قولٌ فصلٌ من عند الله ﷻ، وختمت السورة بتهديد الكافرين، وبيان عاقبة المتقين [٢].

١٠- سورة الأعلى: مقصد هذه السورة المكية الحديث عن توحيد اللَّه ﷻ وقدرته، والقرآن وتيسير حفظه، والأخلاق الكريمة بتهذيب النفس الإنسانية، وختمت السورة ببيان فلاح كل من طهر نفسه من الكفر والشرك والمعاصي، وتذكّر دائما في نفسه جلال اللَّه وعظمته، ولم يؤثر الدنيا على الآخرة [٣].

١١- سورة الغاشية: " اشتملت هذه السورة الكريمة على بيان أحوال الكافرين والمؤمنين يوم القيامة، كما لفتت أنظار الناس إلى مظاهر قدرة الله ﷻ في خلقه، لكي يتفكروا ويتدبروا أنَّ الخالق لهذه الأشياء بتلك الصورة البديعة، هو المستحق للعبادة والطاعة، وأنهم سيعودون إليه للحساب والجزاء " [٤].

١٢- سورة الفجر: من أهم مقاصد هذه السورة الكريمة: تذكير المشركين بما حل بالمكذبين من قبلهم، كقوم عاد وثمود وفرعون، وفي ذلك ضرب المثل لمشركي مكة في إعراضهم عن قبول رسالة ربهم، وفي السورة أيضاً بيان لأحوال الإنسان في حال غناه وفي حال فقره، وردعه عن الانقياد لهوى نفسه، ولفت نظره إلى أهوال يوم القيامة، وفيها تبشير أصحاب النفوس المؤمنة المطمئنة، برضا ربها عنها، وبظفرها بجنة عرضها السموات والأرض. [٥].

١٣- سورة البلد: مقصود هذه السورة بيان ما للبيت الحرام من مكانة عند الله ﷻ، وذلك من خلال القسم به في مطلع السورة، وكذلك فإنَّ السورة الكريمة فيها من الدلالة على نفي القدرة المطلقة للإنسان وإثباتها لله ﷻ، كذلك في السورة بيان لبعض نعم المولى ﷻ على عباده [٦].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب _ الرازي _ ١٠٤/٣١

(٢) انظر: في ظلال القرآن _ سيد قطب _ ٤٣١/٧

(٣) انظر: التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ١٨٥/٣٠

(٤) التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٣٧١/١٥

(٥) انظر: التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٣١١/٣٠

(٦) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور _ البقاعي _ ٤٢٥/٨

١٤- **سورة الشمس:** مقصد هذه السورة بيان حقيقة النفس الإنسانية، وأهمية تزكيتها، وذلك من خلال ضرب المثل بالخيبة التي تصيب من لا يزكي نفسه، من خلال عرض لجانب من قصة ثمود الذين كذبوا الرسل وعقروا ناقة الله ﷻ [١].

١٥- **سورة الليل:** مقصد السورة بيان شرف المؤمنين، وفضائل أعمالهم، ومذمة المشركين ومساوئهم، وجزاء كل فريق منهم، وأنَّ الله يهدي الناس إلى الخير؛ فهو يجزي المهتدين بخير الدنيا والآخرة، ويجزي الضالين بعكس ذلك [٢].

١٦- **سورتي الضحى والشرح:** مقصد هاتين السورتين واضح جلي؛ حيث يتمركز حول تسلية النبي ﷺ، من خلال بيان فضله ومنزلته عند ربه ﷻ، وما ادخره له من الأجر والثواب في الآخرة، ومن خلال تعداد نعم الله عليه ﷺ، كذلك ختمت السورتان بعدة وصايا ربانية للنبي ﷺ وهي: العطف على اليتيم، وصلة المسكين، وشكر نعمة العظيم في سورة الضحى، والمواظبة على العبادة ودوام التوكل على الله ﷻ رغبة بما عنده في سورة الشرح.

١٧- **سورة التين:** يقول سيد قطب في مقصد هذه السورة: " الحقيقة الرئيسية التي تعرضها هذه السورة هي حقيقة الفطرة القويمة التي فطر الله الإنسان عليها، واستقامة طبيعتها مع طبيعة الإيمان، والوصول بها معه إلى كمالها المقدور لها، وهبوط الإنسان حين ينحرف عن سواء الفطرة واستقامة الإيمان " [٣].

١٨- **سورة العلق:** مقصد هذه السورة العظيمة هو التأسيس لبداية هذه الدعوة العظيمة، وتبليغ رسالة القرآن للعالم من خلال النبي ﷺ بداية، ثم أتباعه من بعده إلى قيام الساعة، وفي السورة بيان لأهمية العلم والتعلم، وفيها تهديد لكل من يقف في وجه دعوة الإسلام التي جاء بها النبي ﷺ من عند ربه ﷻ [٤].

١٩- **سورة القدر:** " من أهم مقاصد السورة الكريمة: التنويه بشأن القرآن، والإعلاء من قدره، والرد على من زعم أنه أساطير الأولين، وبيان فضل الليلة التي نزل فيها، وتحريض المسلمين على إحيائها بالعبادة والطاعة لله رب العالمين " [٥]

---

(١) انظر: في ظلال القرآن _ سيد قطب _ ٣٩١٥/٦

(٢) انظر: التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٣٣٧/٣٠

(٣) في ظلال القرآن _ ٣٩٣٢/٦

(٤) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن _ الشنقيطي _ ١٢/٩

(٥) التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٤٦١/١٥

٢٠- **سورة البينة:** في هذه السورة توبيخٌ للمشركين وأهل الكتاب على تكذيبهم بالقرآن والرسول ﷺ، والتعجب من تناقض حالهم إذ هم ينتظرون أن تأتيهم البينة فلما أتتهم البينة كفروا بها وفي السورة أيضاً ثناءٌ على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتخلل ذلك تنويه بالقرآن وفضله على غيره من الكتب السابقة [١].

٢١- **سورة الزلزلة:** مقصد هذه السورة بيان شدة أهوال يوم القيامة؛ حيث تزلزل الأرض زلزالاً عظيماً يُخرج الناس من بطنها لتشهد عليهم بما كانوا يعملون، ثم انتقلت السورة لبيان هيبة الموقف والعرض والحساب حيث توزن الأعمال بالذرة، " إنها هزة عنيفة للقلوب الغافلة. هزة يشترك فيها الموضوع والمشهد والإيقاع اللفظي، وصيحة قوية مزلزلة للأرض ومن عليها فما يكادون يفيقون حتى يواجههم الحساب والوزن والجزاء في بضع فقرات قصار " [٢].

٢٢- **سورة العاديات:** من أهم أغراض هذه السورة ومقاصدها بيان عظم الجهاد وشأنه، وبيان عظم شأن المجاهدين في سبيل الله، وكذلك شأن كل ما أوقف لغرض الجهاد في سبيل الله ﷻ، كالخيل وغيرها، وفي السورة أيضاً بيان لما جبل عليه الإنسان من حرصٍ على الدنيا. وتحريض الناس على أن يتزودوا بالعمل الصالح الذي ينفعهم يوم الحساب [٣].

٢٣- **سورة القارعة:** مقصد هذه السورة واضح جلي حيث إنَّ السورة تمحورت حول الحديث عن يوم القيامة وأهواله وشدائده وخروج الناس من قبورهم فزعين لملاقاة رب العالمين، وفي ذلك تحفيز للناس على الاستعداد لذلك اليوم بالإيمان والتقوى والعمل الصالح.

٢٤- **سورة التكاثر:** المقصد من هذه السورة تخويف الناس من أهوال يوم القيامة، وما سيلاقونه عندما ينقلبون إلى ربهم، وكأنَّ المولى ﷻ يرشد عباده ويحفزهم من خلال ذلك للعمل والاستعداد لذلك اليوم المهيب.

٢٥- **سورة العصر:** هذه السورة مع قصرها إلا أنَّ مقصدها عظيم؛ حيث تضمنت حكماً، ومحكوماً عليه، ومحكوماً به؛ فالحكم هو ما حكم به تعالى على الإنسان من الخسران، والمحكوم

---

(١) انظر: التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٤٦٨/٣٠

(٢) في ظلال القرآن _ سيد قطب _ ٣٩٤٥/٦

(٣) انظر: التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٤٨١/١٥

عليه هو الإنسان، والمحكوم به هو الخسران لمن لم يؤمن ويعمل صالحاً، والربح والنجاة من الخسران لمن آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر [١].

٢٦- **سورة الهمزة:** مقصد هذه السورة التهديد والوعيد من الله ﷻ لكل من اتصف بتلك الصفات الذميمة التي ذكرتها السورة من السخرية بالناس والتفريق بينهم والطعن فيهم، حيث بينت السورة سوء العذاب الذي ينتظر هؤلاء وأمثالهم في نار جهنم [٢].

٢٧- **سورتي الفيل وقريش:** مقصد هاتين السورتين المكيتين تذكير أهل مكة بفضل الله ونعمه العظيمة عليهم؛ حيث صدَّ عنهم كيد الأعداء، وحمى بيته الحرام من تخريب أصحاب الفيل، ومتَّع قريش بنعمتي الأمن والإطعام، وكلُّ هذه النعم تستوجب على المُتنعِّمين بها شكر المنعم ﷻ، والتضرع له بالعبادة الخالصة [٣].

٢٨- **سورة الماعون:** مقصد هذه السورة الكريمة التعجب من حال الكافرين، وبيان عظم كفرهم بالبعث والحساب، وفضح أعمالهم وصفاتهم الذميمة من الاعتداء على الضعيف واليتيم، ومنع الطعام عن المسكين، والإعراض عن قواعد الدين، وبينت السورة أيضاً سوء عاقبة المنافقين الذين يتهاونون بشعائر الدين ويمنعون النفع عن الآخرين [٤].

٢٩- **سورة الكوثر:** في هذه السورة ذكر لبعض نعم الله ﷻ على نبيه ﷺ، حيث خصه بالكوثر، وأعطاه الخير الكثير، ودافع عنه من كيد المبغضين، وفي السورة أمر بالطاعة في مقابل النعم شكراً للمنعم.

٣٠- **سورة الكافرون:** مقصد هذه السورة البارز هو البراءة من الشرك والمشركين، وقطع أطماع المشركين في المهادنة على حساب الدين.

٣١- **سورة النصر:** هذه السورة تحمل البشرى لرسول الله ﷺ بنصر الله والفتح ودخول الناس في دين الله أفواجاً، كما توجهه ﷺ حين يتحقق نصر الله وفتحه واجتماع الناس على دينه إلى التوجه إلى ربه بالتسبيح والحمد والاستغفار؛ فهكذا تشكر نعمة النصر [٥].

---

(١) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير _ أبو بكر الجزائري _ ٦١٢/٥

(٢) انظر: بحر العلوم _ السمرقندي _ ٥٩١/٣

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ص ٩٣٤

(٤) انظر: التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٥٦٤/٣٠

(٥) انظر: في ظلال القرآن _ سيد قطب_ ٣٩٩٤/٦

٣٢- سورة المسد: مقصد هذه السورة بيان جزاء من يصد عن سبيل الله ﷻ، وذلك من خلال بيان جزاء أبي لهب وزوجته الذين بذلا جهدهما في إيذاء النبي ﷺ والصد عن دعوته؛ وهكذا يكون جزاء كل من صد ويصد عن دعوة الله ويقف في طريق هداية الناس [١].

٣٣- سورة الإخلاص: مقصد السورة واضح من اسمها؛ فهي سورة إخلاص التوحيد لله ﷻ، وفيها صفة الرحمن جل وعلا الواحد الأحد الصمد المنزه عن الوالد والولد، فليس كمثله شيء، وهو مستغنٍ عن كل شيء، وكل الخلائق في حاجة دائمة إليه سبحانه وتعالى [٢].

٣٤- سورتي الفلق والناس: مقصدهما تعليم العباد صدق الالتجاء إلى حمى الرحمن، والاستعاذة بجلاله وسلطانه من شر مخلوقاته، والاحتماء بقدرته من شر أعدى الأعداء إبليس وأعوانه من شياطين الإنس والجنّ [٣].

وبخاتمة هذا المطلب يصل الباحث إلى نهاية الفصل الأول، والذي كان كالتعريف بسور جزء عمَّ؛ حيث عاش الباحث فيه مع أسماء هذه السور، وترتيب نزولها، وما ورد في فضائلها، ثمَّ عرَّج على المحور الرئيس لسور الجزء، والمناسبات بين هذه السور، وختم بمحاور ومقاصد كل سورة منها، ليشكل بذلك تمهيداً للشِّق الآخر من الرسالة في الفصل الثاني _ إن شاء الله _ حيث الوقوف على ما في الجزء من منهجيات التغيير والإصلاح؛ من الإصلاح العقدي، والاجتماعي، والإصلاح الدعوي، والتربوي، والإصلاح التشريعي.

---

(١) انظر: البحر المديد _ الإدريسي _ ٥٥٣/٨

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور _ البقاعي _ ٥٧٥/٨

(٣) انظر: التفسير القيم _ ابن القيم _ ٢٦٢/٢

الفصل الثاني

منهجيات الإصلاح والتغيير في جزء عمَّ

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الإصلاح والتغيير العقدي.

المبحث الثاني: الإصلاح والتغيير الدعوي.

المبحث الثالث: الإصلاح والتغيير التربوي الأخلاقي.

المبحث الرابع: الإصلاح والتغيير الاجتماعي.

المبحث الخامس: الإصلاح والتغيير التشريعي.

بين يدي الفصل:

لقد أنزل الله ﷻ كتابه ليكون كتاب هداية وإرشاد للعالمين، يبدد الظلمات، وينشر النور، ويأخذ بأيدي الناس من التيه إلى الصراط القويم، ويسمو بالنفوس والأخلاق إلى العلى، ويوضح طريق السعادة في الدارين لمن تمسَّك بحبل الله المتين.

ولا يخفى على كل ذي بصيرة ما في سور جزء عمَّ _ الذي نحن بصدده _ من نور إلاهي، وإصلاح عقائدي وأخلاقي، يتناغم مع ما كان عليه العرب وغيرهم من اعوجاج وانحدار في العقيدة والسلوك والأخلاق، شأن هذا الجزء كغيره من القرآن المكي الذي من أبرز مقاصده إصلاح العقيدة وتهذيب الأخلاق؛ حيث إنَّ غالب سوره من القرآن المكي.

لقد كان الجو الذي نزلت فيه هذه السور ملبد بغيوم الضلال، وضباب الظلم والعصيان، لقد كان العرب في أقصى درجات الانحراف العقدي؛ يعبدون حجارة وطين، ولا يعرفون الطريق إلى رب العالمين، يأكلون الميتة ويشربون الخمر ويئدون البنات ويقطعون السبيل، وفي وصف ذلك الزمان يقول الشيخ علي الندوي: " كان القرن السادس والسابع لميلاد المسيح من أحط أدوار التاريخ بلا خلاف، فكانت الإنسانية متدلية منحدرة منذ قرون، وما على وجه الأرض قوة تمسك بيدها وتمنعها من التردي، فقد زادتها الأيام سرعة في هبوطها، وكأنَّ الإنسان في هذا القرن قد نسي خالقه، فنسي نفسه ومصيره، وفقد رشده، وقوة التمييز بين الخير والشر، والحسن والقبيح، وقد خفتت دعوة الأنبياء من زمن، والمصابيح التي أوقدوها قد انطفأت من العواصف التي هبت بعدهم أو بقيت، ونورها ضعيف ضئيل لا ينير إلا بعض القلوب فضلاً عن البيوت فضلاً عن البلاد، وقد انسحب رجال الدين من ميدان الحياة، ولاذوا إلى الأديرة والكنائس والخلوات، فراراً بدينهم من الفتن وضناً بأنفسهم، أو رغبة إلى الدعة والسكوت، وفراراً من تكاليف الحياة وجدها، أو فشلاً في كفاح الدين والسياسة والروح والمادة" (١)

فما أشد الحاجة بعد ذلك إلى رسالة السماء، تغيث هذه النفوس العطشى إلى الهداية والرشاد، وإلى التغيير والإصلاح، وكأنها أرض رمضاء بحاجة إلى غيث السماء، يقول سيد قطب: "لقد كانت الأرض في حاجة ماسة إلى رسالة جديدة، بعد أن كان الفساد قد عمَّ أرجاءها كلها بحيث لا يرتجى لها صلاح إلا برسالة جديدة، ومنهج جديد، وحركة جديدة، وكان الكفر قد تطرق إلى عقائد أهلها جميعا سواء أهل الكتاب الذين عرفوا الديانات السماوية من قبل ثم

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين _ علي أبو الحسن الندوي _ ص ٢٩

حرفوها، أو المشركون في الجزيرة العربية وفي خارجها سواء، وما كانوا لينفكوا ويتحولوا عن هذا الكفر الذي صاروا إليه إلا بهذه الرسالة الجديدة [١]

وفي هذا الفصل سيبذل الباحث جهده _ بإذن الله _ للوقوف على ما في هذا الجزء من منهجيات قرآنية حكيمة في الإصلاح والتغيير؛ مبتدأً ببيان الإصلاح العقدي، ثمَّ الدعوي، ثمَّ التربوي، مروراً بالاجتماعي، وختاماً بالتشريعي، لعلنا أن نوفق للوقوف على ما ينصلح به حال المسلمين اليوم برجوعهم إلى منهج القرآن الحكيم في شتى مناحي الحياة التي يحياها المجتمع المسلم؛ فالقرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد للعالمين إلى قيام الساعة، وما أنصلح به أول هذه الأمة ينصلح به آخرها، خاصة ونحن في زمان بعد الناس فيه عن كتاب ربهم، وسلكوا طرقاً غير طريقه المستقيم، فما أشد الحاجة للرجوع إلى المعين الصافي، إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ آخذاً بوصية سيد المصلحين ﷺ: **(إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي)** [٢].

---

(١) في ظلال القرآن _ سيد قطب _ ٣٩٤٨/٦

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه _ كتاب العلم _ ٩٣/١ _ ح ٢٩١، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب_ ١٠/١-

المبحث الأول

الإصلاح والتغيير العقدي

وفيه ثلاثة عشر مطلباً:

المطلب الأول: بيان وحدانية الله ﷻ وبعض صفاته.

المطلب الثاني: الأدلة على قدرة الله ﷻ.

المطلب الثالث: إثبات حقيقة البعث.

المطلب الرابع: بيان أهوال يوم القيامة.

المطلب الخامس: الحديث عن مصير المؤمنين والكافرين.

المطلب السادس: بيان فوز من جمع بين الإيمان والعمل الصالح.

المطلب السابع: إثبات الميزان والحساب.

المطلب الثامن: الحديث عن الملائكة وبيان بعض مهامهم.

المطلب التاسع: القسم على صدق النبي ﷺ وصدق ما جاء به

المطلب العاشر: البراءة من الكفر وأهله.

المطلب الحادي عشر: صدق الالتجاء إلى الله ﷻ.

المطلب الثاني عشر: الدعوة للتفكر في نعم الله ﷻ.

بين يد المبحث:

مما لا شك فيه أنَّ العقيدة الصحيحة هي الأساس في كل صلاح بشكل عام، وليس هناك من العقائد ما هو أفضل وأنسب لحياة الإنسان من العقيدة الإسلامية، التي تتناسب مع فطرته السليمة التي فطره الله ﷻ عليها، هذه العقيدة المستمدة من كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ لهي عقيدة جديرة بالإتباع؛ لأنَّها الحق، والحق أحق أن يتبع؛ بل لا يُقبل عمل عند الله ﷻ بغير هذه العقيدة السليمة ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران: ١٩]، فلا استقامة لشريعة إلا باستقامة عقيدتها ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥]؛ لذا فإن جهود الأنبياء عليهم السلام قد انصبت في إصلاح العقائد بداية وقبل كل شيء، فكان كل نبي يدعو قومه إلى عقيدة التوحيد، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦] ، وكان كلٌّ نبيٍ يخاطب قومه قائلاً: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[هود: ٥٠]

وهذا نبينا محمدٌ ﷺ مكث في مكة ثلاثة عشر سنة يدعو إلى العقيدة الصحيحة، ويحارب الشرك والعقائد الفاسدة، كان ﷺ يسير في شوارع مكة يقول: (**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**) [١] ، قال الطحاوي _ رحمه الله _: العقيدة أصل الدين الذي يُبنى عليه " [٢]

إنَّ صلاح العقيدة أساسٌ لكلِّ صلاح، وفسادها أساس لكلِّ فساد، ، يقول ابن عاشور: "وكان إصلاح الاعتقاد أهم ما ابتدأ به الإسلام، وأكثر ما تعرض له؛ وذلك لأنَّ إصلاح الفكرة هو مبدأ كل إصلاح؛ ولأنه لا يرجى صلاح لقوم تلطخت عقولهم بالعقائد الضالة، فإذا صلح الاعتقاد أمكن صلاح الباقي " [٣]

وإننا نعيش اليوم في زمنٍ قد كثرت فيه الانحرافات العقدية، وأصبحت مظاهرها واضحةً جليةً، مما يستدعي من الدعاة والمصلحين العمل الجاد، والجهد المضني لإصلاح هذه الانحرافات العقدية وإعادة المسلمين إلى عقيدتهم الصافية، وإلى العروة الوثقى التي لا انفصام لها.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده _ ٣٧١/٥ _ ح ٢٣١٩٩ _ قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح

(٢) شرح العقيدة الطحاوية _ عبد العزيز الراجحي _ ٦/١

(٣) التحرير والتنوير _ ١٩٤/٣

ولقد تميز جزء عمَّ بما فيه من الإصلاحات العقدية؛ حيث إنَّه قد عالج الكثير من قضايا العقيدة الأساسية، وسيتناول الباحث الحديث عن ذلك من خلال مطالب هذا المبحث بإذن الله تعالى، والله المستعان.

المطلب الأول

بيان وحدانية الله ﷻ وبعض صفاته

إنَّ العقيدة الإسلامية مبنية على توحيد الله ﷻ، فهذا هو أصلها وجوهرها، توحيد الله ﷻ في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته، ولقد تناول جزء عمَّ في كثير من آياته الحديث عن وحدانية المولى ﷻ، وعن بعض صفاته؛ وذلك لأنَّ أغلب سور هذا الجزء هي من أوائل سور القرآن نزولاً، ولقد كانت قضية التوحيد هي أهم القضايا التي تناولها القرآن في مبدأ نزوله، وليس أعظم من ذلك من تلك السورة العظيمة سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤]

لقد بينت سورة الإخلاص أصل التوحيد وكماله في أصولها الثلاثة: إثبات الأحدية له سبحانه: فهو واحد لا شريك، وإثبات الصمدية لله؛ فهو سبحانه صمد مستغنٍ عن الخلائق كلها، وكل الخلائق محتاجة إليه، لا تقوم إلا به، ونفي الوالد والولد والكفء عنه، فلا شبيه له سبحانه ولا مثيل، فهذه الأُصول الثلاثة هي مجامعُ التوحيد، فصارت سورة الإخلاص بذلك تعدِلُ ثُلُثَ القرآن. (١)

ولقد أثبتت كثير من آيات جزء عم ربوبية الله ﷻ، حيث أثبت المولى ﷻ ربوبيته للإنسان فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦ – ٨]، وأثبت ربوبيته للسماوات والأرض فقال: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النبأ: ٣٧]، وهو سبحانه رب الفلق ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، وهو سبحانه رب الناس ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ الناس: ١]، بل إنَّه سبحانه قد أثبت ربوبيته للعالمين جميعاً، من ذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]

إنَّ توحيد الله ﷻ لا يقتصر على توحيد الربوبية، بل لا بد أن يشمل معه توحيد العبادة (الربوبية) وتوحيد الله في أسمائه وصفاته، ولا يكون التوحيد صحيحاً إلا إذا اشتمل على هذه

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد _ ابن القيم _ ١٨١/٤

الأقسام الثلاثة؛ فالله سبحانه هو وحده ربُّ كلِّ شيء وخالقه ومالكه، وهو المحيي المميت، الذي بيده النفع والضر، له الأمر كله، القادر على كل شيء، وهو سبحانه وحده المستحق للعبادة دون غيره، وهو سبحانه المتصف بكل صفات الكمال، والمنزه عن جميع صفات النقص، وذلك بإثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تشبيه، ولا يعتبر الإنسان موحداً مسلماً إلا إذا جمع بين هذه الأقسام كلها. (١)

وكما أن آيات جزء عم قد أشارت إلى توحيد الربوبية فقد أشارت أيضاً إلى توحيد الألوهية في غير موضع، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾[البينة: ٥]، حيث بينت هذه الآية وجوب إخلاص العبادة لله والخضوع له سبحانه، مفردين له الطاعة، من غير خلط طاعته سبحانه بشرك، (٢) وأن نتوجه إليه في كل شؤوننا دون أن نتخذ معه شريك، وهذه العبادة الخالصة لله ﷻ هي حقه علينا؛ فهو الذي خلقنا وهو الذي رزقنا وهو المتفضل علينا في جميع الحالات ففي الحديث عن معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت ردف النبي ﷺ فقال: (**يا معاذ هل تدرى ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله**) قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (**فانَّ حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا**) (٣)

لقد كان مشركوا العرب يعترفون بربوبية الله ﷻ، يقرون بأنه سبحانه خالقهم ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ويقرون بأنه سبحانه خالق السماوات والأرض ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٩] ، يقرون بأنَّ الله ﷻ هو الخالق المالك المتصرف الذي بيده ملكوت كل شيء ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٩]، يقرون بكل ذلك ولكنهم لا يفردونه سبحانه بالعبادة الخالصة؛ بل يشركون معه آلهة مزعومة زاعمين بذلك أنها تقربهم إلى الله ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾ [الزمر: ٣]

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية _ ابن العز الحنفي _ ٧٨/١ ، الإيمان _ محمد نعيم ياسين _ ص١٥

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن _ الطبري _ ٥٤١/٢٤

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه _ كتاب الرقاق _ باب من جاهد نفسه في طاعة الله _ ١٠٥/٨ _ ح٦٥٠٠

لقد جاء القرآن الكريم ليصلح تلك العقيدة الفاسدة المنحرفة، فهذه سورة قريش _ وهي من أوائل السور نزولاً _ جاءت تأمر أهل قريش بالتوجه بالعبادة الخالصة لله ﷻ الذي أنعم عليهم بنعمتي الإطعام من جوع والأمن من الخوف ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۞ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۞ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۞ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش: ١ – ٤] ، ففي هذه السورة أرشدهم الله ﷻ إلى شكر هذه النعم العظيمة، بالتوجه له بالعبادة، وإفراده بها وحده لا شريك له، وألا يعبدوا من دونه صنماً ولا نداً، فمن استجاب لذلك جمع الله له أمن الدنيا والآخرة، ومن لم يستجب حُرم ذلك [1]

وهكذا نجد القرآن الكريم ومن خلال سور وآيات جزء عمَّ قد أرسى مبادئ عقيدة التوحيد الصافية وبين للناس ما يجب عليهم في حق الله ﷻ من إخلاص التوحيد والعبادة، والناس في كل زمان ومكان محتاجون إلى من يصحح لهم عقيدتهم دائماً، ويعود بهم إلى التوحيد الذي جاء به النبي ﷺ، ونحن في زمن بعد فيه كثير من الناس عن تلك المبادئ الربانية، مما يستدعي إلى بذل الجهود من قبل الدعاة والمصلحين لحماية العقيدة وحراسة التوحيد.

المطلب الثاني
الأدلة على قدرة الله ﷻ

إنَّ الأدلة الدالة على قدرة الله ﷻ واضحة جلية فأينما وقع نظر الإنسان رأى من عجيب آيات الله ﷻ؛ فالسماوات وما بها من أجرام ونجوم وأقمار وشموس، والسحاب وما يحمله من غيث يحيي الله به الأرض بعد موتها، والأرض وما تحتويه من كنوز وزروع، والجبال الراسيات، والبحار والأنهار وما فيها من عجائب قدرة الله ﷻ، وبديع خلقه في هذا الإنسان، والحيوانات على اختلاف أنواعها وأشكالها، وتعاقب الليل والنهار، وهذا النظام الكوني الدقيق... كلها أدلة واضحة بينة على عظمة قدرة المولى سبحانه وتعالى، ولقد جاء القرآن الكريم ليلفت أنظار العالمين إلى هذه الآيات في مواضع كثيرة من الكتاب الحكيم ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٤٦٦/١٤

ولا يخفى على من تأمل في آيات جزء عمَّ ما فيها من بيان لتلك الأدلة العظيمة والأدلة الباهرة على عظمة قدرة المولى ﷻ، فهذه سورة النبأ تسرد علينا جملة من هذه الآيات؛ إذ يقول المولى ﷻ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۞ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۞ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۞ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۞ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۞ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۞ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۞ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۞ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۞ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۞ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾[النبأ: ٦ – ١٦]

أورد الله تعالى في هذه الآيات بعض مظاهر قدرته العظيمة على خلق الأشياء العجيبة الدالة على قدرته وعظمته، فعدد سبحانه تسعة أشياء لا يقدر عليها إلا هو سبحانه تدل كلها على أنه ﷻ على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء. (١)

وفي موضع آخر من الجزء يعرض ربنا ﷻ جانب آخر من قدرته وعظمته إذ يقول : ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۞ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ۞ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۞ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۞ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۞ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[النازعات: ٢٧ – ٣٣] ، حيث جاءت هذه الآيات في سياق الرد على منكري البعث الذين استبعدوا على الله ﷻ القدرة على إحيائهم بعد موتهم، فجاءت هذه الآيات لتبين أن المولى ﷻ قادر على ما هو أعظم من البعث، إنه سبحانه قد خلق تلك السماء التي فوقكم كالبناء، وأعلى سقفها في الهواء لا تفاوت فيها ولا فطور، وأظلم ليلها بغروب شمسها، وأبرز نهارها بشروقها، والأرض بعد خلق السماء بسطها، وأودع فيها منافعها، وفجَّر فيها عيون الماء، وأنبت فيها ما يُرعى من النباتات، وأثبت فيها الجبال أوتادًا لها، أليس القادر على ذلك بقادر على إحياء الموتى؟ بلى إنه سبحانه على كل شيء قدير. (٢)

وفي سورة عبس سرد آخر لبعض مظاهر قدرة العزيز الحكيم حيث يقول سبحانه: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۞ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۞ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۞ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۞ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۞ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۞ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۞ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۞ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤ – ٣٢] ، يعدد المولى ﷻ نعمه على عباده في سياق بيان قدرته المطلقة الحكيمة؛ ففي الآيات دعوة للإنسان لأن يتأمل في بديع خلق الله ﷻ في خلق الطعام الذي جعله سبحانه سبباً لقوام الإنسان، كيف دبره؟ وكيف هيأه له؟ وكيف أوجده؟ أنزل سبحانه الماء من السماء على الأرض بغزارة وكثرة، ثم أسكنه في الأرض، ثم روى به البذر المودع فيها، ثم شق سبحانه الأرض بالنبات الخارج منها، فارتفع وظهر على

---

(١) انظر: التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ١٠/٣٠

(٢) انظر: التفسير الميسر _ مجموعة من العلماء تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي _ ص ٥٨٤

وجهها، فكانت أنواعاً مختلفة من النباتات في الصغر والكبر، والهيئة والشكل، واللون والطعم، والأغراض المتنوعة كالغذاء والدواء والمرعى .. [١]

ولقد لفت المولى أنظار عباده في غير موضع من الجزء إلى قدرته العظيمة في خلق الإنسان نفسه وما في هذا الخلق من دلالات على قدرة العلى العظيم، ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٥ – ٧]، وفي سورة الانفطار يعاتب الرب جل وعلا ذلك الإنسان الغافل عن عظمة ربه ﷻ فيقول له: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٧ – ٨] ، أي ما الذي غرك بربك الكريم حتى كفرت؟ الذي قدر خلقك من نطفة، ثم سواك في بطن أمك، فجعل لك يدين ورجلين وعينين وسائر أعضائك، ثم جعلك معتدلاً سوى الخلق [٢].

ولقد أقسم الله ﷻ على أنه سبحانه خلق الإنسان في أحسن تقويم ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۞ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ١ – ٤] ، أقسم سبحانه بهذه المخلوقات المباركة على أنه خلق الإنسان في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لأعضائه؛ فأحسن تقويم شامل لخلق الإنسان حساً ومعنىً، أي شكلا وصورة وإنسانية، وكلها من آيات القدرة الإلاهية[٣].

وفي ذات السياق يمتن المولى سبحانه على الإنسان بما أنعم عليه من نعم في جسده دالة على قدرة المولى سبحانه: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۞ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۞ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[البلد: ٨ – ١٠]، فالله هو المنعم على الإنسان بأن جعل له من الحواس ما يهديه في عالم المحسوسات: جعل له عينين على هذا القدر من الدقة في تركيبهما وفي قدرتهما على الإبصار، وميزه بالنطق، وأعطاه أداوات النطق؛ اللسان والشفتين، وأودع في نفسه خصائص القدرة على إدراك الخير والشر، والهدى والضلال، والحق والباطل، كلٌ هذا من بديع عظمة وقدرة المولى سبحانه [٤]

ومن أعظم أساليب القرآن الكريم في بيان قدرة الخالق القسم بمخلوقات الله العظيمة الدالة على عظيم قدرته وسلطانه، ومن تلك الآيات التي ورد فيها القسم بمخلوقات الله في جزء عم قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١]، وقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۞ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ١ – ٣] ، وقوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۞ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۞ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۞ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۞

---

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل _ ابن جزي _ ٤٥٤/٢

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٢٤٦/١٩

(٣) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل _ الزمخشري _ ٤٠١/٦

(٤) انظر: في ظلال القرآن _سيد قطب_٣٩١٠/٦

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۞ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۞ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١ – ٧] ، وقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۞ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١ – ٢] ، وقوله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۞ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١ – ٢] ، كل هذه الأقسام فيها بيان لعظمة قدرة الخالق سبحانه؛ فهذه الأشياء التي أقسم الله بها من آياته وأدلة توحيده، وبراهين قدرته، وإقسامُه ﷻ بها تعظيم له سبحانه، وتنبيه للناس إلى ما تدل عليه من أدلة وحدانيته، وآياته الدالة على عظيم قدرته، وتمام ربوبيته، وهذا من تمام إقامة الحجة على عباده؛ حيث أقسم لهم بتلك المخلوقات العظيمة ليلتفتوا إلى جلال المقسم عليه، وكون المقسم به دليلا على المقسم عليه،قال شيخ الإسلام ابن تيمية _رحمه الله_ : إنَّ اللَّهَ يقسم بما يقسم بِه من مخلوقاته لأنها آياته ومخلوقاته . فهي دليلٌ على ربوبيتِه وأُلوهِيته ووحدانِيتِه وعلمه وقدرته ومشيئته ورحمته وحكمته وعظمته وعزَّته " (١)

ويقول الشيخ ابن عثيمين في ذلك: " قسم الله بهذه الآيات دليل على عظمته وكمال قدرته وحكمته، فيكون القسم به الدال على تعظيمها ورفع شأنها متضمنا للثناء على الله ﷻ، بما تقتضيه من الدلالة على عظمته " (٢)

وها هي آيات سورة الغاشية يدعونا الله ﷻ من خلالها إلى التفكر والتدبر في عظيم خلقه حتى نعظمه ونتوصل إلى توحيده من خلال آياته وآلائه المبثوثة من حولنا، يقول ﷻ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ۞ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ۞ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ۞ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾[الغاشية: ١٧ – ٢٠]، لقد ساق المولى ﷻ في هذه الآيات أنواعاً من الأدلة المشاهدة التي لا يستطيع أحد إنكارها، ليلفت أنظار الناس إلى مظاهر قدرته، والاستفهام في الآيات للتقريع والتوبيخ والتحريض على التأمل والتفكر ، فإن من شأن هذا التأمل والتفكر أنه يؤدى إلى الاعتبار والانتفاع، والخطاب في الآيات لأولئك الكافرين الجاهلين، الذين أمامهم الشواهد الواضحة على وحدانية الله ﷻ وقدرته ، ومع ذلك لم ينتبهوا لها (٣)

أيستمر هؤلاء الكافرون في جهلهم وضلالهم، وفى إنكارهم لأمر البعث والحساب والجزاء؟ لو أنهم تأملوا في تلك الآيات الباهرات لاستشعروا عظمة الخالق، ولانتهوا عن غيهم وكفرهم.

إنَّ المتأمل في آيات قدرة الله ﷻ يوقن في قلبه بأنَّ الله سبحانه وحده القادر على كل شيء وهو سبحانه الذي بيده ملكوت كل شيء؛ فهو وحده الذي يرجع إليه في الأمر كله، ولا

---

(١) مجموع الفتاوى _ ٢٩٠/١

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين _ ٧٩٨/١٠

(٣) انظر: اتفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٣٧٧/١٥

يتوجه بالعبادة والتوكل إلا إليه سبحانه، ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٢٣]

المطلب الثالث

إثبات حقيقة البعث

إنَّ قضية البعث والحساب وإعادة الحياة إلى الأجساد بعد تمزقها وتبعثرها في الأرض لهي من أهم قضايا الإيمان والعقيدة، إنها حقيقة لا مراء فيها، فقد دلَّ عليها القرآن الكريم والسنة المطهرة والعقل والفطرة السليمة، وهي من الإيمان باليوم الآخر، والبعث هو إحياء الله ﷻ للموتى وإخراجهم من قبورهم يوم القيامة؛ حيث يأمر الله ﷻ بالنفخة الأخرى فإذا الحياة تدب في الخلق من جديد، ويقوم الناس من قبورهم بالروح والجسد كما كانوا في الدنيا ليحاسبوا على أعمالهم. (١)

ولقد كان مشركوا العرب ينكرون هذه القضية ويستبعدوا وقوعها، بل ويتعجبون من طرح الرسول ﷺ لها، قال الله ﷻ مخبراً عن ذلك: ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۞ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۞ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴾ [ق: ١ – ٣] ، لقد عجب أولئك المنكرون من رسالة النبي ﷺ بصفة عامة، وعجبوا بصفة خاصة من طرحه أمر البعث الذي حدثهم عنه أول ما حدثهم، فقضية البعث قاعدة أساسية في العقيدة الإسلامية، قاعدة تتبني عليها العقيدة كلها، وحين تنهار هذه العقيدة في النفس ينهار معه كل تصور لحقيقة هذه العقيدة وتكاليفها ولا تستقيم هذه النفس على طريق الإسلام أبدا. (٢)

بل إنَّ أولئك المنكرين جحدوا البعث وأنكروه إنكاراً شديداً حتى إنَّهم وصفوا مخبرهم به بالجنون والكذب والافتراء على الله ﷻ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴾ [سبأ: ٧ – ٨] ، إنَّ عقول أولئك القوم لم تستوعب حقيقة البعث؛ فجحدوا وأنكروا هذا الأمر، لقد ظنوا أنَّ هذا الإيجاد بعد الموت عبث، لأنَّ الحديث عن بعث هذه الأجساد لمجازاتها على أعمالها في الحياة الدنيا حديث خرافة وحديث كذب وافتراء على الله ﷻ، أو مسٌ من جنون أصاب قائله؛ لذا فقد انطلقوا يخاطب بعضهم بعضاً بهذا القول الذي حكاه الله عنهم: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾، ثم قالوا بعد هذا التعجب والاستغراب: إنَّ

---

(١) انظر: شرح ثلاثة الأصول _ محمد العثيمين _ ١/١٠٠

(٢) انظر: في ظلال القرآن _ سيد قطب _ ٦/٣٣٥٨

هذا الحديث الصادر من هذا الرجل ما هو إلا افتراء وكذب على الله، ولقد رد الله ﷻ على قولهم بأنَّ هذا الجحود راجع إليهم أنفسهم لعدم إيمانهم بقدرة الله ﷻ، وأنَّ هذا الجحود راجع إلى اختلال في عقولهم، وإلى بعد في ضلالهم وعدم قبولهم للحق. (١)

لقد رد القرآن الكريم في كثير من المواضع على أولئك المنكرين، وبأساليب مختلفة، فتارة يستدل على البعث بالنشأة الأولى، وتارة يستدل عليه بخلق السماوات والأرض، وتارة يستدل عليه بخروج النبات من الأرض، وتارة بوقائع حصل فيها الإحياء، وتارة ببيان أنَّ حكمة الله ﷻ وعدله يقتضيان البعث والجزاء... وغير ذلك من الأساليب التي يضيق بنا المقام لذكرها في هذا المطلب.

ولا يخلوا جزء عمَّ من الآيات التي تثبت وتقر قضية البعث العظيمة، فقد ردت آيات من سور النازعات على منكري البعث الذين قالوا: ﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۞ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ۞ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾[النازعات: ١٠ – ١٢]، فلقد استنكر منكري البعث هذه القضية فقالوا: أنرد بعد الموت إلى الحياة من جديد كما كنا أول مرة؟ بعد أن كنَّا عظاماً باليةً مفتتةً وهذا استبعاد منهم للبعث وإنكار له، فرد عليهم المولى سبحانه مثبتاً للبعث فقال: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۞ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣ – ١٤]، أي إنَّ البعث مجرد صيحة واحدة وهي نفخة إسرافيل الثانية نفخة البعث، فإذا بأولئك المكذبون وغيرهم من سائر الخلق على وجه الأرض قياماً من قبورهم ينتظرون الحساب، فبذلك ردَّ الله تعالى على منكري البعث وقرره عز وجل بما لا مزيد عليه إعذاراً وإنذاراً للعالمين. (٢)

وهذه سورة عبس تقر تلك الحقيقة بأسلوب آخر إذ يقول المولى ﷻ: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۞ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۞ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۞ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۞ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۞ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ [عبس: ١٧ – ٢٢] ، ففي هذه الآيات العظيمة لعن لذلك الكافر(٣) الذي بالغ في كفره مع كثرة إحسان المولى إليه، وبيان لبعض آيات قدرة الله ﷻ من خلق الإنسان من شيء لا قيمة له، ثمَّ قدر له هذه السورة الجميلة، ثمَّ يسَّر له طريق الخروج من بطن أمه، ثمَّ كرمه بعد موته فجعل له قبراً يستر جسده، وكأنَّ المولى ﷻ يسرد هذه الآيات ليثبت لذلك الجاحد أنَّ من قدر على تلك الآيات

---

(١) انظر: فتح القدير _ الشوكاني _ ٤٤٥/٤

(٢) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير _ أبو بكر الجزائري _ ٥٠٩/٥

(٣) ذكر السيوطي أن هذه الآية نزلت في في عتبة بن أبي لهب حين قال : كفرت برب النجم إذا هوى فدعا عليه النبي ﷺ فأخذه الأسد بطريق الشام (الدر المنثور في التفسير بالمأثور _ ٤١٩/٨)

العظيمة هو قادر على إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم فهو سبحانه على كل شيء قدير، ففي الآيات تنبيه للإنسان ليستقيم في حياته لأنه سيبعث وسيحاسب على أعماله [١]

وفي سورة المطففين تخويف وتذكير بالبعث إذ يقول سبحانه في مطلع السورة: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۞ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۞ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ١ – ٦] ، ففي الآيات وعيدٌ وتخويف من الله ﷻ لؤلئك الناس الذين يبخسون الناس حقوقهم [٢]، ويظلمون الناس في الميزان؛ يستوفون لأنفسهم، وينقصون لغيرهم، وفي الآيات تعجب من حالهم واستمرارهم على هذا التطفيف، الناتج عن عدم إيمانهم بالبعث والحساب، فلو أنهم آمنوا به، وعرفوا أنهم يقومون بين يدى الله، يحاسبهم على القليل والكثير، لأقلعوا عن ذلك وتابوا منه.[٣]

وهذا التخويف والتذكير الذي في الآيات ليس خاصاً بالمطففين فقط؛ بل هو لجميع أصحاب الذنوب، يذكرهم بيوم البعث، ويخوفهم من الحساب ليعودوا إلى رشدهم ومنهاج ربهم.

إنَّ الله سبحانه قادر على البعث، ولكن بعض النفوس الضعيفة قد يتطرق إليها الشك؛ فجاءت الآيات من سورة الطارق مؤكدة لتلك الحقيقة بتذكير الإنسان بنشأته الأولى إذ يقول ﷻ: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۞ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۞ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٥ – ٩]، فلينظر الإنسان المنكر للبعث مِمَّ خُلِقَ؟ ليعلم أنَّ إعادة خلق الإنسان ليست أصعب من خلقه أوّلا خلق من منيٍّ منصبٍّ بسرعة في الرحم، يخرج من بين صلب الرجل وصدر المرأة، إنَّ الذي خلق الإنسان من هذا الماء لَقادر على رجعه إلى الحياة بعد الموت.[٤]

ويؤكد المولى ﷻ تلك القضية أيضاً في سورتي الغاشية والعلق بأسلوب التوكيد حتى لا يبقى شك ولا ريبة في قلب أحد، ففي سورة الغاشية يقول سبحانه: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[الغاشية: ٢٥ – ٢٦]، أي الرجوع والمآل بعد الموت إليه سبحانه، فيحاسب الناس على أعمالهم. [٥]

---

(١) انظر: معالم التنزيل _ البغوي _ ٣٣٨/٨

(٢) ذكر الطبري في تفسيره بسنده عن ابن عباس ﷺ قال: "لما قَدِم النبيّ ﷺ المدينة، كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله:(وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) فأحسنوا الكيل" (جامع البيان في تأويل آي القرآن _ ٢٧٧/٢٤)

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ص ٩١٥

(٤) انظر: التفسير الميسر _ مجموعة من العلماء تحت إشراف الدكتور: عبد الله التركي _ ص ٥٩١

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٣٨/٢٠

وفي سورة العلق يقول سبحانه: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ [العلق: ٨] ، يعني المرجع إلى الله تعالى يوم القيامة، فالخلائق كلهم بعد الموت يرجعون إلى الله تعالى، فيحاسبون ويجازون، فريق في الجنة وفريق في السعير. (١)

إنَّ الإيمان بالبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال له دخل كبير في هدوء نفس المؤمن، واستقرار باله، واطمئنان قلبه؛ لأنَّه يعلم أنَّه يعمل لغاية واضحة وهدف محدد، ويعلم مصيره، كما أنَّه الزاد الذي يجعل المؤمن يصبر على شدائد الدنيا، وإن أصابه بلاء أو ظلم أو فاته شيء من متاع الحياة الدنيا فإنَّه يوقن أنَّه سيعوض عنه يوم القيامة.

إنَّ للإيمان بالبعث بعد الموت وتذكره سببًا كبيرًا في تقويم النفس، وتهذيب السلوك، وتأمين الإنسان من ظلم أخيه الإنسان؛ بل على قدر إيمان المسلم بالبعث بعد الموت تكون استقامته في الدنيا، وإحسانه إلى الخلق جميعًا.

كما أنَّ الذي لا يؤمن بيوم الحساب، أو الذي يشك في يوم الحساب، أو الغافل عن يوم الحساب لن يسلم من شر نفسه؛ وذلك أنَّه يعيش بلا هدف أو غاية يعمل لها، وهذا يجعله يائسًا من المستقبل، يعلم أن مصيره كمصير أي حيوان إلى الفناء، يموت ويتعفن وينتهي أمره، إنَّه يعيش بنفس ممزقة محطمة، إنَّه يعيش بلا أمل، ينتظر الفناء الذي سيدركه لا محالة، إنَّه يقدم على الانتحار إن نزلت به شدة أو خسر شيئًا من متاع الحياة الدنيا؛ لأنَّه إن خسر الدنيا فقد خسر كل شيء، وليس له ما يعوضه عن الدنيا ومتاعها، ليس له بديل عن الدنيا، ولن تسلم المخلوقات كلها من شر ذلك الذي لا يؤمن بيوم الحساب أو الغافل عن يوم الحساب، وعلى قدر الغفلة عن يوم الحساب يكون ظلمه وأذاه.

فعلى الدعاة في هذا الزمان أن يرسخوا عقيدة الإيمان بالبعث والحساب حتى ينصلح حال الناس، خاصة ونحن نعيش في زمنٍ قد ضاعت فيه كثيرٌ من الحقوق، وتجرَّأ فيه كثير من الناس على حدود الله ﷻ، ذلك كله راجع إلى زعزعة في إيمانهم بالبعث والحساب، تلك الزعزعة في الإيمان بذلك اليوم راجعة إلى جهود الغرب وأصحاب الشهوات في ترسيخ عقيدة اللا رجعة ولا حساب بعد الموت، وانَّ حياة الإنسان فقط هي هذه الحياة الدنيا مما يستدعي نهوض العلماء والمصلحين من أجل الحفاظ على مجتمعنا وفق كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ.

---

(١) انظر: بحر العلوم _ السمر قندي _ ٥٧٤/٣

المطلب الرابع
بيان أهوال يوم القيامة

إنَّ الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان، ولا يكون العبد مؤمناً إلا إذا آمن بذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين ليحاسبهم على أعمالهم، ولأهمية الإيمان بذلك اليوم نجد جزءاً كبيراً من آيات القرآن الكريم تحدثت عنه وعن أهواله؛ بل إنَّ المولى ﷻ قد قرن بين الإيمان به سبحانه والإيمان باليوم الآخر في كثير من المواضع من كتابه العزيز من ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة: ٦٢]، وفي غير موضع يحفز المولى ﷻ عباده على الامتثال بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[النساء: ٥٩] ، وفي مواضع أخر يمدح سبحانه من جمع بين الإيمان به وباليوم الآخر وعمل صالحاً: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[التوبة: ١٨]

فعلى كل إنسان أن يديم التفكر فيما سيلاقيه من أهوال عصيبة وأمور شديدة، يوم أن يقوم من قبره لتبدأ هذه الأهوال، ويعيش هذه الشدائد بحشر الناس منذ أن خلق الله آدم عليه السلام إلى قيام الساعة في مكان واحد، وتدنو الشمس من رؤوس العباد، حينئذ ينشغل كل واحد بنفسه، كيف ينجو؟ حتى الأنبياء عليهم السلام كل واحد منهم منشغل بنفسه، حتى المرضعة تترك رضيعها، والوالد لا يسأل عن ولده، ولا يسأل ابن عن أبيه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١ – ٢].

لقد ركز القرآن الكريم على ذكر هذه الأهوال حتى يظل الإنسان منشغلاً بالاستعداد للقاء ربه، والمتأمل في جزء عمَّ يجد أنَّ هذا الجزء قد أسهب في ذكر هذا الأهوال، فهذه سورة النبأ تصور جانباً من تلك الأهوال بقول المولى ﷻ: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ۝ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ١٧ – ٢٠]، إنَّ من أسماء ذلك اليوم العظيم يوم الفصل حيث يفصل المولى ﷻ بين الأولين والآخرين، يبدأ ذلك اليوم بنفخ إسرافيل عليه السلام بالبوق فتخرج الخلائق من قبورها إلى موضع العرض زمرا زمرا، وجماعات جماعات، تأتي فيه كل أمة مع رسولها، وتتصدع السماء وتتشقق، فتصير ذات أبواب كثيرة

وطرقا ومسالك لنزول الملائكة، والجبال تزال عن مواضعها، وتتبدد في الهواء كأنها هباءً منثوراً، يظن الناظر أنها سراباً، أنه تبدل لنظام الكون كله. (١)

وفي نهاية السورة ذاتها يصف المولى ﷻ موقفاً آخر من مواقف يوم القيامة بقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ [النبأ: ٣٨ – ٣٩]، من شدة الموقف، وعظمة من يقف الناس بين يديه للحساب تذهل كل المخلوقات فلا يتكلمون، حتى الملائكة المقربون يقفون في صفوف لا يستطيعون الكلام إلا بإذن رب العباد سبحانه، وكذلك كل الناس في صمت وذهول؛ لأن هذا اليوم هو يوم الحق الذي لا يروج فيه الباطل ولا ينفع فيه الكذب. (٢)

أما في سورة النازعات ففيها وصف لبداية الأحداث العظام المقدمة لذلك اليوم العصيب: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ [النازعات: ٦ – ٩]، يبين سبحانه في هذه الآيات علامات القيامة وأهوالها؛ حيث ترجف الأرض وتضطرب اضطراباً شديداً تختل بسببها موازين الحياة، فتمت جميع الخلائق، وذلك يكون عند النفخة الأولى في الصور، ثم تأتي الرادفة التي يبعث بعدها جميع الخلائق، وذلك عند النفخة الثانية، وسميت بالرادفة لأنه تأتي ردف الأولى، أي في أعقابها، وهنا إشارة وتنبيه للإنسان كأن الله ﷻ يقول له يا أيها العاقل لتتعظ وتعتبر من هذه الأهوال التي ستلاقيها، يوم تفزع القلوب، وتشتد ضرباتها من شدة الفزع في هذا اليوم الهائل الشديد الذي تكون فيه الأبصار خاشعة منكسرة من الفزع الشديد والخوف الذي لا حدود له (٣)

لعظم ذلك اليوم وكثرة أهواله فلقد سماه الله ﷻ بأسماء كثيرة، ومعلوم أنَّ كثرة الأسماء تدل على عظم المسمى، فمن أسماء ذلك اليوم التي وردت في جزء عم: يوم الفصل، والطامة الكبري، والصاخة، والغاشية، والقارعة، كلها أسماء تدل على هول اليوم وشدته، يقول المولى سبحانه: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ۝ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ۝ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٤ – ٣٦]، والطامة الكبرى هي الداهية العُظمى التي تطمّ على سائر الدواهي ، أي تعلوها وتغلبها ، من قولك : طمّ الأمر : إذا علا وغلب ، وهي يوم القيامة الذي تُساق فيه الخلائق إلى محشرهم، في ذلك اليوم يتذكر فيه كل واحد ما عمله من خير وشر، بأن يُشاهده مدوناً في

---

(١) انظر: التفسير المنير _ وهبة الزحيلي _ ١٧/٣٠

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ص ٩٠٧

(٣) انظر التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _

صحيفته، وقد كان نسيه مِن فرط الغفلة، وطول الأمل، في ذلك اليوم تظهر فيه النار إظهاراً بيناً لا يخفى على أحد، لا مانع ولا حاجب من رؤيتها، وهذا من أشد أهوال ذلك اليوم.[1]

وعلى نفس السياق في سورة عبس يقول ﷻ: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۞ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۞ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۞ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴾[عبس: ٣٣ – ٣٧]، ما أشده من يوم، حين يفر الإنسان من أعز الناس إليه وأقربهم منه، لا يعنيه في ذلك اليوم إلا نفسه وما سيؤول إليه أمره، إنه يوم الصاخة، والصاخة تعني صيحة القيامة، سمّيت بذلك لأنَّها تصخّ الأسماع أي تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصمّها [2]

لقد سرد الله ﷻ علينا في سور جزء عم الكثير من تلك التغيرات العظيمة التي تصيب هذا الكون، وفيها دلالة على شدة ما سيليها، وذلك في سورة التكوير والانفطار والانشقاق والزلزلة والقارعة، يقول سبحانه: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۞ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۞ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۞ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۞ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۞ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۞ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۞ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۞ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۞ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۞ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۞ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۞ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴾[التكوير: ١ – ١٤] ، يقول سيد قطب معلقاً على هذا المشهد العظيم: " هذا هو مشهد الانقلاب التام لكل معهود، والثورة الشاملة لكل موجود. الانقلاب الذي يشمل الأجرام السماوية والأرضية، والوحوش النافرة والأنعام الأليفة، ونفوس البشر، وأوضاع الأمور. حيث ينكشف كل مستور، ويعلم كل مجهول وتقف النفس أمام ما أحضرت من الرصيد والزاد في موقف الفصل والحساب، وكل شيء من حولها عاصف وكل شيء من حولها مقلوب! وهذه الأحداث الكونية الضخام تشير بجملتها إلى أن هذا الكون الذي نعهده. الكون المنسق الجميل، الموزون الحركة، المضبوط النسبة، المتين الصنعة، المبني بأيد وإحكام. أن هذا الكون سينفرط عقد نظامه، وتتناثر أجزاؤه، وتذهب عنه صفاته هذه التي يقوم بها وينتهي إلى أجله المقدر، حيث تنتهي الخلائق إلى صورة أخرى من الكون ومن الحياة ومن الحقائق غير ما عهدت نهائيا في هذا الكون المعهود " [3]

وفي سورة الانفطار: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۞ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۞ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۞ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۞ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴾[الانفطار: ١ – ٥]، وفي نفس السياق يقول سبحانه: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۞ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۞ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۞ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۞ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴾ [

---

(١) انظر: البحر المديد _ ابن عجيبة _ ٣٥٧/٨

(٢) انظر: الكشف والبيان _ أبو إسحاق النيسابوري _ ١٣٤/١٠

(٣) في ظلال القرآن _ ٣٨٣٧/٦

الانشقاق: ١ – ٥]، ففي هذه الآيات العظيمة يبين الله ﷻ بعضاً من أهوال يوم القيامة؛ من انشقاق للسماء، وسقوط للكواكب، وتفجير للبحار، وتبعثر للقبور وخروج ما فيها، فمن شدة هذه العلامات تتذكر كل نفس ما قدمته من أعمال في حياتها الدنيا، وما ستلاقيه من ثواب أو عقاب على هذه الأعمال. (١)

لقد لفت النبي ﷺ أنظار المؤمنين والناس أجمعين إلى تلك المشاهد العظيمة التي يعيش الإنسان من خلالها مع أهوال يوم القيامة، ففي الحديث الذي يرويه ابن عمر يقول النبي ﷺ: **(من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت)** (٢)

إن أحداث ذلك اليوم عظيمة لا يقوى العقل على تصورها، فإذا كانت الجبال الرواسي الشامخات تصير في ذلك اليوم كأنها صوف منفوش، فماذا سيكون حال الإنسان الضعيف؟ ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۞ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۞ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۞ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾[القارعة: ١ – ٥].

في ذلك اليوم يحاسب الإنسان حتى على مثقال الذرة من العمل: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۞ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٦ – ٨]، وهناك تتغير الوجوه وتتباين؛ فمنها المسفرة الضاحكة المستبشرة الناعمة، ومنها الوجوه الخاشعة الوجلة الذليلة المظلمة المسودة، ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۞ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۞ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۞ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾ [عبس: ٣٨ – ٤٢]، ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۞ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۞ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۞ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۞ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۞ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۞ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۞ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۞ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾[الغاشية: ٢ – ١٠].

فعلى كل عاقل أن يستعد لأن يقيه الله ﷻ من هذه الأهوال العظيمة بالعمل الصالح، والسير على منهاج كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وأن يصلح حاله بالتوبة والإنابة إلى الله ﷻ.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ص ٩١٤

(٢) سبق تخريجه ص

المطلب الخامس

الحديث عن مصير المؤمنين والكافرين

إنَّ من أركان العقيدة والإيمان الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالحساب والجزاء والثواب، وأنَّ الناس يوم القيامة فريق في الجنة وفريق في السعير، وهذا جزء أصيل من الإيمان باليوم الآخر، وفي هذا المطلب نقف على ما ود في جزء عم من آيات كريمات تبين مصير المؤمنين الموحدين لله ﷻ؛ من جنة ونعيم مقيم، وكذالك ما ورد من آيات بينات تصف مآل فريق الكافرين الجاحدين وما ينتظرهم من سوء العذاب وبئس المصير.

وسيكون الحديث _ بإذن الله _ على قسمين:

أولاً: مصير المؤمنين الموحدين:

إنَّ الناظر في آيات جزء عمَّ يجد للوهلة الأولى أنَّ الآيات التي تحدثت عن نعيم المؤمنين وما ينتظرهم من حسن الثواب عند الله ﷻ كثيرة ومتنوعة؛ بل إنَّ الحديث عن ذلك هو ميزة بارزة في هذا الجزء الكريم، حيث إنَّ المولى ﷻ بين في كثير من آيات الجزء مصير المؤمنين وبين أنواع النعيم الباقي الخالد الذي ينتظرهم، فلقد بينت بعض آيات الجزء كيف يكون موقف هؤلاء المؤمنين على أرض الحساب، وكيف تكون أوصافهم، حتى قبل دخولهم إلى الجنة، حيث وجوههم نيرة مستبشرة، قال سبحانه: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۞ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ [عبس: ٣٨ – ٣٩]، أي مشرقة مضيئة، قد علمت مالها من الفوز والنعيم، مسرورة فرحة، مستبشرة بما آتاها الله من الكرامة وهي وجوه المؤمنين _ جعلنا الله منهم _ [(١)].

وفي سورة المطففين يبين الله ﷻ صورة أخرى لأحوال المؤمنين وهم يضحكون فرحين بما آل إليه مصير الكفار الذين كانوا يسخرون منهم في الدنيا، والمؤمنون يجلسون على السرر المزينة، ينظرون إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم [(٢)]، قال تعالى:﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۞ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾ [المطففين: ٣٤ – ٣٥]

وعند تطاير الصحف يفرح أولئك المؤمنون بأخذهم كتبهم بأيمانهم، ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴾ [الانشقاق: ٧ – ٩].

وفي سياق وصف ما أُعد للمؤمنين من حسن ثواب وردت آيات كثيرة في جزء عمَّ، فهذه سورة النبأ تصور ذلك النعيم في أجمل صورة وبأبهى وصف، إذ يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٢٢٥/١٩

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ص ٩٠٧

﴿ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ۝ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ۝ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ۝ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ۝ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ﴾[النبـــأ: ٣١ – ٣٦] ، ففي هذه الآيات الكريمات شروع في بيان محاسن أحوال المؤمنين عند ربهم؛ إذ أنَّ لهم فوزاً بنجاتهم من العذاب وحصولهم على النعيم المقيم؛ فلهم من البساتين الجامعة لأصناف الأشجار الزاهية، في الثمار التي تتفجر بين خلالها الأنهار، وخص الأعناب لكثرتها في تلك الحدائق، ولهم فوق ذلك أزواجاً في غاية الحسن والجمال، حيث وصفهن خالقهن بأنهن كواعب أتراباً وهن ذوات النواهد اللاتي لم تتكسر ثديهن من شبابهن، وقوتهن ونضارتهن، اللاتي على سن واحد متقارب، ولهم مع كل ذلك أيضاً كأساً مملوءة بالرحيق لذة للشاربين؛ وهم مع ذلك النعيم لا يسمعون باطلاً من القول ولا يكذب بعضهم بعضاً، هذا النعيم كان لهم كافياً ووافياً من الكريم سبحانه [١].

لقد بين القرآن في سورة النازعات السبب الذي لأجله فاز أصحاب الجنة بها إذ يقول سبحانه: ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾[النازعات: ٤٠ – ٤١]، إنه الخوف من مقام الله ﷻ والعمل ليوم الوقوف بين يديه لمساءلته ومجازاته فأدى الفرائض واجتنب النواهي، فنهى نفسه عن هواها، ولم يجبها في هوى يبغضه الله، ولم يطعها في شيء حرمه الله؛ فإن الجنة دار السلام والأبرار والمتقين الأخيار، هي مأواه ولنعم المأوى ولنعم المصير [٢].

وفي وصف آخر لذلك النعيم، وتأكيده يقول المولى ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ۝ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ۝ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ۝ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين: ٢٢ – ٢٨]، لقد ذكر سبحانه في هذه الآيات حال المؤمنين في الجنة؛ فهم في تنعم عظيم لا يعلم قدره إلا الله ﷻ، جالسين على الأسرة، ينظرون إلى ما أعد الله لهم من الكرامات، إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة لما تراه في وجوههم من النور والحسن والبياض والبهجة والرونق، يسقون من الرحيق المختوم وهو الخمر الذي لا غش فيه ولا يوجد فيه ما يفسده، آخر طعمه ريح المسك إذا رفع الشارب فاه من آخر شرابه وجد ريحه كريح المسك، ومزاج ذلك الرحيق من تسنيم وهو شراب ينصب عليهم من علو وهو أشرف شراب الجنة [٣].

---

(١) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل _ الخازن _ ٢٠١/٧ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ص ٩٠٧

(٢) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير _ أبو بكر الجزائري _ ٥١٥/٥

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير _ الشوكاني _ ٥٦٩/٥

وفي ذات السياق يقول سبحانه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۞ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۞ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۞ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۞ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۞ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۞ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۞ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۞ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[الغاشية: ٨ – ١٦]، " وجوه المؤمنين يوم القيامة ذات نعمة؛ لسعيها في الدنيا بالطاعات راضية في الآخرة، في جنة رفيعة المكان والمكانة، لا تسمع فيها كلمة لغو واحدة، فيها عين تتدفق مياهها، فيها سرر عالية وأكواب معدة للشاربين، ووسائد مصفوفة، الواحدة جنب الأخرى، وبُسُط كثيرة مفروشة " [١].

إنَّ من فاز بهذا النعيم فقد فاز فوزاً عظيماً، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١] ، قال الألوسي: " الفوز الكبير الذي يصغر عنده الفوز بالدنيا وما فيها من الرغائب، _ إذ الدنيا تصغر دونه _ والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير " [٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۞ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[البينة: ٧ – ٨]، " جزاؤهم عند ربهم يوم القيامة جنات إقامة واستقرار في منتهى الحسن، تجري من تحت قصورها الأنهار، خالدين فيها أبدًا، رضي الله عنهم فقبل أعمالهم الصالحة، ورضوا عنه بما أعدَّ لهم من أنواع الكرامات، ذلك الجزاء الحسن لمن خاف الله واجتنب معاصيه " [٣].

إن لهذا الفريق من المؤمنين العيشة الراضية الهانئة، استحقوها بأعمالهم الصالحة، مع إيمانهم بالله ﷻ، ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[القارعة: ٦ – ٧]، فهم في عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها، أكرم الله ﷻ بها عباده المؤمنين [٤].

إنَّ من يسمع بهذا النعيم المقيم لهذا الفريق المؤمن يجعله دائماً يعمل بأعمالهم الصالحات؛ ليفوز بهذا النعيم الذي ليس بعده نعيم؛ فكل الدنيا تهون دون الفوز برضا ربِّ العالمين، وكل الحطام الفاني لا يساوي شيئاً أمام شبرٍ واحد من جنة الرحمن سبحانه، **(لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها)** [٥].

---

(١) التفسير الميسر _ مجموعة من العلماء تحت إشراف الدكتور عبد الله التركي _ ٤٥٩/١٠

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني _ ٩١/٣٠

(٣) التفسير الميسر _ مجموعة من العلماء تحت من العلماء تحت إشراف الدكتور عبد الله التركي _ ٢٦/١١

(٤) انظر: مفاتيح الغيب _ الفخر الرازي _ ٥٢٤/٨.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن سهل بن سعد ﷺ _ ٣٣٠/٥ _ ح ٢٢٨٤٩، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين

ثانياً: مصير الكافرين المنكرين:

كما بين القرآن الكريم مصير المؤمنين، فإنه أيضاً قد بين في مواضع كثيرة مصير الفريق الآخر من الكافرين الجاحدين، وذلك من منهج القرآن الكريم في الترغيب والترهيب، وهذا من رحمة الله ﷻ وكرمه؛ إذ أنه سبحانه بين مصير الفريقين حتى يكون العباد على بينة من أمرهم، وليختر كل امرئ المصير الذي يشاء ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [الكهف: ٢٩] .

وكما أنَّ جزء عمَّ ملئ بالآيات التي بينت مصير المؤمنين، ورغبت فيه، فإنه كذلك ملئ بالآيات التي توضح مصير الكافرين أوضح بيان، ورهبت منه أيما ترهيب.

فهذه سورة النبأ تبين أنَّ جهنم هي مصير أولئك الطغاة المحتوم، قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ۞ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ۞ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ۞ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ۞ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ۞ جَزَآءٗ وِفَاقًا ۞ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ۞ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ۞ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ كِتَٰبٗا ۞ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ﴾[النبأ: ٢١ – ٣٠] ، إن نار جهنم كانت مرصدة معدّة للطغاة المتجبرين المتكبرين وهم المردة العصاة المخالفون للرسل، وكذلك فهي مرجعاً ومصيراً ونزلاً لهم، ماكثين فيها ما دامت الدهور والأحقاب، إذا مضى حقب دخل آخر، وهكذا إلى الأبد، لا يذوقون في جهنم برداً ينفعهم من حرها، ولا شراباً ينفعهم من عطشها، إلا الحميم وهو الماء الحار الشديد الغليان، والغساق وهو صديد أهل النار، وهذا العذاب موافق للذنب العظيم الذي ارتكبوه؛ فلا ذنب أعظم من الشرك، ولا عذاب أعظم من النار، وقد كانت أعمالهم سيئة، فجوزوا بمثلها، إنهم كانوا لا يطمعون في ثواب، ولا يخافون من حساب، وكذبوا بالآيات القرآنية وبالبراهين الدالة على التوحيد والنبوة والمعاد تكذيباً شديداً.

إنَّ الله ﷻ يعلم جميع أعمال العباد، وكتبها الحفظة كتابة تامة شاملة، وسيجزيهم ربهم على ذلك، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، ثم ذكر ما يقال لهم في التعذيب تقريعا وتوبيخا لهم: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا ﴾أي يقال لأهل النار لكفرهم، وتكذيبهم بالآيات، وقبح أفعالهم: ذوقوا ما أنتم فيه من العذاب الأليم، فلن نزيدكم إلا عذابا من جنسه [1].

هكذا هو مصير الطغاة الذين فضلوا الحياة الدنيا الفانية على الآخرة الباقية، ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۞ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾ [النازعات: ٣٧ – ٣٩]، فالذي انهمك في هذه الحياة

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج _ الدكتور وهبة الزحيلي _ ١٩/٣٠

الدنيا ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس بالإيمان والأعمال الصالحة فإنَّ هذا مصيره ومأواه [١].

وفي جانب آخر من عرض القرآن لمصير أولئك المكذبين الكافرين، بين الله ﷻ كيف يكون حالهم في أرض المحشر، وعند تطاير الصحف، حيث قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۞ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۞ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۞ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۞ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٠ – ١٥]، روى القرطبي بسنده عن ابن عباس ﷺ أنه قال: " يمد الكافر يده اليمنى ليأخذ كتابه فيجذبه ملك، فيخلع يمينه، فيأخذ كتابه بشمال من وراء ظهره، وقال قتادة ومقاتل: يفك ألواح صدره وعظامه ثم تدخل يده وتخرج من ظهره ، فيأخذ كتابه كذلك " [٢].

ولقد وصف الله وجوههم في ذلك الموقف العصيب فقال: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۞ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۞ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٤٠ – ٤٢]، إنَّها وجوه عليها غبار من شدة الهم والكرب والغم الذي يعلوها، تغشاها وتعلوها ظلمة وسواد، وذلة وهوان، من شدة ما أصابها من خزي وخسران، أصحاب تلك الوجوه هم الجامعون بين الكفر الذي هو فساد الاعتقاد، وبين الفجور الذي هو فساد القول والفعل [٣].

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۞ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۞ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۞ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۞ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۞ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٢ – ٧]، هذه وجوه الكفار خائفة ذليلة في العذاب، تجر على وجوهها في النار، ناصبة من التعب والعذاب في النار، ليس لهم طعام إلا من ضريع، وهو نبات بين طريق مكة واليمن، وهو طعام يابس فإذا أكل الكفار منه بقي غصة في حلوقهم، لا يسمن ولا يشبع ولا يغني من جوع، وهذا الجزاء للذي يتعب نفسه للعمل في الدنيا والمعاصي وينسى نصيبه من الآخرة [٤].

لقد أكد الله سبحانه على أنَّ مصير الكفار الفجار هو نار جهنم وبئس المصير فقال: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۞ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۞ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٤ – ١٦]، فالجحيم هو مصير الكفار، ولا يخفى ما في تنكيرها _ أي الجحيم _ من التفخيم والتهويل لذلك العذاب، يُقاسون حرها ويحترقون فيها يوم الدين ، الذي كانوا يُكذِّبون به، وما هم عن ذلك العذاب بغائبين طرفة عين بعد دخوله [٥].

---

(١) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل _ البيضاوي _ ص٤٤٩

(٢) الجامع لأحكام القرآن _ ٢٧٢/١٩

(٣) انظر: التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _

(٤) انظر: بحر العلوم _ السمرقندي _ ٥٥٢/٣

(٥) البحر المديد _ ابن عجيبة الأدريسي _ ٢٥٦/٨

وقال في موضع آخر: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۞ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ [البلد: ١٩ – ٢٠]، أي أن أولئك الكفار هم أصحاب الشمال أو أصحاب الشؤم أو الذين يعطون كتبهم بشمالهم، هم في نار مطبقة مغلقة عليهم لا يخرجون منها [١].

إنَّ نار جهنم هي مأوى الكافرين ومستقرهم يوم القيامة، وكأنها أم لهم يؤوون إليها وبئس المـــــــأوى، ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۞ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۞ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۞ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾ [القارعة: ٨ – ١١]، فالهاوية من أسماء النار، نار عميقة يهوى الكفار فيها مهوى بعيداً، وقيل للمأوى أم على سبيل التشبيه بالأم، وفي ذلك إشارة إلى استقرارهم وطول مكثهم فيها [٢].

لقد استحق أولئك الكفار وصف الله لهم بأنهم شر الخلق، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينـــة: ٦]، فهـــؤلاء الكفار استحقوا الخلود في النار بسبب أعمالهم السيئة وشركهم وكفرهم، وهم بذلك شر الناس.

بعد هذا العرض لمصير الكفار الأشقياء ينذرنا ربنا سبحانه من أن نكون من أصحاب هذا المصير البائس من خلال قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۞ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۞ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل: ١٤ – ١٦]، في الآيات إنذار وتخويف من نار تلظى، أي تتوقد التهاباً، لا يصلاها ولا يدخلها ويصطلي بحرها خالداً فيها أبداً إلا الأشقى، أي الأكثر شقاوة، وهو المشرك، وقد يدخلها الشقي من أهل التوحيد ويخرج منها بتوحيده [٣].

بعد أن وقفنا على مصير المؤمنين ومصير الكافرين عند الله ﷻ، لا شكَّ أن من آمن بهذا المصير سيجد له أثره البالغ في اعتقاده وتصوره وفي تصرفاته وأخلاقه ومعاملاته؛ فالذي يوقن جازما أن الله تعالى مجازيه على طاعته وحسن عبادته بجنة فيها من النعيم المقيم الأبدي ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأنه مجازيه على المعصية والإساءة بعذاب جهنم، لا شك أن ذلك ينعكس على عبادته فيعتني بها حتى يتقنها على أكمل وجه، وعلى أخلاقه فيحسنها ويبعد بها عن كل مانهى الله عنه، وعلى معاملته لكل من حوله وما حوله، وبالتالي فهو يعمل كل ما يقربه من الجنة، ويبعده عن النار، وإذا صدر منه خطأ أو تقصير بادر إلى تصحيحه وتكميله.

---

(١) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير _ الشوكاني _ ٦٣٢/٥

(٢) انظر: مفاتيح الغيب _ الفخر الرازي _ ٧١/٣٢

(٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير _ أبو بكر الجزائري _ ٥٨٤/٥

المطلب السادس

بيان فوز من جمع بين الإيمان والعمل الصالح

إنَّه من المعلوم لدي المسلمين أن شرطا النجاة من عذاب الله ﷻ، والفوز بجنته سبحانه هما الإيمان والعمل الصالح، ولا يغني أحدهما عن الآخر؛ فالإيمان بدون عمل لا يكفي، وكذلك عمل بدون إيمان لا ينفع، وهذا ما قررته نصوص الكتاب والسنة، إذ إنَّ الله ﷻ قرن بين الإيمان والعمل الصالح في أكثر من خمسين موضعاً من كتابه العزيز، وإنَّ الله ﷻ لم يثن على المؤمنين ولم يصف ما أعد لهم من النعيم المقيم والنجاة من العذاب الأليم، ولم يخبرهم برضاه عنهم إلا إذا جمعوا الإيمان بالعمل الصالح، فالإيمان اعتقادٌ بالقلب ، وقولٌ باللسان وعملٌ بالجوارح والأركان، يزيد بطاعة الرحمن وينقص بطاعة الشيطان [1].

فلا يستحق المدح والنعيم إلا من آمن وعمل صالحاً؛ آمن بلسانه وقلبه، وعمل بكل جوارحه ما يرضي ربه سبحانه، وأخلص في ذلك نيته لله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗاۖ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

وفي جزء عم الذي نحن بصدده قد وردت عدة آيات كريمات بين فيها المولى ﷻ تلك الحقيقة العظيمة؛ حقيقة فوز من جمع بين الإيمان والعمل الصالح، ففي سورة الانشقاق يستثني الله ﷻ من العذاب الأليم أولئك المؤمنين الذين قرنوا إيمانهم بالعمل الصالح، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ۝ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ [الانشقاق: ٢٢ – ٢٥]، ففي الآيات يتوعد الله سبحانه الكافرين المكذبين بعذاب أليم موجع شديد في جهنم، ثم أردف ذلك باستثناء منقطع، استثنى به المؤمنين الذين صدَّقوا بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، وأدوا الفرائض المفروضة عليهم، واجتنبوا ما نهى الله عنه، فهؤلاء لهم من الله حسن الثواب وجزيل العطاء؛ لهم عطاء وأجر غير منقوص ولا مقطوع [2].

ونظير هذه الآية آية سورة التين إذ يقول الله ﷻ: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ [التين: ٤ – ٦]، فهذه الآيات جواب

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية _ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ _ ص ٤٠٢

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٢٨٢/١٩

القسم الذي بدأ الله به السورة بقوله: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ١ – ٣]، حيث أقسم سبحانه على أنَّه خلق الإنسان في أتم خلق وأحسنه، متناسب الأعضاء، منتصب القامة، لم يفقد مما يحتاج إليه ظاهرًا أو باطنًا شيئًا، ومع هذه النعم العظيمة، التي ينبغي منه القيام بشكرها، فأكثر الخلق منحرفون عن شكر المنعم سبحانه، مشتغلون باللهو واللعب؛ فردهم الله في أسفل سافلين، أي: أسفل النار، موضع العصاة المتمردين على ربهم، إلا من منَّ الله عليه بالإيمان والعمل الصالح، والأخلاق الفاضلة العالية، فله بذلك المنازل العالية، والأجر العظيم غير المقطوع، ولهم لذات متوافرة، وأفراح متواترة، ونعم متكاثرة، في أبد لا يزول، ونعيم لا يحول، أكلها دائم وظلها [١].

إنَّ لهؤلاء الفوز الكبير في جنات النعيم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾[البروج: ١١]، إن الذين أقرّوا بتوحيد الله، وعملوا بطاعة الله، وأْتَمروا لأمره، وانتهَوْا عما نهاهم عنه لهم في الآخرة عند الله بساتين تجري من تحتها أنهار من خمر ولبن وعسل، وهذا هو الظفر الكبير والفوز العظيم الذي ليس بعده فوز [٢].

ومن تأكيد الله ﷻ على فوز أولئك المؤمنين أنه سبحانه وصفهم بأنهم خير البرية؛ فليس في البرية خير منهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۞ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧ – ٨]، حيث أخبر سبحانه في هاتين الآيتين بأنَّ جزاء من آمن بالله ورسوله وعمل بالدين الإسلامي فأدى الفرائض واجتنب النواهي وسابق في الخيرات والصالحات هؤلاء هم خير البرية، ثم بيَّن أنَّ جزاءهم يوم يلقونه جنات وبساتين دائمة، خالدين فيها أبداً، لا يخرجون منها ولا يموتون أبداً، رضي الله عنهم بسبب إيمانهم وطاعتهم ورضوا عنهم بسبب ما وهبهم وأعطاهم من النعيم المقيم في دار السلام، ذلك الجزاء المذكور وهو جزاء عظيم إذ جمع لأهله فيه بين سعادة الروح وسعادة البدن معا هو جزاء عبد خاف ربه فلم يعصه حتى لقيه بعد موته وإن عصاه يوما تاب وإن أخطأ رجع حتى مات وهو على الطاعة لا على المعصية [٣].

وفي سورة البلد بيَّن الله سبحانه أنَّ شرط قبول العمل الصالح أن يكون مقترناً بالإيمان، فلا ينفع عمل صالح بدون إيمان، إذ يقول المولى سبحانه: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۞ فَكُّ رَقَبَةٍ ۞ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۞ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۞ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۞ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ص٩٣٠

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن _ الطبري _ ٣٤٤/٢٤

(٣) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير _ أبو بكر الجزائري _ ٦٠٢/٥

﴿بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ [البلد: ١١ – ١٨]، فبعد أن عدد الله ﷻ في هذه الآيات الكريمات بعض الأعمال الصالحة؛ من عتق العبيد وإطعام الناس والعطف على الفقير والمسكين، أكد سبحانه أنَّها لا تنفع إلا إذا كان فاعلها مؤمناً بالله ﷻ، ثمَّ ختم سبحانه هذه الآيات ببيان فوز من جمع بين الإيمان والعمل الصالح بوصفهم بأنهم أصحاب الميمنة [١].

وزيادة في التأكيد على ذلك أقسم ربُّنا سبحانه على أنَّ الناس كلهم في خسران، مستثنياً من ذلك من آمن وعمل صالحاً إذ يقول في سورة العصر: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[العصر: ١ – ٣]، لقد أقسم الله ﷻ على خسران الناس في مساعيهم وصرف أعمارهم في مطالبهم الفانية، مستثنياً من ذلك الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق الثابت الذي لا يصح إنكاره من اعتقاد أو عمل، وتواصوا بالصبر عن المعاصي، أو على الحق، أو على ما يبتلي الله به عباده، فإنهم بذلك قد اشتروا الآخرة بالدنيا؛ ففازوا بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية [٢].

المطلب السابع

إثبات الميزان والحساب

الإيمان بالميزان والجزاء والحساب جزء من الإيمان باليوم الآخر، الذي هو ركن من أركان الإيمان، وقد أثبت القرآن الكريم في غير موضع حقيقة الميزان وحقيقة الحساب، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وبين الله ﷻ أنَّ الفائز المفلح يوم القيامة هو من ثقلت موازينه، ويسر حسابه، وأنَّ من خفت موازينه فهو الخاسر الهالك _ والعياذ بالله _، قال تعالى: ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۞ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨ – ٩]، وللمفسرين والعلماء أقوال عدة في بيان حقيقة الميزان، أورد القرطبي مجملها في تفسيره إذ قال: " والمراد بالوزن وزن أعمال العباد بالميزان، قال ابن عمر: توزن صحائف أعمال العباد، وهذا هو الصحيح، وقيل: الميزان الكتاب الذي فيه أعمال الخلق، وقال مجاهد: الميزان الحسنات والسيئات بأعيانها، وعنه أيضا والضحاك والأعمش: الوزن والميزان بمعنى العدل والقضاء، وذكر الوزن ضرب مثل؛ كما تقول: هذا الكلام في وزن هذا وفي وزانه، أي يعادله ويساويه وإن لم يكن هناك وزن، قال: الزجاج: هذا سائغ من

---

(١) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز _ الواحدي _ ص١٢٠٥

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل _ البيضاوي _ ص٥٢٦

جهة اللسان، والأولى أن يتبع ما جاء في الأسانيد الصحاح من ذكر الميزان، قال القشيري: وقد أحسن فيما قال، إذ لو حمل الميزان على هذا فليحمل الصراط على الدين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القوى المحمودة، وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل، وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر ، وصارت هذه الظواهر نصوصا " [1]

فالصحيح أنَّ الميزان يوم القيامة ميزان على الحقيقة، نؤمن به، ولا نسأل عن كيفيته، نؤمن بما أخبر به ربُّنا ﷻ، وما صح عن نبينا ﷺ، من غير تطلع إلى معرفة الكيف، قال ابن حزم: " وأما الميزان فقد أنكره قوم فخالفوا كلام الله تعالى جرأةً واقداماً، وتنطع آخرون فقالوا: هو ميزان بكفتين من ذهب، وهذا إقدام آخر لا يحل، قال الله ﷻ: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥] ، فأمور الآخرة لا تعلم إلا بما جاء في القرآن أو بما جاء عن رسول الله ﷺ، ولم يأت عنه ﷺ شيء يصح في صفة الميزان، ولو صح عنه في ذلك شيء لقلنا به، فإذا لم يصح عنه في ذلك شيء فلا يحل لأحد أن يقول على الله ﷻ ما لم يخبرنا به؛ لكن نقول كما قال الله ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] " [2]

وقد ورد في جزء عمَّ عدد من الآيات الكريمات التي تثبت الميزان والحساب يوم القيامة، ففي سور النبأ بيَّن الله ﷻ أنَّ سبب ورود الكفار جهنم وما سيلاقونه من عذاب شديد هو بسبب إنكارهم وتكذيبهم للحساب يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۞ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۞ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۞ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۞ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۞ جَزَآءً وِفَاقًا ۞ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۞ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ۞ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ۞ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٢١ – ٣٠]، فلقد استحق هؤلاء الجاحدين المكث في جهنم أحقاباً من الزمن، لأنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث، ولا يتوقعون الحساب، فهم غير مؤمنين بما جاءهم من ربِّهم ﷻ [3]

وفي سور الانشقاق يثبت الله ﷻ حسابه لجميع الناس؛ فمن آمن وأحسن عملاً فله الحساب اليسير والأجر الوفير، وأمَّا من أساء وعصى فحسابه شديد وعذابه أليم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن _ ١٦٥/٧

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل _ ٥٤/٤

(٣) اللباب في علوم الكتاب _ ابن عادل _ ١٠٨/٢٠

﴿ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۞ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۞ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۞ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۞ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٧ – ١٥]، فالحساب اليسير للمؤمن يكون سهلاً بلا تعسير، لا يناقش على جميع دقائق أعماله؛ من حوسب كذلك هلك لا محالة، وأمَّا الفاجر الذي يأخذ كتابه بشماله فإنه سيدعو ثبوراً وهلاكاً فإنَّ وخسراناً، وذلك جزاءً لما كان عليه في الدنيا حيث كان لا يفكر في العواقب ولا يخاف مما أمامه، فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل في العذاب الأليم [١]

لقد أكد الله ﷻ على أنَّ الحساب واقع لا محالة على العباد، فالله سبحانه هو المختص بذلك وليس سواه، ويكون ذلك الحساب يوم يرجع الناس إلى ربهم، يقول ﷻ: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ [الغاشية: ٢٥ – ٢٦]، فإنَّ الله غير غافل عما يعمل الظالمون،؛ ولكنَّه سبحانه يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار،وفي ذلك إيذان بأن تأخير عقابهم إمهال فلا يحسبوه انفلاتا من العقاب، ولا يخفى ما في الآية من تهديد ووعيد لمن كفر بالبعث وأنكر الحساب [٢]

إنَّ الحساب عند الله ﷻ دقيق، وإنَّ أعمال العباد توزن عنده سبحانه بالذرة، وكتب الأعمال لا تغادر صغيرة ولا كبيرة، يقول الله ﷻ: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۞ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٦ – ٨]، في هذه الآيات يبيِّن الله ﷻ أنَّ كل الأعمال سيحاسب عليها الإنسان، وأنَّ الميزان دقيق إلى أبعد مدى، " فعلى الإنسان المؤمن أن لا يحقر شيئاً من عمله. خيراً كان أو شراً، ولا يقول: هذه صغيرة لا حساب لها ولا وزن؛ بل يجب أن يرتعش وجدانه أمام كل عمل من أعماله ارتعاشة ذلك الميزان الدقيق الذي ترجح به الذرة، إنَّ هذا الميزان لا يوجد له نظير أو شبيه إلا في القلب المؤمن " [٣]

وهذه سورة القارعة التي تقرع القلوب بشدة لما فيها من بيان الربح والخسران، وذلك بثقل أو خفة ميزان العبد يوم الحساب، قال تعالى: ﴿ الْقَارِعَةُ ۞ مَا الْقَارِعَةُ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ۞ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ۞ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۞ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [القارعة: ١ – ١١]، يبيِّن الله ﷻ في هذه السورة العظيمة حال الناس حينما يقومون من قبورهم للحساب، وكأنهم فراش يتخبط بعضه ببعض من هول ما ينتظره من شدة الحساب، مبيناً المولى ﷻ أنَّ الرابح في ذلك اليوم هو من ثقلت أعماله الصالحة في الميزان

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٢٩٣/١٤

(٢) انظر: التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٣٠٩/٣٠

(٣) في ظلال القرآن _ سيد قطب _ ٣٩٥٦/٦

الذي يحاسب بالذرة، وهذا هو صاحب الحياة الراضية الهانئة بالنعيم المقيم، وأنَّ الخاسر هو من خفت أعماله الصالحة وثقلت سيئاته في الميزان، فإنَّ مآله إلى نار تكون له بمنزلة الأم الملازمة، وبئست تلك الأم. (١)

ولا يخفى على كل ذي لب ما للإيمان بالحساب والميزان من أثر عظيم في استقامة الفرد والمجتمع على طاعة ربِّهم ﷻ؛ لأنه من علم أنَّه مسؤول ومحاسب على كل صغيرة وكبيرة من عمله، وكل شيء محصاً عليه في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، وأنَّ هذه الأعمال ستوزن في ميزان لا يغفل فيه عن الذرة، حتماً سيحرص على أن تكون أعماله كلها صالحة، تزيد في حسناته، وتثقِّل في ميزانه؛ لأنَّه يعلم أنَّ نتيجة هذه الحسنات هي جنات ونعيم مقيم، وبتلك العقيدة الراسخة المؤمنة بالحساب والميزان ينصلح حال أفراد المجتمع الذي بصلاحهم ينصلح المجتمع كله، فهو مجتمع لا يخشى من رقيب الدنيا، ولا من سلطان يقف على رأسه؛ إنما يخشى الله ﷻ، وخشية الله هي رأس الحكمة، وأساس كل صلاح.

المطلب الثامن

الحديث عن الملائكة وبيان بعض مهامهم

إنَّ الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، ولا يكون العبد مؤمناً إذا ما أنكر وجودهم، أو وصفهم بما لم يصفهم به ربُّهم ﷻ، أو أنكر شيئاً مما أخبرنا الله ﷻ عنهم، والملائكة عباد لله مكرمون، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، يعبدون الله ولا يفتُـــرون، ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩ – ٢٠].

لقد كانت العرب في الجاهلية يفترون على الله الكذب، ويقولون بأنَّ الملائكة بنات الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، ولقد ردَّ الله ﷻ على إفكهم هذا، ونزه نفسه عما نسب إليه المبطلون، وبين سبحانه أنَّ ملائكته خلق مكرمون من خلقه، وعباد من عباده، وأنَّه سبحانه ما اتخذ صاحبة ولا ولد، فهو سبحانه الغني، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ص ٩٣٣.

ومن الآيات التي جاءت لإصلاح عقيدة العرب الفاسدة في حق الملائكة قول الله تعالى: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ۞ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ۞ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۞ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۞ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ۞ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۞ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٩ – ١٥٥].

فالملائكة خلقهم الله ووكل إليهم بعض المهام التي يقومون بها؛ فمنهم من وكِّل بالسحاب، ومنهم من وكِّل بالجبال، ومنهم من وكِّل بالرياح، ومنهم من وكَّل بالجنة، ومنه من وكَّل بالنار، ومنهم من سينفخ بالصور، ومنهم من يقبض الأرواح، وأعظمهم جبريل، الروح الأمين، الذي نزل بالرسالات العظيمة على أفضل خلق الله من البشر، الرسل والأنبياء عليهم السلام، ونحن مأمورون بالإيمان بهم، وبما وكِّل إليهم من أعمال كما جاء في كتاب ربِّنا وسنة نبينا ﷺ، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

وفي جزء عم الكثير من الآيات العظيمة التي تحدثت عن هؤلاء الخلق المكرمين، وعن بعض المهام التي وكلوا بها، فلقد أخبر الله ﷻ عن النفخ في الصور فقال سبحانه: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ [النبأ: ١٨]، وهذه من أعظم المهام التي وكِّلت للملائكة، والموكل بها ملك اسمه إسرافيل عليه السلام، ينفخ في الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه ليقوم الناس للحشر والحساب [١]

وإنَّ من مشاهد يوم القيامة اصطفاف هؤلاء الخلق المكرمون في صفوف عظيمة، يترأسهم جبريل عليه السلام، لا يتكلمون إلا بأمر من ربهم ﷻ، ذلك مشهد عظيم ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾[النبأ: ٣٨]، فاصطفاف الملائكة في صفوف عظيمة مهيبة فيه دلالة على عظمهم وعظم خلقهم، وفي الآية أيضاً ردٌّ على أولئك الكفار الذين كانوا يعبدون الملائكة من دون الله ﷻ، فالملائكة مع عظمهم هم خلق من خلق الله ﷻ لا يملكون الكلام يوم القيامة إلا بإذن الله ﷻ، فهو ربُّ كل شيء ومالكه، وهو وحده المستحق للعبادة. [٢]

ونظير هذه الآية آية سورة الفجر، حيث يقول الله ﷻ: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۞ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢١ – ٢٢]، قال السعدي في تفسير هذه الآية: " ويجيء الله تعالى لفصل القضاء بين عباده في ظلل من الغمام، وتجيء الملائكة الكرام، أهل السماوات كلهم، صفًا صفا أي: صفًا بعد صف، كل سماء يجيء ملائكتها صفا، يحيطون بمن دونهم من الخلق، وهذه الصفوف صفوف خضوع وذل للملك الجبار " [٣]

---

(١) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير _ الشوكاني _ ٥١٤/٥

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل _ ابن جزي _ ص١٥٩٦

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ص ٩٢٤.

ولعظم شأن الملائكة عند ربهم فقد أقسم سبحانه بهم _ ولا يقسم سبحانه إلا بعظيم _، وكان القسم بهم في سياق سرد المولى ﷻ بعضاً من أهم ما وكل للملائكة من أعمال، يقول ﷻ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۞ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۞ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۞ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۞ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ١ – ٥] ففي هذه الآيات بيان لبعض تلك المهام فالنازعات هي : الملائكة التي تنزع أرواح الكفار، والناشطات هي الملائكة تقبض نفس المؤمن ، والمدبرات هؤلاء جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام يدبروا أمر الدنيا بتوكيل الله ﷻ لهم.(١)

وفي سور عبس ذكر آخر لملائكة الرحمن، إذ يقول المولى سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۞ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۞ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۞ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۞ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۞ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١١ – ١٦]، والسفرة هم الملائكة، والسفرة هم الكتبة، وقيل سفرة مفرد سفير، وهو الذي يوصل الكتب من الله إلى رسله وأنبيائه، وقيل هم المصلحون، تقول العرب سفرت بين القوم أي أصلحت بينهم، فجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله كالسفير الذي يصلح بين القوم (٢)

وفي سور الانفطار بيان لبعض مهام الملائكة الكرام، حيث ذكر سبحانه الملائكة الذين يحفظون ويحصون أعمال العباد ويسجلونها في صحائفهم فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۞ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۞ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ – ١٢]، قال الطبري: " إنَّ عليكم رُقَباء حافظين يحفظون أعمالكم، ويُحْصونها عليكم كراما على الله كاتبين يكتبون أعمالكم " (٣)

ومن الملائكة من وكلهم الله ﷻ بالرحمة وإعداد النعيم لأهل الجنة، وهم خزنة الجنة، ومنهم ملائكة العذاب الذين يسومون الكفار سوء العذاب، وهم زبانية جهنم، وقد هدد الله ﷻ الكفار بهم، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۞ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۞ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٥ – ١٨]، حيث نزلت هذه الآية في سياق التهديد والوعيد لأبي جهل الكافر، الذي كان يؤذي النبي ﷺ أثناء دعوته وصلاته، فتوعده الله ﷻ إن لم ينتهي ويرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد لنسمن ناصيته سوادا يوم القيامة، تلك الناصية الكاذبة في مقالها الخاطئة في أفعالها، ثم تحداه الله ﷻ بأن يأتي بقومه وعشيرته الذين يستنصر بهم، ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾، وهم ملائكة العذاب حتى يعلم من يغلب أحزبنا أو حزبه (٤)

---

(١) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز _ الواحدي _ ص١١٦٩

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير _ ابن الجوزي _ ٢٩/٩، التسهيل لعلوم التنزيل _ ابن جزي _ ص٢٥٥٩

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن _ ٢٧١/٢٤

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٤٠٠/١٤

ومن حديث الله ﷻ عن ملائكته الكرام ما ذكره سبحانه عنهم في سورة القدر حيث قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۞ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۞ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۞ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ١ – ٥]، فبعد أن بيَّن ربُّنا سبحانه ما لليلة القدر من شرف عظيم، ذكر أن من مزايا وفضائل هذه الليلة أيضا ، أن الملائكة – وعلى رأسهم الروح الأمين جبريل – ينزلون فيها أفواجا إلى الأرض ، بأمره ﷻ وإذنه، وهم جميعا إنما ينزلون من أجل أمر من الأمور التي يريد إبلاغها إلى عباده، ونزول الملائكة إلى الأرض من أجل نشر البركات التي تحفهم، فنزولهم في تلك الليلة يدل على شرفها، وعلى رحمة الله ﷻ بعباده [1]

إنَّ للإيمان بالملائكة ثمار عظيمة، وآثار جليلة على حياة المؤمنين؛ فمن آمن بالملائكة شعر بعظيم رحمة الله ﷻ الذي جعل من الملائكة حفظة لعباده، ويستشعر أيضاً مدى عظمة الخالق سبحانه الذي خلق تلك المخلوقات العظيمة، ولا يعلم مقدار عظمها إلا هو سبحانه، كما أن المؤمن بالملائكة يجد له دافعاً قوياً على الطاعة والعمل الصالح، مقتدياً بملائكة الرحمن الذين يعبدون ربهم ولا يفتُرون.

كما أنَّ للإيمان بالملائكة أثر في ردع الإنسان عن اتباع هواه وشهواته، وردع عن الوقوع في الزلات والمعاصي حينما يعلم أنَّ هناك ملائكة غلاظ شداد قد حذر الله ﷻ منهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

المطلب التاسع

بيان صدق النبي ﷺ وصدق ما جاء به

أولاً: بيان صدق النبي ﷺ:

إنَّ شهادة الله ﷻ لأمر من الأمور لهي أعظم تصديق، وأجل تأكيد لهذا الأمر، قال سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[النساء: ١٦٦] ، ولقد شهد الله ﷻ على صدق نبيه محمَّد ﷺ فيما جاء به من الرسالة والنُّبوة، وذلك في أعظم كتاب أُنزل على الأرض، فلقد ورد في عدة مواضع من القرآن الكريم شهادة الله ﷻ لنبيِّه ﷺ، ورد على المكذبين المنكرين لرسالته، يقول ابن القيِّم متحدثاً عن ذلك: " قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى

(١) انظر: التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٤٦٤/١٥

﴿وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[الرعد: ٤٣]، استشهد على رسالته ﷺ بشهادة الله له، ولا بدَّ أن تُعلم هذه الشهادة، وتقوم بها الحُجَّة على المكذِّبين له، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]، وكذلك قوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦] ، وكذلك قوله: ﴿يسٓ ۞ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۞ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ١ – ٣]، وقوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢] ، وقوله:﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون: ١]، وقوله ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩] ؛ فهذا كلُّه شهادة منه ﷻ لرسوله ﷺ، قد أظهرها وبيَّنها وبيَّن صحتها غاية البيان، بحيث قطع العذر بينه وبين عباده وأقام الحجة عليهم " (١)

ولقد كان في هذه الشَّهادة الربَّانية أعظم تثبيت، و أقوى تصديق للنبي ﷺ، وهو يواجه كلَّ أنواع المعارضة، والتَّكذيب، وتلفيق التُّهم والافتراءات، فكانت شهادة الله له أعظم زاد للصبر على تحمل مشاقِّ الدعوة، فإذا ما اتهمه الناس _ من المكذبين والمشركين _ بأنه كاذب مفترٍ، أو شاعرٌ متقولٌ، أو ساحرٌ، أو مجنونٌ؛ فإن ربَّ النَّاس يشهد له بأنَّه رسول من عند ربه، صادقٌ أمينٌ، على خلقٍ عظيمٍ.

وفي جزء عمَّ دافع الله ﷻ عن نبيه ﷺ وأقسم على نفي الاتهامات التي وجهها له المشركون، فقال سبحانه: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۞ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۞ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۞ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۞ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۞ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۞ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾[التكـــوير: ١٥ – ٢٢]، يقول السعدي: " ولما ذكر فضل الرسول الملكي الذي جاء بالقرآن، ذكر فضل الرسول البشري الذي نزل عليه القرآن، ودعا إليه الناس فقال: { وَمَا صَاحِبُكُمْ } وهو محمد صلى الله عليه وسلم { بِمَجْنُونٍ } كما يقوله أعداؤه المكذبون برسالته، المتقولون عليه من الأقوال، التي يريدون أن يطفئوا بها ما جاء به ما شاءوا وقدروا عليه، بل هو أكمل الناس عقلا وأجزلهم رأيا، وأصدقهم لهجة ﷺ " (٢)

وفي سورة الضحى من نفس الجزء أقسم الله على أنَّه ما ودَّع نبيه وما قلاه، قال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۞ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۞ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١ – ٣]، هذا قسم من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ، أقسم له به على أنَّه ما تركه ولا أبغضه، فالله ﷻ لا يتخلى عن نبيه ﷺ، ولا يتركه؛ بل هو سبحانه معه يصدقه وينصره، ويردَّ عن افتراءات المكذبين (٣)

---

(١) التفسير القيم _ ٣٠٧/١

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ ص ٩١٢

(٣) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير _ أبو بكر الجزائري _ ٥٨٦/٥

ثانياً: بيان صدق ما جاء به ﷺ:

بعث الله ﷻ نبيَّه محمَّداً ﷺ لهداية النَّاس، وإخراجهم من الظُّلمات إلى النُّور، وأنزل معه القرآن الكريم، الذي فيه الهدى والرَّشاد ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، فأبى المكذبون المعاندون قَبول الحقِّ، وبذلوا جهدهم لمحاربته، وصرف النَّاس عنه، فأخذوا يطعنون ويشككون فيه، ويلفقون الأباطيل ويرمونه بها، فقالوا عنه: أساطير الأولين، قال الله ﷻ عنهم: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾[الأنفال: ٣١] ، وقال أيضاً: ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: ٥]، واستمروا في تلفيق التهم والأباطيل؛ والله ﷻ يدافع عن نبيه، وينزه قرآنه، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢].

فقالوا تارة: علمه بشر، فقال الله ﷻ رداً عليهم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾[النحل: ١٠٣]، وقالوا تارة أخرى: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾[الأنبياء: ٥]، ثم هذا زعيمهم الوليد ابن المغيرة ﴿ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝ ثُمَّ نَظَرَ ۝ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ [المدثر: ١٨ – ٢٤]، فلمَّا لم تفلح محاولاتهم الخائبة قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت: ٢٦]، وهكذا أهل الباطل دائماً !.

ولقد كان هذا العداء وهذا التَّكذيب من أولئك الكافرين يؤذي النبي ﷺ، ويُحزن قلبه؛ فكانت المواساة الربانية له ﷺ بإثبات صدقه فيما ينقله عن ربِّه ﷻ، وردِّ تُهَم الكافرين المعاندين؛ ومن ذلك أن الله ﷻ أقسم _ في عدة مواضع من كتابه العزيز _ على صِدق القرآن، وأنه وحي من الله ﷻ، وأنَّه فصلٌ ليس بالهزل؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿حم ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[الزخرف: ١ – ٤]، حيث يقسم الله ﷻ في هذه الآيات بالقرآن على القرآن، يقسم بالكتاب المبين؛ الذي هو مبين لكلِّ ما يحتاج إليه العباد؛ من أمور الدنيا والدين والآخرة، وجواب القسم: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ جعله سبحانه بأفصح اللغات وأوضحها وأبينها، وهذا من بيانه. وذكر الحكمة في ذلك فقال:﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ألفاظه ومعانيه لتيسرها وقربها من الأذهان، ثم ذكر سبحانه وصفاً آخر لهذا الكتاب

المبين، وهو أنَّه في الملأ الأعلى في أعلى الرتب وأفضلها، عليٌّ في قدره وشرفه، حكيمٌ فيما يشتمل عليه من الأوامر والنواهي والأخبار، فليس فيه حكم مخالف للحكمة والعدل والميزان[1]

ومن قبيل هذه الأقسام في جزء عمَّ قوله تعالى:﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴾ [التكـــوير: ١٦ – ٢١]، القسم هنا بالنجوم، التي بالنهار تكون مختفية عن الأنظار، ولا تظهر إلا بالليل، فشبِّهت بالظباء التي تختفي في بيوتها ولا تظهر إلا في أوقات معينة، والقسم بها لأنها في حركاتها المختلفة، من ظهور وأفول، ومن إقبال وإدبار، تدل دلالة ظاهرة على قدرة الله ﷻ، وعلى بديع صنعه في خلقه. فأقسم ﷻ بهذا القسم على أن القرآن نزل به جبريل عليه السلام. [2]

ونسب ﷻ القول إلى الرسول – وهو جبريل عليه السلام – لأنَّه هو الواسطة في تبليغ الوحي إلى النبي ﷺ، ثم وصف الله ﷻ أمين وحيه جبريل عليه السلام بخمس صفات: أولها: قوله: ﴿ كَرِيمٖ ﴾ أي: ملك شريف، حسن الخلق، بهي المنظر، ثانيها:﴿ ذِي قُوَّةٍ ﴾ أي: صاحب قوة وبطش، ثالثها: ﴿ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴾ أي: إن من صفات جبريل عليه السلام أنه ذو مكانة رفيعة، ومنزلة عظيمة عند الله ﷻ، رابعها: قوله: ﴿ مُّطَاعٖ ﴾ أي يُطيعه من معه من الملائكة المقربين، وخامسها: قوله:﴿ ثَمَّ أَمِينٖ ﴾والمعنى: مطاع فى السموات عند ذي العرش، أو أمين فيها، أي: يؤدى ما كلفه الله ﷻ به بدون أية زيادة أو نقص.[3]

ومن القسم على عظمة القرآن وأنه كلام حق وفصل قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ۝ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ۝ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ۝ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴾[الطارق: ١١ – ١٤]، يقسم الله ﷻ بالسماء ذات الرجع، أي ذات المطر، ترجع كل سنة بمطر بعد مطر. كذا قال عامة المفسرين، ويقسم كذلك بالأرض ذات الصدع؛ أي التي تتصدع عن النبات والشجر والثمار والأنهار، يقسم على أنَّ القرآن يفصل بين الحق والباطل، وفي الحديث عن علي ﷺ قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: **(كتاب فيه خبر ما قبلكم وحكم ما بعدكم، هو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه اللّه، ومن ابتغى**

---

(١) االنظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ٧٦٢/١، اللباب في علوم الكتاب _ ابن عادل _ ٢٢٧/١٧ .

(٢) انظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن _ الطبري _ ٢٥٤/٢٤ .

(٣) انظر : التفسير الوسيط _ سيد طنطاوي ٤٤٥٢/١ .

الهدى في غيره أضله اللّه) [1]، ثم يردف سبحانه وصفاً آخر للقرآن وهو أنه ليس بالهزل، أي ليس القرآن بالباطل واللعب، والهزل: ضد الجد [2]

" وعطف ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ بعد الثناء على القرآن بأنه ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ رداً على المشركين، إذ كانوا يزعمون أنَّ النبي ﷺ جاء يهزل؛ إذ يخبر بأنَّ الموتى سيحْيَوْن، يريدون تضليل عامتهم ليصرفوهم عن أن يتدبروا القرآن، وهو ما حكاه الله عنهم في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ... ﴾ [فصلت: ٢٦]، فالهزل على هذا الوجه هو ضدّ الجدّ، أعني المزح واللعب، ومثل هذه الصفة إذا وردت في الكلام البليغ لا محمل لها إلا إرادة التعريض وإلا كانت تقصيراً في المدح لا سيَّما إذا سبقتها مَحمَدة من المحامد العظيمة " [3]

وبهذا البيان الرباني لصدق النبي ﷺ، وصدق ما جاء به من القرآن الحكيم مما لا يدع في قلب المؤمن ريب ولا شك لأثر واضح جلي في إصلاح الفرد المسلم والجماعة؛ حيث إنَّ الذي يعتقد ويؤمن بهذا النبي وبما جاء به ينال سعادة الدنيا والآخرة، وينعم برضا مولاه سبحانه، وكذا المجتمع المؤمن يعيش مطمئناً راضياً منتجاً.

المطلب العاشر

البراءة من الكفر وأهله

إنَّ إيمان العبد لا يكتمل إلا إذا اشتمل على الولاء والبراء؛ الولاء لله ﷻ ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، والبراءة من الكفر والشرك والنفاق، فالإيمان يقتضي الالتزام بما أمر الله ﷻ، والانتهاء عمَّا نهى، وقد أمر الله سبحانه بموالاة المؤمنين وبالبراءة من الشرك والمشركين، وقد ورد ذلك الأمر في مواطن عدة من الذكر الحكيم، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ولقد أعلن الله ﷻ براءته وبراءة رسوله ﷺ من المشركين فقال: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١].

---

(١) سنن الترمذي _ كتاب ثواب القرآن _ باب ما جاء في فضل القرآن _ ٢٩/٥ _ ح٢٩٠٨ وغيره، وقال عنه الألباني في السلسلة الضعيفة : ضعيف (السلسلة الضعيفة _ ح ٦٣٩٣).

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ١٠/٢٠ .

(٣) التحرير والتنوير _ ابن عاشور _ ٢٦٦/٣٠ .

ولقد كان الأمر بالبراءة من الكفر والشرك وأهلهما منذُ بداية الدعوة، فلقد نزلت سورة الكافرون _ وهي من أوائل ما نزل _ على النبي ﷺ ليصدع بها بين أظهر المشركين، معلناً البراءة منهم ومن شركهم وكفرهم، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١ – ٢]، ولقد ذكر المفسرون أنَّ سبب نزول هذه السورة أنَّ جماعة من كفار قريش وصناديدها جاؤوا إلى النبي ﷺ وعرضوا عليه أن يعبدوا الله ﷻ سنة، ثمَّ يعبد النبي ﷺ أوثانهم سنة، وهذا من شدَّة جهلهم وجحودهم، فأنزل الله ﷻ هذه السورة، وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية؛ وبهذا فإنَّ سورة الكافرون هي سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون [١]

يقول الدكتور وهبة الزحيلي: " هذه السورة المكية– سورة البراءة من عمل المشركين والإخلاص في العمل للَّه تعالى، وضعت الحد الفاصل النهائي بين الإيمان والكفر، وبين أهل الإيمان وعبدة الأوثان، فحينما طلب المشركون المهادنة من رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلّم، وأن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا إلهه سنة، نزلت السورة تقطع أطماع الكفار الرخيصة، وتفصل النزاع بين فريقي المؤمنين والكافرين إلى الأبد " [٢]

فعندما يلتزم كلُّ مؤمن بعقيدة البراءة من الشرك وأهله، ويلتزم موالاة أهل الإيمان تقوى بذلك شوكة الإسلام، وينعدم ذلك التأثير الواضح من الغرب على المجتمع المسلم، الذي ما كان هذا التأثير إلا لضعف أو انعدام في فهم هذه العقيدة الصحيحة.

فعلى الدعاة والمصلحين أن يرسخوا هذه العقيدة في نفوس أبناء الأمة الإسلامية، وخاصة جيل الشباب المنبهر بحضارة الغرب الزائفة المبنية على المادية الزائلة، ويغرسوا في نفوسهم عظمة هذا الدين، وعظمة هذه الأمة، ويبينوا لهم أنَّ ما عليه الأمة اليوم من تخلف وتأخر عن ركب الأمم ما هو إلا عارض طارئ يوشك أن يزول إذا ما صدقت النوايا، وتظافرت الجهود، وتوحدت كلمة المسلمين على كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، وما ذلك على الله بعزيز.

المطلب الحادي عشر

صدق الالتجاء إلى الله ﷻ

إنَّ من مقتضيات الإيمان أن يصدق العبد في توجهه والتجائه إلى ربِّه ﷻ؛ فالمؤمن يؤمن بأنَّ المقادير كلها بيد الله ﷻ، وأنَّ الله سبحانه هو القوي المتين، وإذا كان الله من العبد

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن _ الطبري _ ٦٦١/٢٤، وتفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٤٨٤/١٤

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج _ ٤٣٧/٣٠

فمن عليه؟! ولقد افتتح الله كتابه بسورة الفاتحة التي فيها ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة: ٥]، فالمؤمن لا يعبد إلا الله، ولا يستعين إلا بالله، قال رسول الله ﷺ: **(احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف)** [١]

إنَّ الالتجاء لله ﷻ والتَّوكُّل عليه سبحانه من الأوامر الرَّبانيَّة التي جاء بها القرآن الكريم، وحثَّ عليها، وهو أيضاً من أعظم الوسائل التي أرشدنا إليها الكتاب العزيز في إصلاح الأفراد والجماعات، ولقد ورد الأمر به في غير موضعٍ من كتاب ربِّنا سبحانه، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: ١٢]، وقوله: ﴿ .وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[•] [آل عمران: ١٢٢] ؛ بل إنَّ الله ﷻ جعل التوكُّل عليه شرطاً للإيمان فقال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣]، وورد أيضاً الأمر بالتوكُّل موجهاً للنبيِّ ﷺ خاصةً في غير موضعٍ من كتاب الله ﷻ، من ذلك قوله تعالى مخاطباً نبيَّه ﷺ: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤٨] ، وامتدح الله ﷻ عباده المؤمنين الذين اتصفوا بصفة التوكُّل عليه سبحانه فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]، وغير ذلك من الآيات.

فالالتجاء والتوكُّل على الله ﷻ مطلبٌ شرعيٌ، وعبادةٌ عظيمةٌ، وأصلٌ من أصول الإيمان، قال ابن القيم: " التوكُّل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة؛ فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هي العبادة " [٢]، والتوكُّل على الله ﷻ له آثارٌ طيِّبةٌ على العبد في دنياه وآخرته، فقد قال رسول الله ﷺ في وصف السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنَّة من غير حساب: **(هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون)**[٣]، وقال

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه _ كتاب صفة القيامة والرقائث والورع _ ٢٨٥/٤ _ ح٢٥١٦، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح

(•) هذا التذييل للآية ذُيلت به سبع آيات من كتاب الله ﷻ في سبعة مواضع؛ موضعين في سورة آل عمران، وموضع في المائدة، وموضع في التوبة، وموضع في إبراهيم، وموضع في المجادلة، وموضع في التغابن.

(٢) مدارج السالكين _ ١١٣/٢.

(٣) صحيح البخاري _ كتاب الرقاق _ باب يدخل الجنَّة سبعون ألفاً بغير حساب _ ١١٢/٨ _ ح٦٥٤١

ﷺ مبيناً لثمرة التوكُّل على العبد في دنياه: **(لو أنَّكم تتوكَّلون على الله حق توكُّله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً)** [١]

وفي غير موضع من جزء عمَّ يبين المولى ﷻ أهمية الالتجاء إلى الله ﷻ، ففي سورة الشرح يأمر نبيه ﷺ بالالتجاء إليه فقال سبحانه: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۞ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشرح: ٧ – ٨]، فقد كان المشركون يلجؤون ويرغبون في أمورهم إلى آلهتهم وأصنامهم، فوجه الله ﷻ هذا الخطاب إلى النبي ﷺ ليجعل رغبته والتجاءه إلى الله ﷻ دون سواه [٢]

ولقد أنزل الله ﷻ على نبيه سورتي الفلق والناس وهما أساس في الالتجاء إلى الله ﷻ، ففيهما بيان لكيفية التجاء العبد إلى الله ﷻ والاعتصام به من كل الشرور، يقول الله ﷻ في سورة الفلق: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۞ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۞ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۞ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١ – ٥]، أي: قل أيها الرسول الكريم أعوذ وأستجير وأعتصم، بالله ﷻ الذي فلق الليل، والذي هو رب جميع الكائنات، ومبدع كل المخلوقات، أعوذ بهذا الرب العظيم مِنْ شَرِّ كل ذي شر من المخلوقات، لأنَّه لا عاصم من شرها إلا خالقها ﷻ إذ هو المالك لها، والمتصرف في أمرها، والقابض على ناصيتها، والقادر على تبديل أحوالها، وتغيير شئونها [٣]

وفي سورة الناس استعاذة من العدو اللدود، الذي هو أساس كل شر، وسبب في كل معصية، استعاذة من الشيطان الرجيم، الذي يوسوس بالشر والسوء، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۞ مَلِكِ النَّاسِ ۞ إِلَٰهِ النَّاسِ ۞ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۞ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۞ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ١ – ٦] ، يقول الدكتور وهبة الزحيلي: " علّمنا اللَّه ﷻ في هذه السورة _ رحمة بنا _ كيفية الاستعاذة من شياطين الإنس والجن، وعرفنا أنه بصفاته الثلاث: الربوبية، والملك، والألوهية، يحمي المستعيذ من شرور الشيطان وأضراره في الدين والدنيا والآخرة. ومعنى الربوبية يدل على مزيد العناية وحرص المربي [٤]

إنَّ في تعاليم القرآن الكريم للمسلمين كيفية الالتجاء والاعتماد والتوكل على ربهم ﷻ صلاح وإصلاح لعقيدتهم وشؤون حياتهم، فالذي يؤمن بوجوب الالتجاء إلى الله ﷻ في كل شيء هو إنسان مطمئن، ليس بحاجة إلى البحث عن حصن يحتمي به، أو ملاذاً يلتجئ إليه، مرتبط

---

(١) مسند الإمام أحمد _ ٣٠/١ _ ح ٢٠٥، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي، ورجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن هبيرة فمن رجال مسلم.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن _ الطبري _ ٤٩٧/٢٤

(٣) انظر: التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٥٤٥/١٥

(٤) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج _ ٤٨٢/٣٠

بربه ﷻ، سائر على منهاج النبي ﷺ، قد طهر نفسه وعقله من الجري وراء الخرافات والخزعبلات والعرافين الكهنة والدجالين.

والأمة الملتجأة إلى ربِّها ﷻ أمَّة مطمئنة قوية، تسير بخطى ثابته، وعزيمة قوية، لأنها متوكلة على القوي العزيز.

المطلب الثاني عشر
الدعوة للتفكر في نعم الله ﷻ

إنَّ نعم الله ﷻ على عباده كثيرة عظيمة، لا يمكن عدها، ولا يقدر أحد على إحصائها، وكتاب الله ﷻ مليءٌ بالآيات التي تُذَكِّرُنا بِنِعَمِ الله ﷻ علينا، تلك النِّعَمِ العظيمةِ الكثيرةِ، التي لا يستطيع البشر مجتمعين إحصاءها، قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[إبراهيم: ٣٤]، ولقد نبَّهنا الكتاب العزيز لنعمٍ عظيمةٍ من نِعم المولى ﷻ يغفل عن ذكرها _ فضلاً عن شكرها _ كثيرٌ من الناس.

ولوا تأملنا في سورة النَّحل _ مثلاً _، تلك السورة التي تُسمَّى بسورة النعم [1]، لوقفنا على كثيرٍ من نعم المولى ﷻ، ذَكَّرنا ربُّنا سبحانه بها، حيث بدأت السورة بذكر نِعمة إنزال الوحي لهداية البشريَّة، ويا لها من نعمةٍ عظيمةٍ! يتعرَّف من خلالها العبد على ربِّه، ويسعد بها في دنياه وآخرته، قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾[النحل: ٢]

إنَّ الله ﷻ قد أسبغ على عباده نعماً ظاهرة وباطنة ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ ﴾ [لقمان: ٢٠]، وإنَّ كلَّ نِعمة يَتَنَعَّم بها العباد فإنَّما هي من الله ﷻ ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[النحل: ٥٣]

فما أعظم نعم الله على عباده، وليس هناك قولٌ في بيان ذلك أبلغ من قول المولى سبحانه: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[إبراهيم: ٣٤]، فالعباد كلهم لا يُطِيقُون عدَّ نِعَم الله ﷻ عليهم، ولا إحصائها، فأنَّى لهم القيام بشكرها [2]

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٦٥/١٠ ، الدر المنثور _ السيوطي _ ١٥٥/٥، زاد المسير في علم التفسير _ ابن الجوزي _ ٤٢٦/٤

(٢) انظر: بحر العلوم _ السمرقندي _ ٢٦٩/٢، معالم التنزيل _ البغوي _ ٣٥٤/٤

إنَّ نِعَم الله علينا ليس لها حدٌّ ولا حصر، ولا يمكن للعبد الإحاطة بها؛ فهناك نِعَمٌ ظاهرةٌ ونِعَمٌ باطنةٌ، وهناك نِعَمٌ في الدِّين ونِعَمٌ في الدُّنيا، وهناك نِعَمٌ عامَّةٌ ونِعَمٌ خاصةٌ...وكلما طال تأمُّل العبد في نِعم الله الظاهرة والباطنة، الدِّينية والدُّنيوية، رأى أنَّ ربَّه قد أعطاه خيراً كثيراً، ودفع عنه شروراً عديدة [١].

وفي جزء عمَّ يعدد ربنا سبحانه وتعالى بعض نعمه الدالَّة على قدرته سبحانه؛ ليتفكر الإنسان في هذه النعم العظيمة، وليظلَّ شاكراً هذه النعم، متصلاً بالمنعم في كلِّ وقت وحين، يقول الله ﷻ في سورة عبس: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۞ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۞ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۞ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۞ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۞ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۞ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۞ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۞ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤ – ٣٢]، لقد أرشد الله تعالى في هذه الآيات الإنسان إلى النظر والتفكر في طعامه، وكيف وصل إليه بعدما تكررت عليه مراحل عديدة، ويسره له؛ فأنزل سبحانه المطر على الأرض، فتشققت الأرض عن أصناف متنوعة من الأقوات والفواكه والأطعمة للإنسان والدواب، فالذي ينظر ويمعن النظر في هذه النعم يكون على الدوام شاكراً لربه، باذلاً للجهد في الإنابة إليه سبحانه، والإقبال على طاعته، والتصديق بأخباره [٢]

وفي سورة الطارق يذكِّر الله ﷻ عباده بنعمة عظيمة من نعمه عليهم، ألا وهي نعمة الخلق، يقول سبحانه: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٥ – ٧، نبّه الله ﷻ الإنسان إلى مبدأ خلقه؛ ليتفكر في كيفية بدء خلقه، ليعلم عظيم نعمة الله ﷻ عليه، وليعلم قدرة اللَّه على ما هو دون ذلك من البعث [٣]

وفي موضع آخر من الجزء يذكر الله ﷻ الإنسان ببعض نعمه عليه في بدنه وفي جسمه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۞ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۞ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ٨ – ١٠]، يذكر الله ﷻ نِعمه على الإنسان، أن جعل له عينين يُبصر بهما المرئيات، وجعل له لساناً يُعَبر به عما في ضميره، وجعل له شفتين يستر بهما فاه، ويستعين بهما على النُطق والأكل والشرب والنفخ وغيرها، وهداه وبيَّن له طريقي الخير والشر المُفضيان إلى الجنة أو النار، لينال الإنسان بهذه النعم وغيرها من نعم الله ﷻ سعادة الدارين؛ الدنيا والآخرة [٤]

---

(١) انظر: الوسائل المفيدة للحياة السعيدة _ السعدي _ ص ٢٢

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ص ٩١١

(٣) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج _ وهبة الزحيلي _ ١٧٧/٣٠

(٤) انظر: البحر المديد _ الإدريسي _ ٤٦٩/٨

ولقد ذكَّر الله ﷻ نبيه ﷺ بنعمه الخاصة به؛ فالله ﷻ لم يترك نبيه، ووعده بخير الجزاء في الآخرة، وآواه وأيده، وهداه إلى الصراط المستقيم، وأغناه عن الناس والعالمين، قال تعالى:﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۞ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۞ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۞ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۞ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۞ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴾ [الضحى: ١ – ٨]

وفي سورة الشرح بين أيضا بعض نعمه ﷻ على نبيه ﷺ بأن شرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له قدره وشأنه، قال تعالى :﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۞ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۞ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۞ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾ [الشرح: ١ – ٤]، يقول أبو بكر الجزائري: " هذه ثلاث منن أخرى بعد المنن الثلاث التي جاءت في السورة قبلها منها الله تعالى على رسوله بتقريره بها فالأولى بشرح صدره ليتسع للوحي ولما سيلقاه من قومه من سيء القول وباطل الكلام الذي يضيق به الإنسان والثانية وضع الوزر عنه ... والثالثة رفع الذكر أي ذكره ﷺ إذ قرن اسمه باسمه تعالى في التشهد وفي الأذان والإقامة وذلك الدهر كله وما بقيت الحياة " (١)

فالإنسان إذا ما تفكَّر دائماً بنعم الله الكثيرة عليه يظلُّ على الدوام متصلاً بربه، باذلاً ما في وسعه شكراً لربِّه، يبقى بتذكره لهذه النعم وقافاً على حدود الله، نجده حيث أمر الله، ونفتقده حيث نهي سبحانه، على العكس من الإنسان الجاحد الذي لا يشكر مولاه ولا يتفكَّر في نعمه، فهو على الدوام متقلب في ذنوبه ومعاصيه.

<u>خلاصة المبحث:</u>

إنَّ صلاح العقيدة هو أساس كلِّ صلاح للفرد والمجتمع، وهو أساسٌ في خلافة الإنسان للأرض؛ لأنَّ أساس الخلافة في صلاح العقيدة، ولقد اعتنى القرآن كله بإصلاح عقيدة الناس منذ بدء نزوله إلى خاتمة نزوله، وجزء عمَّ عالج كثيراً من قضايا العقيدة المنحرفة التي كانت سائدة في الجاهلية الأولى، مأبطل الشرك ودعا إلى التوحيد، ونقض إنكار المشركين للبعث وأقرَّ الإيمان بالحساب والجزاء، ولفت أنظار الناس إلى مظاهر قدرة الله العلي العظيم، داعياً إلى التفكّر في نعم الله ﷻ، وأقر حقيقة الملائكة، وبيَّن أنَّ الناس يوم القيامة فريقان؛ فريق في الجنَّة وفريق في السعير.

وبهذه العقيدة الربانية القرآنية تصفوا حياة الفرد، ويعيش المجتمع في أمن وأمان، بعيداً كلَّ البعد عن أعاصير الضلال وظلام الفتن والانحراف.

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير _ ٥٨٨/٥

المبحث الثاني
الإصلاح والتغيير الدعوي

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: الهداية بيد الله ﷻ وحده.

المطلب الثاني: الحث على الصبر والتضحية والجد والاجتهاد في سبيل الدعوة.

المطلب الثالث: عدم الالتفات إلى المغرضين.

المطلب الرابع: النهي عن الإعراض عن الضعفاء.

المطلب الخامس: تسلية الدعاة.

المطلب السادس: بيان مصير من لم ينتفع بدعوة الأنبياء.

المطلب السابع: الوعيد لمن صدَّ عن سبيل الله ﷻ.

المطلب الثامن: بيان شرف الجهاد من أجل نصرة الدعوة.

بين يدي المبحث:

إنَّ الدعوة إلى الله ﷻ هي من أجلِّ الأعمال، وأعظم القربات إلى الله، وهي وظيفة الرسل والأنبياء عليهم السلام، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] ، وهي أيضاً وظيفة أتباعهم من المؤمنين الصادقين إلى يوم الدين، ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] ، وبها تميزت أمتنا عن سائر الأمم، ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولعظم مهمة الدعوة إلى الله ﷻ فقد كان الرسول ﷺ يبعث الدعاة إلى الناس؛ ليعلموهم وليفقهوهم، وليرشدوهم إلى الحق، وإلى صراط مستقيم؛ بل إن الصحابة رضوان الله عليهم، فهموا أن الدعوة إلى الله تعالى واجبة، فكانوا يبادرون إلى الرسول ﷺ ليعلِّمهم وليفقههم؛ ليقوموا بدعوة أقوامهم من خلفهم؛ بل كان من يسلم حديثا يدرك أهمية الدعوة إلى الله تعالى، وأن تبليغها واجب، فعن ابن عباس ﷺ في حديث وفد عبد القيس وفيه: قالوا: يا رسول الله مرنا بأمر نعمل به، وندعو إليه من وراءنا [(١)].

ولا يخفى شدَّة حاجة الناس إلى الدعوة؛ وذلك لإخراجهم من الظلمات إلى النور؛ من ظلمات الشرك والكفر إلى نور الإسلام، ومن ظلمات البدع إلى نور السنة، ومن ظلمات المعاصي إلى نور الطاعة والهداية، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم.

فحاجة الناس وضرورتهم إلى الدعوة إلى الله تعالى والهداية أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب؛ بل لا يستقيم أمر العالم إلا بالدعوة إلى الله تعالى، ولولا ذلك لأصبحت الأرض في ظلمات بعضها فوق بعض، ولعاش الناس فوضى كالوحوش في الغابات.

ولقد كان النبي ﷺ يحث أصحابه على الدعوة إلى الله تعالى، ويرغبهم في ذلك أشدَّ الترغيب، ويُلهب حماستهم لذلك، ويبيّن ما لهم من الأجور العظيمة، ورفعة الدرجات عند الله ﷻ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه _ كتاب الإيمان _ باب اب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه _ ٣٥/١ _ ح ١٢٤

إن هم قاموا بذلك، فعن سهل بن سعد [١] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ: (**فو الله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم**) [٢]

وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري [٣] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله**) [٤]، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة كثيرة.

وهكذا فقد اعتنى الإسلام قرآناً وسنة بالدعوة إلى الله ﷻ، باعتبارها أساس من أساسات إصلاح الفرد والأمة، ونهج لا بدَّ أن ننهجه في تغيير وإصلاح ما آل إليه حال الأمة المسلمة اليوم بسبب البعد عن هذا الدين القويم، فعلى المصلحين والدعاة أن يهتموا بجانب الدعوة اهتماماً بالغاً وفق كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ.

---

(١) سهل بن سعد بن مالك الأنصاري الساعدي، من مشاهير الصحابة، يقال كان اسمه حزنا فغيره النبي ﷺ، وروى عن النبي ﷺ وعن أبي وعاصم بن عدي وعمرو بن عبسة، روى عنه ابنه العباس وأبو حازم والزهري وآخرون، قال الزهري مات النبي ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة، مات سنة إحدى وتسعين وقيل قبل ذلك، قال الواقدي عاش مائة سنة. (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة _ ابن حجر العسقلاني _ ٢٠٠/٣)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه _ كتاب فضائل الصحابة _ باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ _ ١٢١/٧ _ ح ٦٣٧٦

(٣) عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري، أبو مسعود البدري، مشهور بكنيته اتفقوا على أنه شهد العقبة، واختلفوا في شهوده بدراً، نزل الكوفة وكان من أصحاب علي، واستخلف مرة على الكوفة، قيل مات قبل سنة أربعين، والصحيح أنه مات بعدها فقد ثبت أنه أدرك إمارة المغيرة على الكوفة وذلك بعد سنة أربعين قطعاً، قيل مات بالكوفة وقيل مات بالمدينة. (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة _ ابن حجر العسقلاني _ ٥٢٤/٤)

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه _ كتاب الإمارة _ باب فضل إعانة الغازى فى سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته فى أهله بخير _ ٤١/٦ _ ح ٥٠٠٧

المطلب الأول

الهداية بيد الله ﷻ وحده

لقد بيَّن الله ﷻ أنَّ الهداية بيده سبحانه، ولا يملك أحد _ مهما كان قدره _ هداية أحد إلا إذا شـــــاء الله هدايتـــــه، ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦]، وفي الحديث القدسي قال ربُّنا ﷻ: **(يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم)** [(١)]، ولقد بذل النبي ﷺ جهداً كبيراً من أجل هداية عمِّه أبي طالب إلى الإسلام؛ ولكن لحكمة أرادها الله ﷻ لم تحصل له الهداية بالرغم من حرص النبي ﷺ على ذلك.

وعلى هذا فلا بدَّ للداعية من الجد والاجتهاد في دعوته، ولا ينبغي له أن يصيبه شيء من اليأس أو القنوط أو الفتور إذا لم يشعر بنتيجة دعوته على أرض الواقع، فما عليه إلا البلاغ، والنتيجة على الله ﷻ، ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾[الشورى: ٤٨].

وسور جزء عمَّ التي نزل أغلبها في العهد المكي، في بداية الدعوة، فيها من الآيات ما أشارت بوضوح إلى تلك الحقيقة، فمن قول الله ﷻ: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾[الغاشية: ٢١ – ٢٢]، قال ابن كثير: " أي فذكر يا محمد الناس بما أرسلت به إليهم؛ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب، قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: لست عليهم بجبار أي لست تخلق الإيمان في قلوبهم، وقال ابن زيد لست بالذي تكرههم على الإيمان " [(٢)]، وقال الشيخ الطنطاوي: " فداوم – أيها الرسول الكريم – على دعوة الناس إلى الدين الحق، فهذه وظيفتك التي لا وظيفة لك سواها، وكِلْ أمرهم بعد ذلك إلينا؛ فأنت لست بمجبرٍ لهم، أو مكره إياهم على اتباعك، وإنما أنت عليك البلاغ ونحن علينا الحساب " [(٣)]

وفي سورة عبس عتاب رباني للنبي ﷺ حينما أعرض عن الرجل الأعمى الذي جاء يسأل عن بعض شرائع الإسلام حرصاً من النبي ﷺ على هداية كبراء قريش الذين كانوا عنده، ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾ [عبس: ١ – ١٠]، أراد الله توفير جهد نبيه ﷺ في دعوة رؤساء قريش إلى الإسلام، وهم في الحقيقة لن يؤمنوا، وكفاهم ما بلّغهم به من

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه _ كتاب البر والصلة والآداب_ باب تحريم الظلم _ ١٦/٨ _ ح ٦٧٣٧

(٢) تفسير القرآن العظيم _ ٣٣٥/١٤

(٣) التفسير الوسيط _ ٣٧٨/١٥

دعوته إلى التوحيد، ونبذ عبادة الأوثان، وأنه ﷺ ليس عليه بأس بعد ذلك في ألا يهتدوا ولا يؤمنوا، فإنما هو رسول، ما عليه إلا البلاغ، وعلى الله ﷻ الهداية [1]

إنَّ مهمة النبي ﷺ مقتصرة على التبليغ والإنذار، لا الهداية التي هي بيد الله ﷻ وحده، إنذار الناس من عذاب الله ﷻ، وتحذيرهم من الخسارة في يوم الحساب، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۞ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۞ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۞ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾[النازعات: ٤٢ – ٤٥]، أي إنما بعثك الله ﷻ لتنذر الناس محذراً ومنذراً من عذاب الله ﷻ ومن عدم الإيمان بكل ما أخبر عنه المولى سبحانه، فمن خاف واتعظ واتبع هداك فقد أفلح وفاز، ومن لم يهتدي بهداك وأصَّر على عناده وكفره فقد خسر وخاب [2].

وفي سورة التكوير نفى الله ﷻ أن تكون الهداية بيد أحد من الخلق؛ إن شاء أن يهتدي اهتدى، وإن لم يشأ لم يهتدي؛ بل إنَّ الهداية بيده وحده سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۞ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۞ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[التكوير: ٢٧ – ٢٩]، فالذكر الذي أنزله الله تعالى هو موعظة من الله ﷻ لجميع الناس، لمن شاء منهم أن يستقيم على الحق والإيمان، ولا يقدرون على تلك الاستقامة إلا بمشيئة الله رب الخلائق أجمعين [3]

ولقد تكفل الله ﷻ ببيان طريق الهداية لعباده؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۞ وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾[الليل: ١٢ – ١٣] ، قال الطبري: " إن علينا لبيانَ الحقّ من الباطل، والطاعة من المعصية " [4]، فالله وحده هو الذي يوفق عباده المؤمنين لطريق الحق والطاعة.

ولقد امتن الله ﷻ على نبيه محمداً ﷺ بأن بالهداية والرشاد، ولولا الله ما اهتدى، قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾[الضحى: ٧]، قال السعدي: " أي: وجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال والأخلاق " [5]

فواجب العبد أن يطلب الهداية دائماً من ربِّه ﷻ، وأن يكون على يقين بأنَّ الهداية من عنده سبحانه، وعلى الدعاة والمصلحين الموقنين بهذه الحقيقة أن لا ييأسوا من رغبة الناس عن الهداية، فالأمر كله لله، وما على الرسول إلا البلاغ.

---

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج _ الدكتور وهبة الزحيلي _ ٦٣/٣٠

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٢٤٥/١٤

(٣) انظر: التفسير الميسر _ مجموعة من العلماء تحت إشراف الدكتور عبد الله التركي _ ص٤١٠

(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن _ ٤٧٦/٢٤

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ ص٩٢٨

المطلب الثاني

الحث على الصبر والتضحية والجد والاجتهاد في سبيل الدعوة

لا شكَّ أنَّ طريق الدعوة إلى الله ﷻ طريق ليس سهلاً ممهداً؛ بل هو طريق مليء بالعقبات والتحديات، يتعرَّض من سلكه إلى أنواع الأذى والابتلاءات، ويحتاج في سبيل ذلك إلى تحمُّل أنواع المشقَّات والمتاعب والتضحية في سبيل دعوته، مع المداومة على بذل الجهد والاجتهاد في سبيل دعوته العظيمة.

ولا يخفى ما تحمَّله رسل الله ﷻ وأنبيائه _ عليهم السلام _ من شدة الأذى في سبيل دعوتهم إلى ربِّهم ﷻ؛ فقد تعرَّضوا للتكذيب والسخرية والاستهزاء من المكذبين من أقوامهم؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[الأنبياء: ٤١] ، بل إنهم قد تعرَّضوا لأشدّ من ذلك، فمنهم من أوذي وعُذّب، ومنهم من قتل في سبيل دعوته إلى الله، وما كان منهم إلا الصبر والثبات على دعوتهم حتى أتاهم نصر الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[الأنعام: ٣٤]

ولقد تعرض نبنا محمد ﷺ لألوان كثيرة من الأذى والعذاب من سفهاء قومه؛ فسخروا منه، وافتروا عليه الكذب، وقالوا عنه: مجنون تارة، وشاعر تارة أخرى، وقالوا كذلك: ساحر كذَّاب، وتجرؤوا على شخصه الشريف فألقوا عليه سلى الجازور وهو يصلي، وأدميت قدماه الشريفتان وهو يدعوهم إلى الهدى والخير، بل تمادوا أكثر من ذلك حين تآمروا على قتله والتخلص منه ﷺ، ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[الأنفال: ٣٠] ، وهو ﷺ مع كلِّ ذلك صابر محتسب ماضٍ في دعوته، متأسياً بصبر إخوانه من الرسل السابقين، ملتزماً أمر ربِّه ﷻ ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، فعندما تعرَّض ﷺ للأذى قال: **(قد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر)** [(١)]

ولقد سار على نفس النهج أتباع الرسل والأنبياء، وأصحاب النبي ﷺ، فصبروا وثبتوا على دعوتهم، مع ما أصابهم من ضر وأذي في سبيل ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه _ كتاب الزكاة _ باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه _ ١٠٩/٣ _ ح٢٤٩٥

وتاريخنا الزاهر مليء بنماذج عظيمة لدعاة ضحوا في سبيل دعوة الله ﷻ، وصبروا على الأذى والاضطهاد، فهذا الإمام احمد رحمه الله يضرب أروع الأمثلة في الصبر والثبات على الحق، ومن بعده ابن تيمية وابن القيم وكثير من العلماء والدعاة والمصلحين على مرِّ التاريخ.

ولم يخلو عصرنا الحاضر من أمثال هؤلاء العظام، الذين ضحوا من أجل بيان الحق ونشر دعوة الله ﷻ؛ فمنهم من سجن ومنهم من أُبعد عن وطنه، ومنهم من عُذِّب، ومنهم من قتل شهيداً، من أجل أن تبقى دعوة الحقَّ تنير للناس حياتهم في شتى أنحاء المعمورة.

ولما كان حديثنا مرتبطاً بسور جزء عمَّ فإنَّ في آياته الكريمات ما يحُث الدعاة على الصبر والجد والتضحية من أجل الدعوة، ففي سورة البروج قصَّ ربُّنا ﷻ قصة أصحاب الأخدود، الذين آمنوا وصبروا وضحوا في سبيل تمسكهم بدينهم ودعوتهم، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[البروج: ١ – ٨]، لقد تحدثت هذه الآيات عن قصة أولئك القوم الذين أراد ملكهم أن يفتنهم عن دينهم، بعد أن هداهم الله ﷻ على يد ذلك الغلام الصغير الذي ضحى بنفسه ليؤمن قومه، وهذه أعلى درجات التضحية في سبيل تبليغ الناس دعوة الله ﷻ.

ولقد كانت نتيجة تضحية ذلك الداعية الصغير أن آمن الناس بربهم، ولم يخشوا بطش ملكهم الذي توعدهم بالعذاب الأليم، وحفر لهم الأخدود العظيم، وألقاهم في نار متأججة في ذلك الأخدود، حتى الطفل الرضيع أنطقه الله ﷻ ليثبت أمه على الحق، كل ذلك بفضل تضحة الغلام من أجل دعوته.(١)

ولقد أمر الله ﷻ نبيه موسى عليه السلام بأن يذهب إلى فرعون الطاغية مع ما في ذهاب موسى إليه من التضحية والمخاطرة بنفسه من أجل تبليغه دعوة الله ﷻ، ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾ [النازعات: ١٥ – ١٩]، فلقد كان فرعون قد توعد موسى بالقتل قبل أن يخرج موسى عليه السلام إلى مدين، وقد بلغ فرعون غاية الطغيان، إذ وصفه الله ﷻ بـ ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾، ومع ذلك فقد أرسل الله ﷻ له موسى عليه السلام لعله أن يذَّكر أو يخشى منتفعاً بدعوة الله ﷻ، ولقد علم الله موسى ﷻ كيف

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٣٠٥/١٤، وحديث الغلام المشهور أخرجه مسلم في صحيحه _ كتاب الرقائق _ باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام._ ٢٢٩/٨ _ ح٧٧٠٣

يخاطب الطاغية بأحب أسلوب وأشده جاذبية للقلوب، لعله ينتهي، ويتقي غضب الله وأخذه ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ (١)

وفي ذلك يضرب لنا موسى عليه السلام أروع الأمثلة في تضحيته بنفسه في سبيل دعوته عندما ذهب إلى فرعون، وكذلك يضرب لنا المثل في الصبر على الدعوة، وذلك من خلال خطابه اللين _ الذي أمره الله به _ مع فرعون.

ولقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ في أكثر من موضع من جزء عمَّ بأن يستمر بتذكير الناس بربهم، وبأن يداوم على دعوتهم، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٩]، وقال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١] فعِظْ –أيها الرسول– المعرضين بما أُرْسِلْتَ به إليهم ففي الآيات تنبه للنبي ﷺ بالمداومة والاستمرار في دعوته إلى منهج ودين ربه ﷻ.(٢)

فعلى الدعاة والمصلحين في زماننا هذا أن يقتدوا بالأنبياء و الرسل _عليهم السلام_ وبأتباعهم كيف صبروا وتحملوا الأذى الشديد في سبيل دعوتهم ونشر دين ربهم ﷻ وكيف كان اجتهادهم ومداومتهم على ذلك حتى كتب الله لهم النصر والتمكين فإذا أردنا النصر والتمكين فلابد أولاً من نصر دين الله ودعوته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]

المطلب الثالث

عدم الالتفات إلى المغرضين

إنَّ من العقبات التي يواجهها الداعية في طريق دعوته تثبيط المغرضين الذين يبذلون جهدهم من أجل إحباط الداعية والتقليل من قيمة عمله، وهؤلاء المغرضون يظهرون دائماً كأعوان للشيطان في الصدِّ عن سبيل الله ﷻ، ولقد أمر الله ﷻ النبي ﷺ والدعاة من بعده بعد الالتفات إلى أولئك المغرضين، والمضي قُدُماً في طريق الدعوة والإصلاح.

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۞ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۞ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٥ – ٤٨]، فقد بيّنت هذه الآيات الكريمات وظيفة النبي ﷺ التي كلَّفه الله ﷻ بها؛ من الشهادة على العباد، وتبشير المؤمنين، وإنذار العصاة والكافرين،

---

(١) انظر: في ظلال القرآن _ سيد قطب _ ٣٨١٤/٦

(٢) انظر أيسر التفاسير_ مجموعة من العلماء تحت إشراف الدكتور عبد الله التركي _ ٤٦١/١٠

والدعوة إلى دين الحقَّ الذي هو نور للعالمين، وبعد ذلك نهى الله ﷻ نبيه ﷺ عن طاعة الذين يصدون عن سبيل الله ﷻ من الكفار والمنافقين.

قال السعدي: " ولما كان ثَمَّ طائفة من الناس، مستعدة للقيام بصد الداعين إلى اللّه من الرسل وأتباعهم، وهم المنافقون الذين أظهروا الموافقة في الإيمان وهم كفرة فجرة في الباطن، والكفار ظاهرًا وباطنًا، نهى اللّه رسوله ﷺ عن طاعتهم، وحذره ذلك فقال: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾أي: في كل أمر يصد عن سبيل اللّه، ولكن لا يقتضي هذا أذاهم، بل لا تطعهم ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ﴾ فإن ذلك، جالب لهم، وداع إلى قبول الإسلام، وإلى كف كثير من أذيتهم، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ في إتمام أمرك، وخذلان عدوك،﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾تُوكَلُ إليه الأمور المهمة، فيقوم بها، ويسهلها على عبده " (١)

ولا شكَّ أنَّ من أهم أساليب هؤلاء المغرضين هو التشكيك في أمور ديننا، والواجب علينا ألا نلتفت إليهم، وقد أرشدنا الله ﷻ إلى ذلك في بعض آيات جزء عمَّ، إذ يشكك هؤلاء المغرضين في أمر عظيم من أمور الدين وهو قيام الساعة، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٤٢ – ٤٦]، ففي هذه الآيات بيان لما خاض فيه المشركون من التشكيك في أمر الساعة عن طريق سؤالهم للرسول ﷺ باستهزاء عن موعدها، فأخبر الله ﷻ أنَّ وظيفته هي الإنذار من الساعة، وكأنَّ الله ﷻ يقول لنبيه ﷺ: لا تلتفت إلى تشكيك أولئك المغرضين.

قال القرطبي: " قال ابن عباس ﷺ: سأل مشركو مكة رسول الله ﷺ متى تكون الساعة؟ استهزاءً؛ فأنزل الله ﷻ الآية " (٢).

وفي سورة عبس يوجه الله ﷻ نبيه ﷺ إلى عدم الاكتراث بأولئك الكفرة، وألا يلتفت إليهم كثيراً، فليس وظيفته ﷺ إرغامهم على الدخول في دين الله؛ وإنما عليه البلاغ، قال تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾ [عبس: ٥ – ٧]، " أما من أظهر الاستغناء عنك وعن دينك، وعما عندك من الهدى والخير والنور والطهارة، أما هذا فأنت تتصدى له وتحفل أمره، وتجهد لهدايته، وتتعرض له وهو عنك معرض! ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾، وما يضيرك أن يظل في رجسه ودنسه؟ وأنت لا تُسأل عن ذنبه، وأنت لا تنصر به، وأنت لا تقوم بأمره " (٣)

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ ص ٦٦٧

(٢) الجامع لأحكام القرآن _ ٢٠٩/١٩

(٣) في ظلال القرآن _ سيد قطب _ ٣٨٢٥/٦

وفي سورة الطارق يبيِّن الله ﷻ بأنَّه هو المتكفل بالرد على كيد أولئك المغرضين الكائدين للدعوة، وفي ذلك توجيه للنبي ﷺ بعدم الانشغال بما يمكر به أولئك الكائدين، وبعدم الالتفات إليهم، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۞ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۞ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥ – ١٧]، وقوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ أي إن كفار قريش يمكرون بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وبدعوته مكرا ويكدون لهم كيدا. وقوله﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾أي وأنا أمكر بهم أكيد لهم كيدا فمن يغلب مكره وكيده الخالق المالك أم المخلوق المملوك؟ فمهل الكافرين يا رسولنا أمهلهم قليلا، فقد كتبنا في كتاب عندنا ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١] وقد أنجز الله وعده لرسوله والمؤمنين فلم يمض إلا سنيات قلائل، ولم يبق في مكة من سلطان إلا الله، ولا من معبود يعبد إلا الله. (١)

وفي سورة العلق أمرٌ للنبي ﷺ بأن لا يلتفت إلى ذلك الكافر _أبو جهل_ الذي يقف دائماً في وجه الحق، لا يتبع الحق ولا يريد أن يتبع الحق أحد غيره، فهو ينهى النبي ﷺ عن الصلاة وعن الأمر بالتقوى، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۞ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ۞ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ۞ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۞ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ۞ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۞ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۞ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۞ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۞ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ٩ – ١٩] "﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ أي لا تطعه فيما دعاك إليه من ترك الصلاة ﴿وَاسْجُدْ﴾ أي صل لله غير مكترث به ولا مبال بنهيه﴿ وَاقْتَرِبْ ﴾أي تقرب إليه سبحانه بالطاعة والعبادة " (٢).

وفي واقعنا المعاصر كثيراً ما يتعرض الدعاة المخلصون إلى هؤلاء المغرضين من الكفرة والمنافقين، الذين لا يريدون أن تقوى شوكة هذا الدين، ويحاولون بكل جهد وبأقصى طاقة وبأي ثمن أن يوجهوا جهود هؤلاء الدعاة إلى أمور تشغلهم عن دعوتهم؛ لذلك على هؤلاء الدعاة أن يمتثلوا أمر ربهم ﷻ، و ينهجوا منهج رسولهم ﷺ، في عدم الالتفات إلى ما يثيره هؤلاء المغرضون؛ حتى تسير الدعوة في طريقها مستمرة في هداية الناس إلى رشدهم، وصلاح أمورهم.

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير _ أبو بكر الجزائري _ ٥٥٤/٥

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير _ الشوكاني _ ٦٦٨/٥

المطلب الرابع

النهي عن الإعراض عن الضعفاء

لقد أرسل الله ﷻ رسوله للناس كافَّة، عربيُّهم وعجميُّهم، غنيُّهم وفقيرهم، قويهم وضعيفهم، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨]، فليست الدعوة حكراً على طائفة دون غيرهم، ولا هي قاصرة على جماعة دون سواهم؛ بل هي شاملة وعامة لكل الناس، ولقد قال النبي ﷺ مبيناً عمومية دعوته: **(وأرسلت إلى الخلق كافة)** [(١)]، لذلك لا يجوز لداعية أن يُعرض في دعوته عن الضعفاء والفقراء مهما كان السبب في ذلك، ومهما كان الغرض من هذا الإعراض، بل عليه أن لا يفرق بين الناس الذين يوجه إليهم دعوته.

ولقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يصبر نفسه مع أولئك الضعفاء المؤمنين الموحدين الذين يرجون رحمة ربهم ﷻ، قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ [الكهف: ٢٨].

ولقد عاتب الله ﷻ نبيه ﷺ عندما أعطى جل اهتمامه لذلك الغني دون الرجل الأعمى الفقير، حرصاً منه ﷺ على هداية ذلك الغني، قال الله ﷻ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝ كَلَآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾[عبس: ١ – ١٢]، وسبب نزول هذه الآيات ما أورده السيوطي في تفسيره: " عن عائشة رضي الله عنها قالت: أنزل الله سورة عبس وتولى في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله ﷺ، فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يُعرض عنه ويقبل على الآخر، ويقول: أترى بما أقول بأساً، فيقول: لا، ففي هذا أنزلت " [(٢)].

ففي هذه الآيات عتاب لطيف من الله ﷻ للنبي ﷺ بسبب إعراضه عن هذا الرجل الضعيف، مع أنَّ إعراضه ﷺ كان اجتهاداً منه في سبيل نشر الدعوة، ومن هنا يستفيد كل داعية أنَّه لا يجوز الإعراض عن أولئك الضعفاء المؤمنين تحت أي سبب كان [(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه _ كتاب المساجد _ ٦٤/٢ _ ح ١١٩٥

(٢) الدر المنثور _ ٤١٦/٨

(٣) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير _ أبو بكر الجزائري _ ٥١٧/٥

وفي سورة الضحى ينهى الله سبحانه نبيه ﷺ عن الإعراض عن الفقراء والضعفاء بأي شكل كان هذا الإعراض؛ فنهاه عن زجر اليتيم ومنع السائل، لأن الداعية إلى الله ﷻ هو قدوة للناس في دعوته وفي معاملته، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۞ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩ – ١٠]، ففي الآيات أمر للنبي ﷺ بعدم ظلم اليتيم أو إذلاله، بل يجب عليه وعلى من بعده من أمته أن يحسنوا ويتلطفوا مع هؤلاء الضعفاء من الناس، وأن يكونوا لليتيم كالأب الرحيم، وكذلك فلا يجوز للمسلم الداعية أن يكون جباراً متكبراً ولا فاحشاً ولا فظاً على الضعفاء من عباد الله؛ وذلك لأنَّ احتقار الناس الضعفاء والتكبر عليهم هو من الإعراض، وأنّى لداعية معرض عن الضعفاء أن يستجاب لدعوته؟! [١] ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران: ١٥٩]

بل إنَّ الله سبحانه قد بيَّن أنَّ التكبر وزجر الضعفاء من الناس والإعراض عنهم من صفات الكفرة المكذبين، ولا يجوز لداعية أن يتصف بصفة من صفات المكذبين، قال تعالى: ﴿بِالدِّينِ ۞ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ١ – ٢]، ففي الآيات خطاب للنبي ﷺ يخبره ربه ﷻ من خلاله عن بعض صفات المكذبين الضالين؛ ومنها الإعراض وزجر الضعفاء والتكبر عليهم، وفيها توجيه للنبي ﷺ الداعية الأول ولكل الدعاة من بعده بعدم الاتصاف بهذه الصفات التي من شأنها تنفير الناس من دعوتهم [٢]

المطلب الخامس

تسلية الدعاة

الدعاة إلى الله ﷻ هم ورثة الأنبياء عليهم السلام في وظيفتهم، وهم من أجل الناس قدراً عند الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وكلما أصاب الداعية أذى أو هماً في سبيل دعوته فعليه أن يعلم أن له بذلك الأجور العظيمة والدرجات العالية عند ربه ﷻ، وله في كتاب الله ما يسليه ويصبره على تحمل مشاق الدعوة والاستمرار في طريق دعوته دون يأس أو إحباط، مقتدياً بذلك بسيد الدعاة محمد ﷺ.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٣٨٥/١٤

(٢) انظر: البحر المديد _ الإدريسي _ ٥٤١/٨

ففي كتاب الله ﷻ ما يسلي الدعاة من قصص أنبياء الله ﷻ التي سطرها سبحانه في كتابه لتبقى نبراساً للدعاة إلى قيام الساعة، ومن هذه القصص في جزء عمَّ التي تسلي الدعاة وتصبرهم قصة موسى ﷺ، كيف كان صابراً متحملاً لكل أذى في سبيل دعوته، محتسباً الأجر والثواب عند الله سبحنه وتعالى؛ صبر على قومه وسفاهاتهم، كما أنه صبر على أذى فرعون وطغاته، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۞ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۞ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۞ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ۞ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۞ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۞ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ۞ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٥ – ٢٦]، ففي الآيات خطاب للنبي ﷺ يخاطبه ربه فيقول: هل تعلم يا محمد قصة فرعون مع قومه؟ فإنا سنذكرها لك تسلية لك في دعوتك، وتقريراً لأمر دينك [١]

فبعد أن سرد الله ﷻ قصة موسى ﷻ مع فرعون على نبيه ﷺ لتسليه هو والدعاة من بعده ذيل الله هذه الآيات بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾، وفي هذا التذييل تسلية للدعاة، وكأنَّ الله ﷻ يحذر كل من لا يستجيب لأمر الدعوة بما آل إليه مصير فرعون ،وفيها دعوة لأصحاب التقوى بالاعتبار من هذه القصة.

وفي جزء عمَّ تسلية للدعاة بأن الله قد وعدهم في آيات كثيرة بحسن الجزاء وعظم الأجر والثواب، وأنهم هم الفائزون، قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۞ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۞ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۞ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۞ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ۞ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣١ – ٣٦]، في هذه الآيات الكريمات يبيِّن الله ﷻ أنَّ الفوز والفلاح بدخول الجنة والتمتع بما فيها من نعيم مقيم هو من نصيب المتقين، الذين خافوا الله في الحياة الدنيا؛ فالتزموا بما أمر من طاعات وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر _ وهو عمل الدعاة المخلصين _ وانتهوا عن كل ما نهى الله عنه من الذنوب والصد عن سبيل الله، لداعية يجد في نفسه تسلية عدما يسمع بهذا الفوز وبهذا النعيم [٢].

وفي الجزء أيضاً من التسلية للدعاة أن الله ﷻ دافع عن سيد الدعاة وأفضلهم ﷺ، فعندما أتهم بالجنون قال ﷻ مدافعاً عن نبيه الداعية إلى الله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢]، فهذه الآية جاءت في سياق القسم على براءة رسول الله ﷺ الداعية إلى الله مما اتهمه به قومه من الجنون؛ فالداعية عندما يستشعر هذا الدفاع الرباني عن الداعية الأول ﷺ يشعر في نفسه أن الله ﷻ يدافع عنه، مما يسليه في دعوته [٣]

---

(١) انظر: المرجع السابق _ ٣٥١/٨

(٢) انظر: بحر العلوم _ السمرقندي _ ٥١٦/٢

(٣) انظر: الكشف والبيان _ النيسابوري _ ١٤٢/١٠

ومن جوانب تسلية الدعاة في جزء عمَّ بيان أنَّ العاقبة في الآخرة ستكون للمؤمنين الصادقين الداعين إلى دين الله ﷻ، و أنَّ الله سيثيبهم على صبرهم على كل الأذى الذي يلحق بهم بسبب دعوتهم بأن العاقبة في الآخرة لهم فال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ۞ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۞ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ۞ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۞ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ۞ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ [المطففين: ٢٩ – ٣٤]، فلقد كان صناديد قريش أمثال الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وغيرهم يستهزؤون بضعفاء المؤمنين الدعاة إلى دين الله ﷻ أمثال عمر وخباب وصهيب وبلال _ رضي الله عنهم أجمعين _، ويضحكون منهم، ويُعيرونهم بهذا الدين الذي آمنوا به وأصبحوا من الدعاة إليه، فبيَّن الله ﷻ في هذه الآيات أنَّ العاقبة والفوز يوم القيامة سيكون من نصيب أولئك الدعاة المستضعفين، وسيسخرون من الكفار المجرمين كما كانوا يسخرون منهم في الدنيا، فالجزاء من جنس العمل.(١).

وفي هذا تسلية وتصبير عظيم لأولئك الدعاة المخلصين المستضعفين في الأرض الداعين إلى صراط ربهم المستقيم بأنَّ العاقبة لهم، والفوز من نصيبهم.

ومن التسلية الدعاة أنَّ الله ﷻ توكل بدفع كيد أعدائهم الذين يمكرون بالدعاة وبدعوتهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۞ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۞ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴾ [الطارق: ١٥ – ١٧]، لقد أخبر الله ﷻ أنَّ هؤلاء الكفار يخططون ويأتمرون ليدفعوا هذا الدين، وليوقفوا هذه الدعوة مؤيدين بذلك الباطل وأهله، وسيقابل الله ﷻ كيدهم هذا بأنَّه سبحانه يرد كيدهم عليهم، ويزهق باطلهم، ويحق الحق ولو كره الكافرون (٢).

بل إنَّ القرآن في مجمله هو تسلية للدعاة، إذ أنَّ الداعية إذا ما أصابه أذي أو مكروه في طريق دعوته لجأ إلى كتاب ربِّه يتلوه ويتدبره ويستأنس بكلام ربِّه، فيجد بذلك أنساً وتسلية وزاداً له للمضي في طريق دعوته إلى الله ﷻ.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _١٩/٢٦٧

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ص ٩١٩

المطلب السادس

بيان مصير من لم ينتفع بدعوة الأنبياء

إنَّ كتاب الله ﷻ قد بيَّن في مواضع كثيرة مصير ومآل من أعرض عن دعوة ربِّه، ولم ينتفع بالهدى والخير الذي أنزله الله على عباده، وذلك من خلال قصص كثير من الأمم السابقة، والأقوام السالفة الذين كذبوا رسل الله إليهم، ومن خلال بيانه لحال أولئك الكافرين الذين عايشوا النبي ﷺ وظلوا على كفرهم وماتوا عليه.

ومن هذا البيان لمصير من لم ينتفع بدعوة الأنبياء ما جاء في جزء عمَّ من بيان لمصير فرعون الذي طغى وتكبر، ولم ينتفع بدعوة رسول الله موسى عليه السلام له، بل أصر على طغيانه وكفره وتجبره في الأرض فكانت عاقبته وخيمة، قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۞ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۞ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۞ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ۞ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۞ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۞ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ۞ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ [النازعات: ١٥ – ٢٦]

لقد بلغ موسى ما كلف تبليغه. بالأسلوب الذي لقنه ربه وعرفه؛ ولكن الطاغية صاحب القلب الخاوي لم ينتفع بهذا الأسلوب الدعوي الجميل، تكبراً منه وطغياناً، رغم أن نبي الله موسى عليه السلام قد أراه الآيات الكبرى، التي من شأنها أن يؤمن عليها الناس؛ بل أدبر ذلك الطاغية، وأخذ يسعى فساداً في الأرض بتجميع السحرة ليتحدوا موسى عليه السلام؛ بل إنَّه تعدى كل الحدود في افترائه وكذبه واغتراره بتجمع الناس حوله، فقال كلمته البذيئة: أنا ربكم الأعلى، غروراً وجهالة منه، عند ذلك تحقق وعيد الله ﷻ لؤلئك الكفرة الذين لم ينتفعوا بدعوة أنبيائهم، فأخذ الله فرعون أخذ عزيز مقتدر، فأخذه في الدنيا بأن أغرقه هو وجنوده وأبقى جسده ليكون عبرة لمن خلفه من الطغاة والمتجبرين، الذين لا ينتفعون بدعوة الله سبحانه [1].

وكذلك فإنَّ في الجزء عرض لمصير أولئك الذين لم ينتفعوا بدعوة الله ﷻ، وذلك من خلال قصة ذلك الغلام الداعية إلى الله الذي جاء ليبين لهم حقيقة الإيمان وتوحيد الله، وأن لا يعبدوا إلا الله، وأن يتركوا ما هم عليه من ضلال وشرك، فبدلاً

---

(١) انظر: في ظلال القرآن _ سيد قطب _ ٣٨١٦/٦

من أن ينتفعوا بذلك ويلتزموا أمر ربهم بذلوا جهدهم في قتل هذا الغلام الذي كان قتله سببا في هداية الكثير من الناس فقام أولئك الكفرة بطاعة أمر ملكهم الكافر فحرقوا أولئك الموحدين فكانت عاقبتهم أنَّ الله توعدهم بعذاب شديد، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۞ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۞ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۞ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۞ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۞ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۞ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۞ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۞ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١ – ١٠]

ولا شك أنَّ في ذكر مصير أولئك الكفرة وعيد من الله ﷻ لأمثالهم من كفار قريش الذين عذبوا الضعفاء من المؤمنين، ولم ينتفعوا بدعوة النبي ﷺ (١)

وكذلك ففي الآيات وعيد لكل من لم ينتفع بدعوة الحق إلى يوم الدين.

ولقد أخبر الله ﷻ في آيات جزء عم عن مصير أمم سابقة كذبت برسل الله، ولم ينتفعوا بدعوتهم، كعاد وثمود وأصحاب الرس وغيرهم، فكانت عاقبتهم أن حلّ عليهم عذاب ربِّهم جزاءً لتكذيبهم وطغيانهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۞ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۞ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۞ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۞ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۞ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٦ – ١٤]

لقد أهلك الله سبحانه عاداً وثمود، وقد بلغوا من القوة والجبروت ما بلغوا؛ ولكنهم لما أعرضوا عن دعوة ربهم لم تنفعهم قوتهم، ولم تغنِ عنهم من الله شيئاً؛ لأنَّ عذاب الله إذا جاء فما له من دافع، وهكذا مصير كلُّ من أعرض عن دعوة ربه واستكبر عن قبول الحق (٢)

وفي سياق بيان مصير المعرضين عن دعوة الله ﷻ أخبر ربُّنا سبحانه عن قوم ثمود الذين كذبوا رسولهم صالح ﷺ، وأعرضوا عن دعوته، وقتلوا الناقة التي جعلها الله آية لهم، فكان مصيرهم أن دمدم عليهم ربهم بعذاب بئيس، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۞ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۞ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ۞ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ۖ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۞ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس: ١١ – ١٥] ، ففي هذه الآيات بيان لمصير المكذبين المعرضين عن

---

(١) انظر التحرير والتنوير_ابن عاشور_ ٢٤٤/٣٠

(٢) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن _ الشنقيطي _ ٥٢٣/٨

الحق، فقوم صالح عليه السلام عندما جاءهم نبيهم بدعوته كذبوه وأعرضوا عن دعوته، طلبوا من آية فلما جاءهم بالناقة آية تصدق ما جاء به بلغوا حداً كبيراً من الإعراض وعدم الانتفاع بالدعوة بأن قتلوا تلك الناقة، فأذاقهم الله العذاب الشديد الذي عمهم جميعاً، فلم يفلت منه أحد، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى [1]

وفي الآيات تحذير لكفار قريش ولكل من تكبر عن دعوة الأنبياء وأعرض عن قبول الحق من أن يلقى نفس المصير الذي حاق بالمعرضين من الأمم السابقة.

المطلب السابع

الوعيد لمن صدَّ عن سبيل الله ﷻ

إنَّ دعوة الله رحمة للعالمين، تنير لهم الطريق، وتبين لهم سبيل الرشاد الموصل إلى رب العالمين، وهي سراج منير لمن استنار بنورها، واهتدى بهديها؛ ولذلك كان إثم من صدَّ الناس عنها عظيماً وجرمه كبيراً، إذ إنه يَحرِم العباد من نور الهداية وطريق السعادة، فحق لمن اقترف ذلك الجرم أن يصيبه وعيد الله، وأن يحل عليه سخطه وعذابه.

وقد ورد في كتاب الله ﷻ الوعيد الشديد لمن صد عن سبيل الله، وحرم الناس من خير الهداية، فمن فعل ذلك فهو من الظالمين المطرودين من رحمة الله ﷻ، قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [هود: ١٨ – ١٩]، ففي هذه الآية الكريمة وعيد شديد لأولئك الذين يصدون أنفسهم ويصدون غيرهم من الناس عن طريق الرشاد والصواب والصلاح، ويبغون بدلاً من ذلك طريق الغواية والفساد، فهم بذلك أئمة في الضلال وجر الناس إلى عذاب الله ﷻ، فاستحقوا بذلك لعنة الله عليهم والخلود في عذاب أليم [2].

ولا تخلو سور جزء عم _ وهي من أوائل السور نزولاً _ من الوعيد لكلِّ من صدَّ عن طريق الرشاد وآيات الرحمن، وأثار الشبهات على كلام الله بتكذيبه تارة وبنسبتها إلى أساطير الأولين تارة أخرى، ليصد بذلك الناس عن الحق، ويزين لهم

---

(١) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير _ أبو بكر الجزائري _ ٥٧٨/٥

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ص ٣٧٩

الباطل، قال تعالى مبيناً لحال هؤلاء ومصيرهم في يوم الدين: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۞ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۞ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۞ كَلَّا بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ۞ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٠ – ١٧]، ففي هذه الآيات من الوعيد الشديد لأولئك الذين يصدون عن سبيل الله بافترائهم بأن هذه الآيات العظيمة التي جاء بها النبي ﷺ هي من أساطير وأقوال السابقين، مبيناً ربنا ﷻ في بداية هذه الآيات أنَّ من صفات هؤلاء الضالين المضلين أنهم يكذبون بيوم الحساب، لذلك فقد توعدهم بالويل والعذاب الشديد في النار، وحرمانهم من رؤية ربهم ﷻ، كل ذلك بسبب تكذيبهم وصدهم عن سبيل الله[١]

إنَّ من أساليب صدِّ المشركين عن سبيل الله ﷻ أنهم كانوا يكذبون بكلِّ ما جاء به الرسول ﷺ من عند ربه ﷻ، حتى ولو استيقنوا في قرارة أنفسهم بأنه الحق، وفي ذلك أعظم الصدِّ لغيرهم عن قبول الحق؛ لذا أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بأن يبشر مثل هؤلاء المكذبين بالعذاب الأليم عند ربهم ﷻ، قال تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ۞ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۞ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق: ٢٢ – ٢٤]، ففي هذه الآيات الوعيد الشديد لؤلائك المكذبين؛ إذ أنَّ الله ﷻ جمع لهم في هذه الآيات بين الوعيد الشديد والسخرية من أولئك المكذبين، فلقد جاءت الآيات بلفظ البشارة، والبشارة تأتي دائماً لما فيه الخير؛ ولكنها جاءت في هذه الآيات مع العذاب الشديد الأليم على سبيل السخرية والتهكم من أولئك المكذبين وفي هذا دلالة على عظم وشدة الوعيد.[٢]

ولقد حذَّر ربنا سبحانه أشد تحذير من الوقوع في جريمة الصد عن سبيل الله والتولى عن آياته، مبيناً أنَّ هذا الجرم لا يرتكبه إلا شقى شديد الشقاء؛ لأنَّ مصيره بسبب جرمه نار تلظى، قال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۞ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۞ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل: ١٤ – ١٦]، ففي الآيات خطاب من الله سبحانه يخوف به عباده من نار تتلهب وتتلظى، يصطلى بنارها كل من أعرض وصد عن الإيمان وطريق الرشاد الذي جاء به محمد ﷺ عن ربه ﷻ [٣]

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٢٨٥/١٤

(٢) انظر: التحرير والتنوير _ابن عاشور_ ٢٣٤/٣٠

(٣) انظر: الجامع لأحكام القآن _ القرطبي _٨٦/٢٠

إنَّ من أشد الناس صداً عن سبيل الله ومعاداة للنبي ﷺ عمه أبو لهب وزوجته أم جميل، اللذان بلغا الغاية في إيذاء النبي ﷺ وصدهما عن سبيل الله، ولقد بين الله ﷻ مصيرهما ليكون في ذلك عبرة ومثلاً لكل من فعل فعلتهم وسار على طريقهم في أذية الدعاة والصد عن سبيل الله، قال ﷻ في بيان مصير ذلك الصاد عن سبيل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۞ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ١ – ٥]، فلقد بدأ ربنا سبحانه وعيده لذلك الكافر الذي كان يصد عن سبيل الله بالهلاك والعذاب لذلك الشقي، وخصه باسمه دون غيره في هذه السورة مع زوجه لكثرة صدهما وإيذائهما للنبي ﷺ، قال القرطبي: " كان أبو لهب شديد العداوة للنبي ﷺ، قال طارق بن عبد الله المحاربي [١]: إني بسوق ذي المجاز، إذ أنا بإنسان يقول: يا أيها الناس ، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، وإذا رجل خلفه يرميه، قد أدمى ساقيه وعرقوبيه ويقول: يا أيها الناس إنه كذاب فلا تصدقوه، فقلت من هذا ؟ فقالوا: محمد، زعم أنه نبي. وهذا عمه أبو لهب يزعم أنه كذاب " [٢]

أما زوجة أبي لهب فكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده فلهذا تكون يوم القيامة عونا عليه في عذابه في نار جهنم، فلقد كانت تجمع الشوك وتضعه في طريق النبي ﷺ لتؤذيه وتعيقه عن تبليغ رسالة ربه ﷻ [٣].

إنَّ في بيان القرآن الكريم للوعيد الشديد لمن صد عن سبيل الله إصلاح للدعوة؛ وذلك بتخويف كل من يقف في طريقها بما أعد الله ﷻ للصادين عن سبيله من عذاب وهلاك، ومن وقف على ذلك المصير لم يجرؤ على فعل أمر من شأنه إعاقة طريق الدعوة أو أذية حامليها من الدعاة المخلصين، وبذلك تتذلل العقبات أمام الدعاة ويفسح لهم المجال في تبليغ دعوة ربهم ﷻ.

---

(١) هو من أصحاب النبي ﷺ، لم يروَ له إلا حديثان أو ثلاثة، نزل الكوفة، لم يوقف على تاريخ وفاته (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة _ ابن حجر _ ٥١١/٣)

(٢) الجامع لأحكام القرآن _ ٢٣٦/٢٠

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٤٩٧/١٤

المطلب الثامن

بيان شرف الجهاد من أجل نصرة الدعوة

إنَّ الدعوة في سبيل الله تحتاج إلى حراسة وحماية حتى تظل مهابة الجناح، مصونة الحمى، ولا يكون ذلك إلا بما شرعه الله ﷻ من الجهاد في سبيله، ومقاومة من وقف في طريقها، وحرم الناس من خيرها، فبالجهاد تستمر الدعوة، ويصل النور إلى العالمين، وتكمم أفواه الحاقدين المضلين الصادين عن طريق الرشاد.

ولقد رأينا في سيرة النبي ﷺ كيف أنه انتقل بالدعوة عبر مراحل؛ فمن مرحلة الدعوة السرية إلى مرحلة الجهر والإعلان، ثم أخيراً إلى مرحلة الجهاد وفتح البلاد ودخول العباد في دين الله أفواجا.

إنَّ الجهاد في سبيل الله ﷻ لم يُشرع من أجل سفك الدماء، ولا من أجل إجبار الناس على الدين؛ بل شرعه الله ﷻ ليكون رادعاً للطغاة الظالمين، الذين يحولون دون وصول نور الدعوة للعالمين، ويقفون حصناً منيعاً أمام الدعاة والمصلحين.

لذا فقد كان شرف الجهاد عظيماً، وأجره كبيراً، وفي كتاب الله ﷻ كثير من الآيات التي بينت فضل وشرف الجهاد والمجاهدين من أجل إعلاء كلمة الله ﷻ، من ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩ – ١٧١]، وقوله في موضع آخر: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۞ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۞ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [محمد: ٤ – ٦]، ولقد بين النبي ﷺ في كثير من أحاديثه الشريفة عظم أجر المجاهدين من أجل نشر هذا الدين فقال ﷺ: **(تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه إلا جهاداً في سبيلي وإيمانا بي وتصديقا برسلي فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة. والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه مسك والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم**

أن يتخلفوا عنى والذي نفس محمد بيده لوددت أنى أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل) [١]

وفي حديث آخر عن أبى هريرة ﷺ قال: قيل للنبي ﷺ: ما يعدل الجهاد في سبيل الله ﷻ قال: **(لا تستطيعونه)**، قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول: **(لا تستطيعونه)**، وقال في الثالثة: **(مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى)** [٢]

وفي جزء عم قد أقسم ربنا سبحانه وتعالى بالعاديات وهي الخيل التي تخرج غازية في سبيل الله ﷻ، فلعظم شرف الجهاد في سبيل الله أقسم الله ﷻ برمز من رموز الجهاد في ذلك الوقت، وهي الجياد القوية المجهزة للجهاد في سبيل الله ﷻ، يقول سبحانه: ﴿**وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۞ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۞ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۞ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۞ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا**﴾ [العاديات: ١ – ٥]، يقول سيد قطب في تفسير هذه الآيات: " يقسم الله سبحانه بخيل المعركة، ويصف حركاتها واحدة واحدة منذ أن تبدأ عدوها وجريها ضابحة بأصواتها المعروفة حين تجري، قارعة للصخر بحوافرها حتى توري الشرر منها، مغيرة في الصباح الباكر لمفاجأة العدو، مثيرة للنقع والغبار. غبار المعركة على غير انتظار. وهي تتوسط صفوف الأعداء على غرة فتوقع بينهم الفوضى والاضطراب! إنها خطوات المعركة على ما يألفه المخاطبون بالقرآن أول مرة ... والقسم بالخيل في هذا الإطار فيه إيحاء قوي بحب هذه الحركة والنشاط لها، بعد الشعور بقيمتها في ميزان الله والتفاته سبحانه إليها " [٣]

ففي هذا القسم الرباني دلالة واضحة على عظم أجر الجهاد في سبيل الله، وعلو شرف المجاهدين من أجل تبليغ الدعوة؛ فالمولى ﷻ عظيم لا يقسم إلا بعظيم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه _ كتاب الإمارة _ باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله _ ٣٣/٦ _ ح ٤٩٦٧

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه _ كتاب الإمارة _ باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله _ ٣٥/٦ _ ح ٤٩٧٧

(٣) في ظلال القرآن _ ٣٩٥٨/٦

خاتمة المبحث:

إنَّ أهمية الإصلاح الدعوي تنبثق من مدى ارتباط المجتمع بدعوته، فإن كانت دعوته دعوة صالحة، يقوم عليها رجال صالحون يبلغون دعوة الله وفق كتابه ومنهج نبيه وسنة خلفائه الراشدين المهديين فلا شك في أنَّ هذا المجتمع القائمة فيه هذه الدعوة الربانية هو مجتمع صالح؛ لأنَّ أفراده أصلحتهم دعوتهم.

وبذلك كان واجباً على الدعاة المخلصين أن يقفوا مع أنفسهم وقفة جادة، يغمرها حرصهم على تبليغ هذا الدين، يحاسبوا من خلالها أنفسهم أين أجادوا فيستمروا، وفيمَ قصروا فيصلحوا، معتمدين في إصلاحهم لدعوتهم ومنهجهم على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، مستنيرين بكل آية من كتاب ربهم، يقفون على قصص الأنبياء والمصلحين كيف أجادوا في تبليغ دعوتهم، وصبروا على إيذاء قومهم، حتى أتاهم نصر ربهم، يسليهم في ذلك الأجر العظيم الذي وعد الله به منهم المخلصين.

وعلى الدعاة أن يبينوا للناس مصير أولئك المعاندين في الأمم الغابرة، الذين وقفوا في وجه الدعوة، كيف كان مصيرهم، وكيف كان عذابهم، حتى يرتدع بذلك كل من تسول له نفسه أن يقف أو أن يكون عقبة في وجه الدعوة والدعاة المخلصين.

وعلى الدعاة أن يكونوا قدوة للمدعوين، يأمروا بالمعروف ويأتوه، وينهوا عن المنكر ولا يأتوه، وعليهم أن يحرصوا حرصاً شديداً على أن يجدهم الله حيثما أمرهم، وأن يفتقدهم حيثما نهاهم، مستحضرين في سبيل دعوتهم نية خالصة لله وحده، لا يراؤون في دعوتهم أحدا، عند ذلك تكون دعوتهم دعوة ربانية ينصلح بها حال الناس، وليس لهم بعد ذلك إلا انتظار النصر والتمكين من الله ﷻ.

المبحث الثالث
الإصلاح التربوي والأخلاقي

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: بيان حقيقة الإنسان وصفاته.

المطلب الثاني: الحث على تزكية النفس وعدم إهمالها.

المطلب الثالث: الدعوة إلى العلم.

المطلب الرابع: استخدام أسلوب الترغيب والترهيب.

المطلب الخامس: الجزاء من جنس العمل.

المطلب السادس: العبرة بفناء الأمم السابقة.

بين يدي المبحث:

لقد جاء الإسلام ليُحدث إصلاحاً شاملاً في جميع مجالات الحياة، العقدية، والتعبدية، والتشريعية، والتربوية، والأخلاقية؛ ولما كانت الأخلاق والتربية هي صورة المجتمع، والدعامة الأساسية لحفظ كيان الأمم، ولأنها الضابط للسلوك الفردي والاجتماعي، فقد جاء الإسلام داعياً وموجهاً إلى التمسك بالأخلاق الطيبة، والفضائل السامية، لأنها تحقق الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، وبها ينصلح حال المجتمع، وترتقي الأمم، ولقد بيَّن النبي ﷺ ذلك أوضح بيان حينما أخبر عن الغاية التي من أجلها بعث حيث قال: **(إنَّما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)** (١)

ولا يختلف اثنان ممن يرجون الإصلاح على أهمية الجانب التربوي والأخلاقي الذي يرسي القيم الفاضلة في تحقيق أي إصلاح؛ ولذا فإن نجاح المشاريع الإصلاحية وبقاء الأمم وازدهار حضارتها، واستدامة منعتها يتحقق ويستمر إذا ضمنت حياة الأخلاق فيها، فإذا سقطت الأخلاق سقطت الدولة معها.

ومن هنا فإن الجانب الأخلاقي التربوي على قدر كبير من الأهمية، فهو الدين والدنيا، فبقدر تمسك الأمة بالأخلاق وازدياد فضائلها، يكون الازدهار والرقي والتقدم؛ فالأخلاق في القرآن تشكل محوراً أساسيا للبناء الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.. بل وفي الدعوة والتبليغ والحوار مع الآخر، بل وفي الإيمان بالله والعقيدة.

ولقد جاء القرآن الكريم ليقر بعض الفضائل التي كانت عند العرب، ويشرع تتمة الأخلاق السامية، والفضائل الحميدة، التي من خلالها يستقيم المجتمع، ومن أهم ما يميز الأخلاق التي جاء بها القرآن الكريم أنَّ مصدرها الوحي؛ ولذا فهي قيم ثابتة، ومُثل عليا تصلح لكل إنسان بصرف النظر عن جنسه وزمانه ومكانه ونوعه، وأنها أخلاق عملية هدفها التطبيق الواقعي، وأنَّ مصدر الإلزام فيها هو شعور الإنسان بمراقبة الله ﷻ؛ ولذلك يقول الرسول ﷺ عندما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال : (تقوى الله وحسن الخلق) (٢)

وفي مطالب هذا المبحث سيتناول الباحث أهم ما جاء به جزء عمَّ من إصلاح أخلاقي وتربوي، راجياً المولى ﷻ أن يصلح حال المسلمين، ويغيره إلى الأحسن.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده عن أبي هريرة ﷺ _ ٣٨١/٢ _ ح ٨٩٣٩، قال عنه شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، والحديث صححه الألباني في السلسة الصحيحة _ ٤٤/١ _ ح٤٥

(٢) أخرجه الترمذي في سننه عن أبي هريرة ﷺ _ كتاب البر والصلة _ باب ما جاء في حسن الخلق _ ٥٣٩/٣ _ ح ٢٠٠٤، وقال عنه: حديث صحيح غريب، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة _ ٥١/٣ _ ح ٩٧٧

المطلب الأول
بيان حقيقة الإنسان وصفاته

لقد بين القرآن الكريم حقيقة الإنسان وما فيه من صفات وخصائص، وفي جزء عمَّ ورد ذكر الإنسان في ستة عشر موضعاً [1]يبن المولى ﷻ من خلالها أصل خلقة هذا الإنسان كما هو في سورتي الطارق والعلق، كما أن المولى ﷻ يبين لنا بعض الصفات التي جبل عليها الإنسان؛ فهو كثير الكفر، كما هو مبين في عبس، وهو كذلك كثير الغرور بربه، أوضحت ذلك سورة الانفطار، وهو قاصر النظر، بينت لنا ذلك سورة الفجر، وكذلك من صفاته أنه كثير الطغيان، كما في سورة العلق، وكذلك هو كفورٌ للنعمة التي أنعم الله ﷻ بها عليه، كما هو مبين في العاديات، وقد أشارت آيات الجزء أيضاً إلى مظاهر تكريم الإنسان؛ بخلقه في أحسن تقويم، وبتكريمه بالعلم على سائر المخلوقات، وفي ذلك إشارة إلى عظم اهتمام القرآن _ وخاصة في جزء عمَّ _ ببيان حقيقة الإنسان وبيان صفاته.

فأمَّا المواضع التي بين فيها ربنا ﷻ أصل خلقة الإنسان فقد ورد ذلك في قوله تعالى:

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ [الطارق: ٥ – ٧]

ففي الآيات استفهام عن مادة خلق الإنسان المقصود منه لفت الانتباه لحقيقة خلق الإنسان؛ إذ إنَّ أصل خلقه من ذلك الماء المتدفق من صلب الرجل، الملتقي مع الماء المتدفق من صدر المرأة، وذلك في رحم المرأة حيث يتخلق الإنسان من ذلك الماء المهين فيصير علقة ثم مضغة غير مخلقة، ثم مضغة مخلقة، ثمَّ يتشكل الإنسان ويتصور من هذه المضغة بأمر الله تعالى، ولقد عبر ربنا ﷻ عن ماء الرجل وماء المرأة بماء واحد حيث قال: ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾لامتزاجهما مع بعضهما البعض في رحم المرأة [2]

ولقد بيَّن ربُّنا ﷻ مراحل تخلق الإنسان في رحم المرأة أعظم بيان في قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٤]

وفي نفس السياق يقول سبحانه مبيناً أصل خلقة الإنسان: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۞ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق: ١ – ٢]، فهذه الآيات نظيرة آيات الطارق؛ حيث وضحت أنَّ أصل

---

(١) ورد ذلك في: النازعات ٣٥، عبس ١٧، ٢٤، الانفطار ٦، الانشقاق ٦، الطارق ٥، الفجر ١٥، ٢٣، البلد ٤، التين ٤، العلق ٢، ٥، ٦، الزلزلة ٣، العاديات ٦، العصر ٢.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٥/٢٠

الإنسان من العلق، الذي هو الدم المتشكل من اجتماع ماء الرجل بماء المرأة داخل الرحم، ومن تلك العلقة يكون الإنسان.

وفي آيات العلق تفخيم لخلق الإنسان ودلالة على عجيب صنع الله في خلق الإنسان؛ حيث ذكر سبحانه في الآية الأولى أنَّه خلق مبهمة، ولم يذكر ما الذي خُلق، ثمَّ بين في الآية الثانية أنَّه سبحانه ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ فخص الإنسان دون بقية المخلوقات بالذكر تشريفاً وتكريماً له [١]

وإذا كان الله ﷻ قد خلق الإنسان من ماء مهين فإنَّه سبحانه قد كرم الإنسان بأن جعله في أحسن صورة، خلقه فسواه وعدله، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۞ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٦ – ٨]، وخلقه أيضاً في أحسن تقويم، قال سبحانه: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: ٤]، قال القرطبي: " هو اعتداله واستواء شبابه؛ كذا قال عامة المفسرين، وهو أحسن ما يكون؛ لأنه خلق كل شيء منكبا عل وجهه، وخلقه هو مستويا ، وله لسان ذلق، ويد وأصابع يقبض بها، وقال أبو بكر بن طاهر: مُزيناً بالعقل، مُؤدياً للأمر، مَهدياً بالتمييز، مديد القامة، يتناول مأكوله بيده " [٢]

وأمّا المواضع التي بيَّن فيها ربُّنا ﷻ بعض صفات الإنسان في جزء عمَّ فهي كالآتي:

أولاً: الإنسان كفور كنود:

لقد بيَّن الله ﷻ أنَّ الإنسان كثير الكفر لنعم الله سبحانه، شديد المعاندة حتى مع ظهور الحق لديه، يقابل النعم بالكفران لا بالشكر والإيمان، قال تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۞ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۞ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾[عبس: ١٧ – ١٩]، فمع أنَّ أصل خلقة هذا الإنسان من ماء مهين، إلا أنَّه شديد المعاندة للحق، شديد الكفر لأنعم الله عليه [٣].

وفي سورة العاديات بيَّن ربنا سبحانه أنَّ الإنسان جاحد لنعم الله عليه، قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾[العاديات: ٦]، فالآية بينت أنَّ الإنسان طُبع على كفران النعمة، فهو كفور جحود لنعم الله عليه [٤]

---

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل _ الزمخشري _ ٤٠٣/٦

(٢) الجامع لأحكام القرآن _ ١١٤/٢٠

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ص ٩١١

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ١٦٠/٢٠

ثانياً: الإنسان غرور بربه:

إنَّ الإنسان يدفعه جهله ووساوس شيطانه إلى الاغترار بربه ﷻ؛ فيخوض في معصيته، ويقصر في ما عليه من الإيمان والعمل الصالح، ولقد توعد الله ﷻ الإنسان على ذلك فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۞ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[الانفطار: ٦ – ٨]، مع أنَّ الله ﷻ قد أنعم على الإنسان بنعم عظيمة كثيرة، من أعظمها أنَّه سبحانه خلقه في أحسن هيئة وأجمل صورة إلا أنَّ هذا الإنسان يغتر بسبب جهله بربه، فيتمادى في كفره وعصيانه، قال ابن كثير: " قال ابن عمر ﷺ: غره والله جهله، وروي عن ابن عباس ﷺ مثل ذلك، وقال قتادة: ما غر ابن آدم غير هذا العدو الشيطان " [١].

ثالثاً: الإنسان كثير الكدح:

ومن صفات الإنسان التي بينها الله ﷻ في الجزء _ أيضاً _ أنَّه كثير السعي والتعب من أجل الوصول إلى مبتغاه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، " والمعنى: يأيها الإنسان إنك باذل في حياتك جهدا كبيرا من أجل مطالب نفسك، وإنك بعد هذا الكدح والعناء مصيرك في النهاية إلى لقاء ربك، حيث يحاسبك على عملك وكدحك؛ فقدم في دنياك الكدح المشروع، والعمل الصالح " [٢]

وعلى نفس السياق في سورة البلد يقول سبحانه: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، فالإنسان منذُ تخلقه في بطن أمه إلى لقاء ربِّه في تعب ونصب؛ يكابد في هذه الدنيا، ثمَّ يكابد شدائد الآخرة، إلى أن يقضي الله في أمره؛ إما إلى نعيم مقيم، وإما إلى مكابدة أهوال الجحيم، هكذا شاء الله وهو العليم الحكيم [٣]

رابعاً: الإنسان قاصر النظر:

الإنسان نظره قاصر، متعجل في حكمه على الأمور، لا يدرك حقيقة الأشياء؛ فإذا اختبره ربُّه بنعمة أو مال أو قوة ظن أنَّ هذا من إكرام الله له، وأنه مستحق لهذا الإكرام، فيتباهى ويتفاخر، جاهلاً بأن هذا اختبار وابتلاء من الله ﷻ له، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ۞ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۞ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ﴾[الفجر: ١٥ – ١٧]، والمقصود من الآية أن اللَّه ينكر على الإنسان ويوبخه في اعتقاده أنه إذا

---

(١) تفسير القرآن العظيم _ ٢٧٤/١٤

(٢) التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٣٣٤/١٥

(٣) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير _ أبو بكر الجزائري _ ٥٧٢/٥

وسع عليه في الرزق ليختبره فيه، كان ذلك إكراما من اللَّه له؛ بل هو ابتلاء وامتحان، فالغنى والثروة أو الجاه والسلطة ليس دليلا على رضا اللَّه عن العبد؛ لأنَّ ذلك لا قيمة له عند اللَّه تعالى، ثم ذكر الجانب الآخر وهو أن الفقر والتقتير ليس دليلا على سخط اللَّه على العبد، وأما إذا ما اختبره الله ﷻ وامتحنه بالفقر والتقتير، وضيّق عليه رزقه ولم يوسعه له، فيقول: ربي أهانني وأذلني. وهذا خطأ أيضا فلا يصح أن يعتقد أن ذلك إهانة له وإذلال لنفسه [١]

خامساً: الإنسان كثير الطغيان:

إنَّ الإنسان إذا ما رأى نعمة الله بين يديه _ من مال أو قوة أو سلطة أو جاه _ يغتر بنفسه ويتكبر، فيدفعه ذلك إلى الطغيان ومجاوزة الحد في العصيان، قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۞ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾[العلق: ٦ – ٨]، فمعنى الآيات أنَّ الإنسان ليتعاظم ويتكبر ويتمرد على الحق، إذا رأى نفسه ذا غنى في المال والجاه والسلطة، يظن حينئذ أنَّه ليس بحاجة إلى أحد، وأنَّه يستجير بقوته دون قوة الله ﷻ فيطغى ويتكبر ولا يشكر الله على نعمه، ولا يستعملها في طاعته [٢].

بعد أن تعرفنا على أصل خلق الإنسان وبعض صفاته التي ذكرها القرآن الكريم لا شك بأنَّ معرفة ذلك يعين على الإصلاح التربوي والأخلاقي؛ إذ إنَّ معرفة حقيقة الإنسان مدعاة لأن يكون الإنسان متواضعاً، بعيداً كل البعد عن الكبر والتجبر، خاصةً وأنَّ النبي ﷺ يقول: **(لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)** [٣] ، كذلك على الإنسان المسلم أن لا يرى لنفسه أفضلية على الآخرين؛ فأصل البشرية واحد، وكل الناس سواسية في أصلهم ومردهم، بل إنَّ الأفضلية بين الناس تكون بتقوى الله وحسن الخلق، وعلى الإنسان أن يتذكر دائماً أن مرده إلى الله ﷻ.

وبمعرفة بعض صفات الإنسان التي أخبرنا بها كتاب الله ﷻ يعرف الإنسان نفسه، ويقيم حاله، يعرف ما ينصلح به حاله، ويعرف ما يجذبه إليه طبعه، فيحذر من الاتصاف بصفات قد ذمها البارئ سبحانه، ويحرص على التزين بالصفات التي مدحها سبحانه؛ وبذلك يكون قد أدى أمانته، وأطاع ربه ﷻ، وفي ذلك كله صلاح للفرد، وانصلاح للمجتمع.

---

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج _ وهبة الزحيلي _ ٢٣١/٣٠

(٢) انظر: التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٤٥٥/١٥

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه _ كتاب الإيمان _ باب تحريم الكبر وبيانه _ ٦٥/١ _ ح٢٧٥

المطلب الثاني
الحث على تزكية النفس وعدم إهمالها

إنَّ لتزكية النفس أهمية عظيمة، خاصة ونحن في خضم شؤون الحياة المعاصرة، وكثرة مشاغلها وتعدد متطلباتها، حيث إننا ننسى أن نتعاهد أنفسنا بالتربية و التزكية، ومن ثم تقسو القلوب، ونتثاقل عن الأعمال الصالحات، ونركن إلى متاع الدنيا وزخرفها.

ولا شكَّ أنَّ المسلم يؤمن بأن سعادته في الدنيا والآخرة موقوفة على مدى تأديب نفسه، وتطييبها، وتزكيتها، وتطهيرها، كما يؤمن المسلم بأن ما تطهر به النفس وتزكو هو حسن الإيمان، والعمل الصالح.

من أجل ذلك يعيش المسلم عاملاً دائماً على تأديب نفسه، وتزكيتها، وتطهيرها إذ هي أولى من يُؤدّب، فيأخذ بالآداب المزكية لها، والمطهرة لإرادتها، كما يجنبها كل ما يدسيها، ويفسدها من سيء المعتقدات وفاسد الأقوال والأفعال، يجاهدها ليل نهار، ويحاسبها في كل ساعة، يحملها على فعل الخيرات، ويدفعها إلى الطاعة، كما يصرفها عن الشر والفساد.

ولأهمية تزكية النفس فأن الله تعالى قد أقسم أقساماً كثيرةً ومتواليةً على أنَّ صلاح العبد وفلاحه منوط بتزكية نفسه، من ذلك ما ورد في جزء عمَّ حيث قال سبحانه : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[الشمس: ٧ – ١٠]، وقال سبحانه : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۞ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾[الأعلى: ١٤ – ١٥]، ففي آيات سورة الشمس أقسم الله ﷻ بمجموعة من مخلوقاته العظيمة الدالة على عظيم قدرته سبحانه، وختم هذه الأقسام بالقسم بالنفس، التي هي من أعجب آيات الله سبحانه، التي لولاها لكان الجسد تمثالاً لا فائدة فيه، بل إنَّ تسويتها في كونها في غاية اللطف والخفة، وسرعة الحركة والتغير هي آية عظيمة من آيات الله، أقسم الله سبحانه بهذه الأقسام العظيمة على أنَّ الفلاح في الدنيا والآخرة لا يكون إلا بتطهير النفس من الذنوب، وتنقيتها من المعاصي، والرقي بها بالطاعة وبالعلم النافع والعمل الصالح، وزيادة في التأكيد على أهمية التزكية بين سبحانه لنا خيبة وخسران من غفل عن تزكية نفسه، فأوقعها في التهلكة، وحال بينها وبين فعل الخير بارتكاب الموبقات والشرور [1]

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ص ٩٢٦ التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _

وفي آيات سورة الأعلى أكد ربنا سبحانه بقد _ وهي للتأكيد والتحقيق _ على أنَّ الفلاح لا يكون إلا لمن طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة، وسار على نهج النبي ﷺ، وأقام ما أمر الله ﷻ به من صلاة وزكاة وعبادات ابتغاء رضوان الله ﷻ، وامتثالاً لشرعه سبحانه [1]

وفي آيات الجزء أيضاً بيانٌ أنَّه من وظيفة الأنبياء عليهم السلام الدعوة إلى تزكية النفوس، فهذا موسى عليه السلام يقول لفرعون: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۞ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾[النازعات: ١٨ – ١٩]، ففي هذه الآيات يقوم موسى عليه السلام بوظيفته التي أمره بها الله ﷻ، من دعوة فرعون وقومه إلى تزكية نفوسهم، بتطهيرها بالإسلام، وأن تخشى الله سبحانه، فتأتمر بما أمر، وتنتهي عما نهى، فتفوز بذلك بثوابه سبحانه، وتنجو من عذابه [2]

وقد بين ربنا سبحانه أنَّ تزكية النفوس من وظيفة النبي محمد ﷺ، وذلك حينما عاتب نبيه ﷺ عندما عبس في وجه الرجل الأعمى الذي قدم باحثاً عما تزكو به نفسه، قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۞ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۞ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۞ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾[عبس: ١ – ٤]، والمعنى: أنَّ الله ﷻ يخاطب النبي ﷺ قائلاً له: وما يدريك يا محمد لعلّ هذا الأعمى الذي عَبَست في وجهه أن يَزَّكَّى ويتطهَّر من ذنوبه عند سماع كلام ربه [3]

إنَّ تزكية النفس تتطلب من العبد أن يخاف ربَّه ﷻ، وينهى نفسه عن متابعة هواها وشهواتها؛ لأنَّ اتباع الهوى فساد للنفس، ولقد بين الله ﷻ فلاح من نهى نفسه عن هواها فقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ – ٤١]، ففي الآيات بيان أن دخول الجنة يتطلب خشية الله وتزكية النفس وفي تزكية النفس، يقول القرطبي: " أي زجرها عن المعاصي والمحارم. وقال سهل : ترك الهوى مفتاح الجنة " [4]

فتزكية النفس سبب الفوز بالدرجات العلى ، والنعيم المقيم ، كما بين الله ﷻ ذلك في قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ۞ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ مَن تَزَكَّىٰ﴾[طه: ٧٥ – ٧٦]

فعلى كل مسلم حريص على أن يصلح نفسه، وأن يغير حاله أن يجتهد في تحقيق الإيمان الكامل في قلبه، وهذا لا يتأتى إلا بتزكية النفس وتطهيرها من الآثام والذنوب، وجعلها تسير على منهاج النبي ﷺ، وفق كتاب ربها، فقد بين النبي ﷺ ذلك في الحديث الذي يرويه عبد

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٣٢٥/١٤

(٢) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير _ أبو بكر الجزائري _ ٥١٠/٥

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن _ الطبري _ ٢١٩/٢٤

(٤) الجامع لأحكام القرآن _ ٢٠٨/١٩

الله بن معاوية الغاضري ﷺ [1] أن رسول الله ﷺ قال: **(ثلاث من فعلهن فقد ذاق طعم الإيمان من عبد الله ﷻ وحده بأنه لا إله إلا هو، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام ولم يعط الهرمة ولا الدرنة ولا المريضة ولكن من أوسط أموالكم فإن الله ﷻ لم يسألكم خيرها ولم يأمركم بشرها وزكى نفسه)** فقال رجل: وما تزكية النفس فقال ﷺ: **(أن يعلم أن الله عز و جل معه حيث كان)** [2]

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم تزكية النفس إحدى الخصال التي من خلالها يتذوق العبد الإيمان، ومن تذوق الإيمان فإنه سيأتمر بما أمر الله ﷻ، وينتهي عما نهى عنه، وبذلك ينصلح حاله، ويتغير المجتمع إلى الأحسن.

فعلى المربين والمصلحين أن يجتهدوا أولاً في تزكية أنفسهم وتأديبها وتربيتها التربية الإسلامية التي ربى النبي ﷺ عليها أصحابه، ثم بعد ذلك أن ينقلوا هذه التزكية والتربية إلى باقي أفراد المجتمع، ليعم الصلاح، وينتشر الخير، ويحيا الناس في أمن وأمان.

المطلب الثالث

الدعوة إلى العلم

إنَّ فضيلة العلم ومنزلة أهله في الإسلام عظيمة لا تخفى، وكتاب الله ﷻ جاء بالعلم والنور والهداية، حاثاً العباد على العلم والتعلم، ولا أدل على ذلك من أول آيات نزلت على رسول الله ﷺ، نزلت تتحدث عن العلم والقلم، الذي هو أداة التعلم الأساسية، وفي ذلك دلالة على أنَّ العلم من أعظم وسائل الإصلاح والتغيير في كل الأمور، حيث إنَّ الإسلام جاء للتغيير والإصلاح، فأول ما أمر به ربنا ﷻ نبيه ﷺ المصلح الأول، وقدوة المصلحين من بعده هو القراءة وهي بوابة العلم الأولى.

والقرآن الكريم فيه من الآيات الكثيرة التي حثَّت على طلب العلم، وبينت أهميته، وشرف من يحمله، وهي آيات معروفة لا تخفى، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، ففي الآية بيان لعلو مكانة أهل العلم، ومن الآيات أيضاً قول الله ﷻ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

---

(١) عبد الله بن معاوية الغاضري من غاضرة قيس صحابي نزل حمص، لم يروِ إلا حديثاً واحداً عن النبي ﷺ، ولم يوقف على تاريخ وفاته (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة _ ابن حجر العسقلاني _ ٢٤٠/٤)

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير _ ٣٣٤/١ _ ح ٥٥٥، والحديث قال عنه الألباني: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات (السلسلة الصحيحة _ ١٢٠/٣ _ ح ١٠٤٦)

﴿[آل عمران: ١٨]، حيث قرن الله ﷻ في هذه الآية شهادة أولي العلم بشهادته سبحانه وشهادة ملائكته، وفي ذلك تعظيم لمنزله العلماء.

بل إنَّ العلم هو الطريق الأقصر والأسلم لتقوى الله وخشيته، والعلماء هم أكثر الناس خشية لله ﷻ، فهم أعرف الناس بربهم، وكلما ازداد المرء علماً كلما ازداد خشية لله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[فاطر: ٢٨]، يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: " يعني بالعلماء الذين يخافون قدرته؛ فمن علم أنه ﷻ قدير أيقن بمعاقبته على المعصية، كما روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الذين علموا أن الله على كل شيء قدير، وقال الربيع بن أنس: من لم يخش الله تعالى فليس بعالم، وقال مجاهد: إنما العالم من خشي الله ﷻ، وعن ابن مسعود: كفى بخشية الله تعالى علماً، وبالاغترار جهلاً " (١)

وجاءت السنة النبوية المشرفة مؤكدة على أهمية العلم وفضله، ومبينة لمنزلة العلماء ورفعة درجتهم عند ربهم ﷻ، ومن أعظم ذلك إن النبي ﷺ بين أنَّ طلب العلم فريضة شرعية، وما أعظم مكانة الفريضة في الإسلام، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(طلب العلم فريضة على كل مسلم)** (٢)، وإنَّ من فضل العلم أن الله يسهل لطالبه طريقاً إلى الجنة، فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: **(من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة)** (٣)، والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة ليس المجال هنا لسردها.

وبالرجوع إلى جزء عمَّ نجد أنَّ آيات الجزء لا تخلو من بيان فضيلة العلم والعلماء، والحث على طلب العلم والأخذ به، ولا أوضح في ذلك من الآيات الأولى في سورة العلق التي أمر من خلالها ربنا ﷻ نبيه ﷺ بالتعلم من خلال النافذة الأولى للعلم وهي القراءة إذ يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[العلق: ١ – ٥]، لقد بدأت دعوة الإسلام بالترغيب في القراءة والكتابة، وبيان أنها من آيات اللَّه في خلقه، ومن رحمته بهم، وأنها كانت معجزة النبي محمد ﷺ الخالدة _ وهو العربي الأميّ _ قرآنا يتلى، وكتابا يكتب، وأنه بذلك نقل أمته من حال الأميّة والجهل إلى أفق النور والعلم.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن _ ٣٤٤/١٤

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه _ باب فضل العلماء والحث على طلب العلم _ ٢١٥/١ _ ح ٢٢٥، والحديث حسنه الألباني في المشكاة _ ١/ ٤٧ _ ح ٢١٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه _ كتاب الذكر والدعاء والتوبة _ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر _ ٧١/٨ _ ح ٧٠٢٨

وفي الآيات أيضاً أمرٌ من اللَّه تعالى بتعلم القراءة والكتابة؛ لأنهما أداة معرفة علوم الدين والوحي، وإثبات العلوم السمعية ونقلها بين الناس، وأساس تقدم العلوم والمعارف والآداب والثقافات، ونمو الحضارة والمدنية. (١)

ولقد أشار ربنا سبحانه وتعالى إلى ضرورة حفظ العلم حتى ينتفع به صاحبه، وينتفع به الآخرين، حيث امتن سبحانه على نبيه ﷺ بحفظ ما يتلى عليه من كلام ربه ﷻ ليكون بعد ذلك قدوة للعلماء فيحفظوا ما يتعلمونه، ليطبقوه في مجتمعاتهم، قال ﷻ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦]، ففي الآية بشارة ووعد من الله تعالى لنبيه ﷺ بحفظ ما سيتلى عليه من آيات الذكر الحكيم(٢)

وما أكثر الآيات التي تدعو إلى التدبر والتفكر في آيات الله في خلقه، وعظيم قدرته وبديع صنعه، ولا شك أنَّ هذا التدبر والتفكر من أساليب العلم والمعرفة، وكأنَّ الله ﷻ من خلال هذه الآيات يدعو عباده إلى تحصيل العلم النافع الموصل إلى الصلاح والفلاح ورضى الله ﷻ، ومن هذه الآيات في جزء عمَّ قول الله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾[الطارق: ٥]، وقوله كذلك: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۞ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۞ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۞ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[الغاشية: ١٧ – ٢٠]، وغير ذلك من الآيات التي تدعو إلى التدبر والتفكر في آيات الله ﷻ في خلقه.

بل إنَّ الله ﷻ قد خلق الإنسان في أحسن صورة وعلى أحسن هيئة ، فأعطاه الحاس التي يتعرف من خلالها على العلوم النافعة؛ فأعطاه العينين التي بهما يبصر حقيقة الأمور، ويقرأ ويتعلم العلم النافع، وأعطاه الأذنين يسمع بهما ويعي، وأعطاه لساناً ناطقاً يبلغ به العلم الذي تعلمه، وينقله إلى مجتمعه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۞ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۞ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[البلد: ٨ – ١٠]

فبالعلم النافع يستطيع الفرد أن يعرف ربَّه، وأمور دينه ودنياه، وبالعلم يرتقي الفرد بنفسه، ويعلو بأخلاقه التي تعلمها، وينقل بعد ذلك ما وصل إليه من رقي وخشية لله ﷻ عن طريق العلم إلى مجتمعه؛ فينصلح بذلك الفرد والمجتمع ، وترتقي أمَّة الإسلام كما كانت في سابق عهدها، حينما كان القرآن والعلم نبراسها الذي تستنير به.

---

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج _ وهبة الزحيلي _ ٣٢٠/٣٠

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٣٢٢/١٤

المطلب الرابع
استخدام أسلوب الترغيب والترهيب

إنَّ من أنجح أساليب التربية التي من خلالها ينصلح حال الناس أسلوب الترغيب والترهيب؛ إذ النفس البشرية مجبولة على حب الخير والنفع، والخوف من العقوبة والجزاء، والقرآن الكريم هو منهل المصلحين والمربين والدعاة إلى الله ﷻ، وهو المورد الذي لا ينضب ماؤه، والمنهج القويم، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراطٍ مستقيم.

أنزل الله القرآن لهداية الناس ودعوتهم إليه سبحانه ورغبهم إن هم أطاعوا واتبعوا النور المبين، ورهبهم إن هم خالفوا واتبعوا كل شيطانٍ مريد، فكان أسلوب الترغيب والترهيب فيه واضحاً بيناً، فتارةً يدعوهم بالترهيب دون الترغيب، وتارةً بالترهيب دون الترغيب، وتارةً يجمع بينهما، قال ابن كثير: " فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها، وتارة بهما لينجع في كل بحسبه جعلنا الله ممن أطاعوا فيما أمر وترك ما عنه نهى وزجر، وصدقه فيما أخبر إنه قريبٌ مجيبٌ سميعُ الدعاء جوادٌ كريم وهاب " [1].

وكذلك فقد استخدم سيد الخلق والمرسلين إمام المربين والمصلحين أسلوب الترهيب والترغيب، ومن أمثلة ذلك ما رواه أنس بن مالك ﷺ قال: بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء فخطب، فقال: **(عُرضت علي الجنة والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً)** قال: فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه، قال غطوا رؤوسهم ولهم خنين [2]

ومن أحاديث الرجاء والترغيب ما حدث به أبو ذر ﷺ قال أتيت النبي ﷺ وعليه ثوبٌ أبيضٌ وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فقال: **(ما من عبدٍ قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة)**، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: **(وإن زنى وإن سرق)**، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: **(وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر)** [3]

وبالرجوع إلى جزء عمَّ نجد أنَّ أسلوب الترغيب والترهيب ركيزة أساسية من ركائز هذا الجزء، وسمة واضحة جلية في آياته، ونمطاً من أنماطه، لا يكاد المرء يتلوا سورة من سوره إلا

---

(١) تفسير القرآن العظيم _٥/٤٥٩

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه _ كتاب الفضائل _ باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك.٧/٩٢_ ح٦٢٦٨

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه _ كتاب الإيمان _ باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مشركاً دخل النار _ ١/٦٦ _ ح٢٨٣

ويلمس فيها ما يرغبه في ما أعده الله للمؤمنين، ويرهبه من سوء عاقبة المكذبين، وكأنَّ الجزء جاء ليرغب الناس ويرهبهم.

وسنقف على بعض الأمثلة في الترهيب والترغيب في هذا الجزء:

ففي السورة الأولى من سور الجزء يقول الله ﷻ مرهباً من مصير الطغاة الكافرين: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۞ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۞ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۞ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۞ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۞ جَزَآءً وِفَاقًا ۞ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۞ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ۞ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ۞ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ [النبأ: ٢١ – ٣٠]، وبعد ذلك مباشرة تأتي آيات الترغيب فيما أعده الله ﷻ لعباده المتقين من فوز ونعيم، قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۞ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۞ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۞ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۞ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۞ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ [النبأ: ٣١ – ٣٦]

وفي سورة النازعات يخوف ربنا سبحانه عباده من مصير الطغاة، ومن مصير الذين فضلوا الدنيا الزائلة الفانية على الآخرة الباقية، قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[النازعات: ٣٧ – ٣٩]، وبعدها مباشرة تأتي آيات الترغيب للذين يخافون ربهم ﷻ ويلتزموا أوامره ويجمحوا شهواتهم فإنَّ لهم جنة المأوى، قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[النازعات: ٤٠ – ٤١]

وفي سورة الانفطار يؤكد ربنا سبحانه وتعالى على أنَّ مصير الأبرار إلى النعيم، وأنَّ مصير الفجار إلى الجحيم، ترغيباً وترهيباً منه ﷻ لعباده، قال ﷻ: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۞ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۞ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۞ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴾ [الانفطار: ١٣ – ١٦]

وفي سورة البروج ترهيب من بطش الله ﷻ لمن لم يلتزم بما أمر وينتهي عما نهى وزجر، قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۞ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۞ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۞ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۞ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج: ١٢ – ١٦]، لقد جمع الله ﷻ في هذه الآيات بين الترهيب والترغيب؛ حيث إنه سبحانه بيَّن شدة أخذه وعقابه للطغاة المتكبرين، ثمَّ بعد ذلك بيَّن أنه غفور لمن تاب وأصلح، وأنه واسع المغفرة لمن تاب وآمن، وهو سبحانه كثير المحبة والود لمن أطاعه واتبع هداه [1]

هذه بعض الأمثلة مما ورد في الجزء من الترهيب والترغيب، وفي كثرة الأمثلة في الجزء دلالة واضحة على نجاعة هذا الأسلوب في التربية والتهذيب، خاصة وأنَّ معظم هذه الآيات هي

---

(١) انظر: التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٣٤٧/١٥

آيات مكية، وكان المسلمون في العهد المكي أحوج ما يكونوا إلى التربية والتهذيب؛ لأنهم كانوا حديثي عهد بهذا الدين القويم.

وعلى المصلح والمربي أن يركز في إصلاحه وتربيته على أسلوب الترهيب والترغيب حتى يعيش أفراد المجتمع في خوفٍ من عذاب الله وسخطه ورغبةٍ في ما عند الله من رحمته ورضوانه، والنفس البشرية إذا ما خافت الشيء كفت عنه، وإذا ما رغبت بالشيء استمرت عليه وألفته، والمصلح اللبيب هو من يلامس بإصلاحه قلوب الناس ترهيباً وترغيباً، ويتحين الظروف المناسبة والملائمة لكلٍ منهما، فتارةً يستخدم أسلوب الترهيب وتارة يستخدم أسلوب الترغيب وتارة يجمع بين الترغيب والترهيب.

المطلب الخامس

الجزاء من جنس العمل

إنَّ الله ﷻ قد أودع في هذا الكون سنناً ثابتة لا تتغير، ولا تتبدل، يُنسج على منوالها نظام هذه الحياة ، فالعاقل اللبيب من يساير سنن الله ولا يصادمها، ومن هذه القواعد والسنن العظيمة أن الجزاء من جنس العمل؛ فجزاء العامل من جنس عمله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

ولو وضعنا هذه القاعدة نصب أعيننا لزجرتنا عن كثير من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وإنَّ العلم بهذه القاعدة هو في المقام الأول دافع للأعمال الصالحة، ناه عن الظلم، زاجر للظالمين ومواس للمظلومين؛ فلو استحضر الظالم الباغي عاقبة ظلمه وأن الله ﷻ سيسقيه من نفس الكأس عاجلاً أو آجلاً لكف عن ظلمه وتاب إلى الله وأناب.

وكتاب الله ﷻ مليء بالآيات الدالة على هذه القاعدة العظيمة، فمن ذلك قول الله ﷻ: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[الرحمن: ٦٠]، وقوله ﷻ: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[الشورى: ٤٠]، وقوله سبحانه: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾[الإسراء: ٧].

وفي السنة أحاديث كثيرة صريحة قررت هذه القاعدة العظيمة، من هذه الأحاديث قول النبي ﷺ فيما يرويه عنه أبو هريرة ﷺ: **(من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه)** [1]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه _ كتاب الذكر والدعاء والتوبة _ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر _ ٨/٧١ _ ح ٧٠٢٨

وكذلك فقد استخدم النبي ﷺ هذه القاعدة في تربية وتهذيب وإصلاح سلوك أبناء الأمة، من ذلك ما رواه أبو أمامة ﷺ [1] قال: إنَّ فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه، فقال ﷺ: (أُدنُه)، فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال ﷺ:**(أتحبه لأمك؟)** قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال ﷺ: **(ولا الناس يحبونه لأمهاتهم)**، قال ﷺ: **(أفتحبه لابنتك؟)** قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال ﷺ: **(ولا الناس يحبونه لبناتهم)**، قال ﷺ: **(أفتحبه لأختك؟)**، قال: لا والله جعلني الله فداءك قالﷺ: **(ولا الناس يحبونه لأخواتهم)**، قال ﷺ: **(أفتحبه لعمتك؟)** قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال ﷺ: **(ولا الناس يحبونه لعماتهم)** قال ﷺ: **(أفتحبه لخالتك؟)** قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال ﷺ: **(ولا الناس يحبونه لخالاتهم)** قال: فوضع يده عليه وقال ﷺ: **(اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه)** فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء [2].

ومن خلال بحثنا في جزء عمَّ نجد أنَّ هذه القاعدة راسخة في كثير من آيات الجزء؛ ومن أصرح تلك الآيات في بيان هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾النبأ: ٢٦، قال البغوي: " أي جزيناهم جزاء وافق أعمالهم. قال مقاتل: وافق العذاب الذنب " [3].

ولقد أخبرنا ربُّنا ﷻ أنَّه سبحانه عاقب فرعون بالذل والهوان جزاءً لتكبره وعلوه في الأرض، فكان جزاؤه من جنس عمله، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۞ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۞ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۞ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۞ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۞ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۞ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۞ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۞ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۞ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات: ١٥ – ٢٦]، فبعد هذا التمرد والاستعلاء والتكبر من فرعون انتقم الله ﷻ منه انتقاماً جعله عبرة لمن خلفه، وأذاقه الله سوء العذاب، وجعله ذليلاً مهاناً بعد موته ليعتبر بنهايته الذليلة وفق سنة الله ﷻ في أنَّ الجزاء من جنس العمل كل من فكر بالاستعلاء والتكبر [4].

---

(١) هو أبو أمامة الباهلي واسمه الصدي بن عجلان، بن وهب بن عمرو بن عامر بن رباح بن الحارث، وكان يصفر لحيته وكان أبو أمامة مع علي بصفين له صحبة من النبي ﷺ سكن مصر ومات بالشام سنة ست وثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان وهو بن إحدى وستين سنة (انظر: الطبقات الكبرى _ ابن سعد _ ٤١١/٧)

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده _ ٢٥٦/٥ _ ح٢٢٢٦٥، وقال عنه شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح

(٣) معالم التنزيل _ ٣١٥/٨

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٢٤٢/١٤

ولقد بشر الله ﷻ عباده المؤمنين بأن جزاء الكافرين الذين كانوا يسخرون منهم في الدنيا ويضحكون منهم سيكون جزاؤهم يوم القيامة من جنس عملهم، يوم أن تنقلب الصورة فيسخر المؤمنون من الكافرين ويضحكون من حالهم، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ۞ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۞ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ۞ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۞ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ۞ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۞ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۞ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٢٩ – ٣٦]، فبسبب استهزاء الذين أجرموا من المؤمنين في الدنيا جزى الله ﷻ المؤمنين على صبرهم بأن جعلهم يوم القيامة يضحكون من الكفار حين يرونهم أذلاء مهانين، كما كان الكفار يضحكون من المؤمنين فى الدنيا، وختمت الآيات بالاستفهام التقريري، الذي يقرر أنَّ الجزاء من جنس العمل، فالمعنى لقد جوزي الكفار بالجزاء المناسب لتهكمهم بالمؤمنين في الدنيا ، فقد أنزل الله ﷻ بهم ما يستحقونه من عقاب أليم جزاءً وفاقاً [١]

وفي سورة البروج قد بيَّن ربُّنا سبحانه وتعالى أنَّه سيجازي أولئك الكفرة الذين اعتدوا على المؤمنين فحرقوهم في نار الأخدود من جنس عملهم بأنَّ لهم في الآخرة عذاب الحريق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]، أي أنَّ للكافرين الذين عذبوا المؤمنين في الدنيا بإحراقهم عذاب زائد على عذاب كفرهم بأنَّ لهم عذاب جهنم مضافاً إليه عذاب الحريق بما أحرقوا عباد الله المؤمنين [٢].

وسورة المسد مثال عظيم على قاعدة الجزاء من جنس العمل؛ فبعد أن تلفظ أبو لهب بتلك الكلمة المسيئة للنبي ﷺ جعل الله ﷻ جزاءه من جنس عمله بأن افتتح سورة المسد بتلك الكلمة موجهة لأبي لهب، ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]، أي قد وقع الهلاك والخسران الذي دعا به أبو لهب على النبي ﷺ على أبي لهب نفسه، فكان جزاؤه من جنس عمله [٣].

وعلى أساس هذه القاعدة العظيمة ينبني أساس الإصلاح في الأخلاق وفي التربية وفي كل شيء؛ فعندما يُوقن الفرد أنَّ جزاءه سيكون من جنس عمله عند ذلك يحرص كل الحرص على الصالحات من الأعمال، وعلى الأخلاق الحسنة، وعلى معاملة الآخرين بما يقتضيه ديننا الحنيف؛ لأنَّه يُوقن أنَّه سيُجازي بمثل عمله، والنفس البشرية مجبولة على حب الإحسان إليها، فبقدر إحسانك للآخرين تلقى من الله ﷻ الأجر والثواب، فهذه القاعدة هي أساس متين في صلاح أخلاق الفرد والمجتمع.

---

(١) انظر: التفسير الوسيط _ محمد سيد طنطاوي _ ٣٣٠/١٥

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٢٩٥/١٩

(٣) انظر: فتح القدير _ الشوكاني _ ٧٢٨/٥

المطلب السادس
العبرة بفناء الأمم السابقة

لا شكَّ أنَّ من أعظم ما ينصلح به حال المرء أنَّ يعتبر بحال من قبله، فمن علم ما أصاب من كان قبله أخذ العبرة من ذلك؛ فإن رأى فيمن قبله خيراً أصابهم بما قدموا من خير فإنَّه يقتدي بهم في هذا الخير، وإن رأى فيهم عذاباً قد حلَّ بهم بسبب ذنوب اقترفوها أخذ العبرة من ذلك فاجتنب ما قد اقترفوه لينجو مما قد أصابهم.

والقرآن الكريم مليء بالأخبار عن الأمم السالفة، وما ذلك إلا لنأخذ من أخبارهم وقصصهم العبرة والموعظة الحسنة، وقد قال الله ﷻ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١]، وقد قال سبحانه بعد أن أخبرنا بقصة عبده ورسوله نوح عليه السلام في سورة هود: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩]، وغير ذلك كثير في كتاب الله ﷻ.

ولقد علَّم النبي ﷺ أمته الاعتبار من هلاك الأمم السابقة، فكان حريصاً كل الحرص على ألا تقع أمته فيما وقعت فيه الأمم السابقة، ومن أوضح الأمثلة على ذلك أنَّه ﷺ رفض رفضاً شديداً الشفاعة في حدود الله ﷻ، وأنب من أراد أن يشفع في تلك الحدود؛ لأنَّ هذه الشفاعة في حدود الله كانت سبباً في هلاك الأمم السابقة، فعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة رضي الله عنه حب رسول الله ﷺ؟ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: **(أتشفع في حد من حدود الله؟)**، ثم قام ﷺ فاختطب فقال: **(أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)** [(١)].

وفي جزء عمَّ أمثلة كثيرة على هلاك الأمم السابقة، علينا أن نعتبر بها، وأن نأخذ منها العبر والعظات، وأن نجتنب ما كان سبباً في هلاكهم، ومن أبرز ما ورد في الجزء في ذلك قصة هلاك فرعون وقومه، فبعد أن طغى وتجبر وتكبر أخذه الله ﷻ نكال الآخرة والأولى، يقول ﷻ:

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۞ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۞ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ۞

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه _ كتاب الحدود _ باب قطع السارق الشريف وغيره والنهى عن الشفاعة فى الحدود _ ١١٤/٥ _ح٤٥٠٥

﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۞ فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۞ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۞ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۞ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۞ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۞ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰ ۞ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ١٥ – ٢٦].

فبعد أن بعث الله ﷻ موسى عليه السلام إلى فرعون ليدعوه إلى سبيل الهدى والرشاد، وأراه من آيات ربه الكبرى، أصرَّ ذلك الطاغية المتكبر على كفره وتكبره وتكذيبه بما جاء به موسى عليه السلام، فما كان جزاؤه إلا أن جعله الله نكال الآخرة والأولى، وختمت الآيات بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ دعوة من الله ﷻ لأمة محمد ﷺ بالاعتبار بما حلَّ بفرعون وقومه من سوء العذاب، وأيضاً دعوة لأمة محمد ﷺ لاجتناب ما كان سبباً في هلاك فرعون وقومه من التكذيب بآيات الله ﷻ والتعالى على الحق والتجبر في الأرض [١].

ولقد أخبرنا الله ﷻ عن هلاك بعض الأمم السابقة كعاد وفرعون وثمود، وذلك في غير موضع من سور جزء عمَّ، قال ﷻ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۞ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۞ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي تَكْذِيبٍ ۞ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [البروج: ١٧ – ٢٠]، أي قد أتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائهم؛ كيف انتقم الله ﷻ منهم لكفرهم وتكذيبهم، وفي الآيات إشارة إلى أمة محمد ﷺ للاعتبار مما حلَّ بتلك الأمم السالفة، وأنَّ الله ﷻ الذي أنزل العذاب على تلك الأمم قادرٌ على أن يعذب من يكذب النبي ﷺ ومن لم يعتبر بحال من سبق، وقد خصَّ الله ﷻ بالذكر قوم فرعون وثمود لأن ثمود في بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة وإن كانوا من المتقدمين، وأمر فرعون كان مشهوراً عند أهل الكتاب وغيرهم، وكان من المتأخرين في الهلاك؛ فهذا أدعى للاعتبار بحال من سبق [٢].

وفي سورة الشمس قد خصَّ الله ﷻ من الأمم الهالكة بالذكر قوم ثمود، إذ أنهم كذبوا نبيهم، ولم يلتزموا ما أمر الله ﷻ فكان مآلهم إلى الهلاك والعذاب، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۞ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۞ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ۞ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۞ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس: ١١ – ١٥]، فبسبب طغيانهم وتكذيبه لرسولهم وعدم إيمانهم بالمعجزة التي بعثها الله ﷻ على يد نبيهم صالح عليه السلام لتكون لهم دليلاً على نبوته وصدقه سلط الله عليهم العذاب، فدمر عليهم وعمهم بعقابه، وأرسل عليهم الصيحة من فوقهم، والرجفة من تحتهم، فأصبحوا جاثمين على ركبهم، لا تجد منهم داعيًا ولا مجيباً [٣].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _ ٢٤٢/١٤

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٢٩٧/١٩

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ ص ٩٢٦

وفي سورة الفجر بيَّن ربُّنا ﷻ ما آل إليه حال بعض الأمم السابقة من العذاب والهلاك، فبعد أن من الله عليهم بنعم كثيرة وعظيمة فبدلاً من أن يشكروه عليها قابلوها بالكفر والإفساد في الأرض وتكذيب الرسل، فكان لهم الويل والعذاب، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۞ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۞ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۞ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۞ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ٦ – ١٤]، بدأت الآيات الكريمات باستفهام القصد منه التقرير، وفيه إشارة إلى لزوم الاعتبار بحال هؤلاء الأمم الذين أهلكهم الله ﷻ، قال ابن كثير: " وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين خارجين عن طاعته مكذبين لرسله جاحدين لكتبه فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم وجعلهم أحاديثَ وعبراً " (١).

وعلى نفس السياق آيات سورة الفيل، بيَّن الله ﷻ فيها كيف أهلك أصحاب الفيل لتكبرهم وتجرئهم على حرمات الله ﷻ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۞ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۞ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۞ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۞ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل: ١ – ٥]، فبعد أن تكبر إبرهة الحبشي، وظنَّ في نفسه قوة لا غالب لها، عاقبه الله ﷻ بأن أرسل عليه طيراً ترميه بحجارة صغيرة فتجعل جنوده كأنهم عصف مأكول، وفي ذلك إشارة إلى عدم التكبر والتجبر حتى لا يقع بنا ما وقع بالمتكبرين المتجبرين من سوء العذاب.

فلو اعتبر كل واحد من أبناء المجتمع بهلاك تلك الأمم الغابرة لبعد كل البعد عما كان سبباً في هلاكهم؛ من تكبر وتجبر وتكذيب بآيات الله ﷻ وعدم السير على هدي الأنبياء والمرسلين، وبذلك ينصلح حال الفرد والمجتمع، وتكون الأمة بذلك جديرة بنصر الله ﷻ.

---

(١) تفسير القرآن العظيم _ ٣٤٢/١٤

خاتمة المبحث:

لا شك في أنَّ الإصلاح التربوي والأخلاقي ركيزة أساسية من ركائز إصلاح الفرد والمجتمع، فلا صلاح بدون صلاح الأخلاق، ولا أخلاق بدون التربية السليمة على كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ.

ومن خلال هذا المبحث تناولنا الأسس الرئيسة التي من خلالها نستطيع أن نقوم الأخلاق ونهذبها ونجعل من خلالها المجتمع على درجة عالية من التهذيب والأخلاق، فعندما يعرف الإنسان حقيقة أصله، وأنَّه خلق من ماء مهين يزجر هذه النفس عن التكبر والاستعلاء، ويستيقن أنَّ لا فضل لأحد على أحد إلا بتقوى الله العظيم.

بل على الإنسان حتى يصلح أخلاقه ويربي نفسه أن يعمل دائماً على تزكية نفسه بالأعمال الصالحة، ويتجنب كلَّ ما يغضب ربه سبحانه، وأنَّه لا أخلاق حميدة بدون التزكية، ومن أجل ذلك حث الإسلام حثاً كثيراً على طلب العلم، وبيَّن في كثير من الآيات فضل العلم والعلماء، وأنَّ العلماء هم ورثة الأنبياء وهم أكثر الناس أخلاقاً ومعرفة بالله ﷻ؛ لأنهم أعلم الناس بآيات الله سبحانه.

ولقد حثَّنا ربُّنا سبحانه على التمسك بمحاسن الأخلاق، تارة بترغيبنا بما أعده الله من أجر عظيم ونعيم مقيم لمن تمسك بهذا الدين، وكان على خلق قويم، وتارة بترهيبنا من سوء عاقبة من لم يلتزم بما أمر الله ﷻ من طاعات وأخلاق حسنة.

ومما يُعين على الالتزام بمحاسن الأخلاق أنَّ ربُّنا سبحانه قد بيَّن لنا قاعدة عظيمة، من خلالها ينصلح حال الفرد والمجتمع، وهي أنَّ الجزاء من جنس العمل، فعندما نوقن بهذه القاعدة نحرص على كل عمل صالح وخلق حسن، ونبتعد عن كل معصية وخلق قبيح؛ لأنَّ الجزاء من جنس العمل.

وكذلك فإنَّ في الاعتبار بحال الأمم السابقة من التربية وتقويم الأخلاق الشيء العظيم، فمن اعتبر بمن سبق فاز ونجا، ومن كانت لهم من حالهم الدروس والعبر انصلح حاله، وحسن مآله.

المبحث الرابع

الإصلاح الاجتماعي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحثُّ على الرفق باليتامى والمساكين.

المطلب الثاني: دور الأمن في الإصلاح الاجتماعي.

المطلب الثالث: التكافل الاجتماعي.

بين يدي المبحث:

لقد جاء الإسلام الحنيف ليصلح جميع مناحي الحياة البشرية، سواء كان ذلك الإصلاح في العبادات أو التشريعات أو الأخلاق أو حتى السياسة والاقتصاد..، ولعل من أهم ما جاء الإسلام ليصلحه هو إصلاح المجتمع، وجعله مجتمعاً مترابطاً متماسكاً على قلب رجل واحد، الكل فيه يعيش من أجل الكل، لا تجمعهم مصالح فردية أو علاقات وهمية؛ بل هم في حياتهم كما وصفهم النبي ﷺ في الحديث الذي رواه عنه النعمان بن بشير رضي الله عنه [1]: **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)** [2]

ولقد كانت دعوة القرآن إلى إصْلاح المجتمع كلِّه إصلاحًا شاملاً وكاملاً، يحفظ كيانَه وأفرادَه من الانحراف، أو الإفساد في الأرض، وإهْدار حقوق الخَلْق في سبيل المصالِح الشخصية، والأهواء الذاتية الفردية.

وتظهر أهمية الإصلاح الاجتماعي في توفير السلام والأمن والطمأنينة والعدل والمساواة بين أفراد المجتمع الواحد، ووجود الرحمة والبر والتلاحم، والأخوة والتسامح الاجتماعي بين أفراد المجتمع الواحد [3]

فإذا كان نظامُ المجتمع صالحًا أو فاسدًا، فإنَّ صلاحه وفساده ينعكس على أفراده، ويتأثَّرون به، ويتحمَّلون تَبعاتِه، فيسعدون به أو يشقون، وعلى هذا يجب على مَن يريد الخيرَ لنفسه ولمجتمعه أن يبحث ويتحرَّى عن الأساس الصالِح الذي يجب أن يقومَ عليه نظامُ المجتمع، ويسعى لتثبيت هذا الأساس، وإقامةِ نظام المجتمع

---

(١) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا عبد الله وهو مشهور له ولأبيه صحبة قال الواقدي كان ألو مولود في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة بأربعة عشر شهرا وروى عن النبي ﷺ وعن خالد بن عبد الله بن رواحة وعمر وعائشة روى عنه ابنه محمد ومولاه سالم وعروة وآخرون استعمله معاوية على الكوفة قتل سنة خمس وستين

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه _ كتاب البر والصلة والأدب _ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم _ ٢٠/٨ _ ح٦٧٥١

(٣) انظر: الإصلاح رهان حضاري _ محمود بن محمد سفر _ ص٢٦

عليه، وبهذا تتيسَّر للأفراد سُبلُ الخير والسعادة، ويتحقَّق أكبرُ قدرٍ ممكن من الحياة الطيبة المستقرَّة الهادئة لأفراده.

ولا يخفى ما كان يعيشه المجتمع الجاهلي قبل بعثة النبي ﷺ من تفكك وانحطاط، وشيوع الفاحشة، وانتشار الظلم بين أفراده، فالقوي يأكل الضعيف، والغني يستغل الفقير، وحقوق المرأة ضائعة، وأموال اليتامى مغتصبة، فلا أمن ولا أمان، ولا تكافل اجتماعي يصون أفراد المجتمع، فجاء الإسلام ليصلح هذا الفساد، ويقوم ذاك الاعوجاج، فأعاد الحقوق لأصحابها، وبنا نسيجاً اجتماعياً مترابطاً متماسكاً متكافلاً، كل واحد من أفراده حريص على الآخر، فأصبحوا بذلك الإصلاح أمة واحدة، لها كيان واحد، وهدف واحد، ومنهج واحد، بعد أن كانوا شرذمة في الأرض متفرقين.

وفي صدد الحديث عن منهج جزء عمَّ في الإصلاح والتغيير نجد أنَّ الإصلاح الاجتماعي حاضر في ثنايا آيات الجزء _ كما هو الحال في جوانب الإصلاح الأخرى _، وهذا ما سيتناوله الباحث في مطالب هذا المبحث _ إن شاء الله تعالى_.

المطلب الأول
الحثُّ على الرفق باليتامى والمساكين

لقد كان كل من اليتيم والمسكين قبل الإسلام مظلوماً مُهاناً، مسلوب الحقوق، لا يُعطى اليتيم من مال أبيه شيئاً، ويُنظر إلى المسكين نظرة احتقار ودونية، فجاء القرآن الكريم بالعدل والإنصاف، بل وبالرحمة واللين؛ فجاء ليحثَّ على العطف على اليتيم، وإكرام المسكين، مبيناً حقوق اليتيم، وأنَّ الفضل بين الناس ليس بالمال ولا بالسلطان؛ إنَّما بالتقوى والإيمان

وقد كانت عناية القرآن باليتامى والمساكين منذُ العهد الأول لنزول القرآن الكريم، ففي أوائل السور نزولاً أمر ربُّنا ﷻ بالإحسان لليتامى والمساكين ورعاية حقوقهم [1]، ثمَّ في القرآن المدني _ وفي أواخر السور نزولاً _ بيان لحقوق اليتامى والمساكين بالتفصيل، كقول الله تعالى: ﴿ **وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا** ﴾[النساء: ٢]، وكقوله تعالى: ﴿ **لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ** ﴾[البقرة: ١٧٧].

وكذلك السنة المطهرة مليئة بالأحاديث التي تؤكد على حقوق اليتامى والمساكين، وتحث المجتمع المسلم على رعايتهم وإنصافهم وكفالتهم، من ذلك قول رسول الله ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه: **(كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة)** وأشار بالسبابة والوسطى [2]، وكذلك فقد بيَّن النبي ﷺ عظَّم أجر من أحسن إلى المسكين فقال ﷺ فيما يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: **(الساعي على**

---

(١) سيأتي الحديث عن هذه الآيات فيما يأتي من هذا المطلب

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه _ كتاب الزهد والرقائق _ باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم _ ٨/٢٢١ _ ح ٧٦٦٠

الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله – وأحسبه قال – وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر) [1]

بل إنَّ النبي ﷺ حذر أيما تحذير من إغفال حاجة الضعفاء والمساكين فقال في الحديث الذي يرويه عنه معاذ بن جبل ﷺ: **(من ولي من أمر الناس شيئا فاحتجب عن أولى الضعفة والحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة)** [2]

هذا كله يبين لنا مدى اهتمام الإسلام الحنيف بهؤلاء الناس من اليتامى والمساكين ولا أدل على ذلك من عتاب ربنا ﷻ لنبيه ﷺ عندما أعرض عن ذلك الأعمى المسكين مع أن إعراضه ﷺ لم يكن تكبراً بل كان من أجل الدعوة قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ [عبس: ١ – ٤] فقد ظهر التغير والعبوس في وجه الرسولﷺ ، وأعرض لأجل أن الأعمى _ عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه _ جاءه مسترشدا، وكان الرسول ﷺ منشغلا بدعوة كبار قريش إلى الإسلام فهذا الانشغال من الرسول ﷺ بالدعوة لم يعفيه من العتاب الرباني بسبب عبوسه في وجه ذلك المسكين [3].

وفي سورة الفجر يبيِّن ربُّنا سبحانه أهم الأعمال التي بموجبها استحق الكفار العذاب الشديد من الله سبحانه؛ من هذه الأعمال عدم إكرام اليتيم، وعدم الحث على إطعام المسكين، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ [الفجر: ١٧ – ١٨]، فهؤلاء الكفار لشدَّة قسوة قلوبهم استمرؤوا أكل أموال اليتامى وعدم الإحسان إلى المساكين؛ فاستحقوا بذلك العذاب الشديد من الله ﷻ، وفي الآيات إشارة إلى وجوب الحفاظ على أموال اليتامى وإعطاءهم حقوقهم، وكذلك وجوب الإحسان إلى المساكين [4].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه _ كتاب الزهد والرقائق _ باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم _ ٢٢١/٨ _ ح ٧٦٥٩

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده _ ٢٣٨/٥ _ ٢٢١٢٩، وقال عنه شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وقال عنه الألباني: صحيح لغيره (انظر: الترغيب والترهيب _ ٢٦٠/٢ _ ح٢٢٠٩)

(٣) انظر: التفسير الميسر _ مجموعة من العلماء – إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي_ص

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم _ ابن كثير _٣٤٨/١٤

ثم بين الله ﷻ في سورة البلد أهم الأعمال التي من خلالها يستطيع الإنسان أن يعتق رقبته من النار، وهذه الأعمال هي: إعتاق الرقاب في سبيل الله، والإطعام لليتامى والمساكين في أيام الشدة والمجاعة، والإيمان الصادق بالله ﷻ، والتواصي بالصبر والثبات على دين الله ﷻ، قال تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۝ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾[البلد: ١١ – ١٨] ، ففي الآيات بيان من الله سبحانه بأنَّ النجاة يوم القيامة من العذاب الشديد تكون بهذه الأعمال العظيمة التي يحبها الله ﷻ، وفي الآيات حث على المحافظة والتمسك بهذه الأعمال، التي من شأنها الحفاظ صلاح المجتمع وتماسكه [١].

وفي سورة الضحى يمنُّ الله ﷻ على نبيه ﷺ بأن أحسن إليه عندما كان يتيماً فقيراً آمراً له ولأمته من بعده بدوام الإحسان إلى اليتامى والمساكين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۝ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[الضحى: ٦ – ١١]، ففي هذه الآيات بيّن الله ﷻ لنبيه ﷺ بعض نعمه عليه؛ بأن آواه بعد أن كان يتيماً، وهداه إلى صراطه المستقيم، وأغناه بعد فقره، وهذا تمهيد لبعض الأوامر من الله ﷻ لنبيه ﷺ ولأمته من بعده وهي: الإحسان إلى اليتيم، وعدم إهانته وظلمه لضعفه؛ بل الواجب الإحسان إليه ورعاية حقوقه، وكذلك أن لا ينهر سائلاً سواء كان سائل علم ليسترشد به، أو سائل مال ليستغني به، وكذلك أمره بأن يشكر هذه النعم التي أنعمها عليه بمداومة الإحسان إلى الآخرين؛ من كفالة يتيم أو إطعام مسكين، أو غير ذلك من الأعمال الصالحة [٢].

لقد نفَّر الله ﷻ أشد تنفير من الإساءة لليتامى والمساكين بأن جعل تلك الإساءة صفة ملازمة للمكذبين، الذين يكذبون بيوم الدين، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ص ٩٢٤، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير _ أبو بكر الجزائري _ ٥/٥٧٥

(٢) انظر: التفسير المنير في العقيدة والمنهج والشريعة_ وهبة الزحيلي_ ٣٠/٢٨٧

﴿يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۞ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١ – ٣]، ففي الآيات الكريمات بيان لبعض صفات أولئك المكذبين الذين لا يؤمنون بيوم الدين، ولا يؤمنون بالحساب ولا بالجزاء، من هذه الصفات القبيحة أنه يدفع أحدهم اليتيم ويزجره فلا يعطيه حقه، ولا يمكنه من أخذه، وكذلك فإنهم لا يحثُّون بعضهم البعض على إطعام المسكين، بل يمنعون عنه الطعام والزاد، ويُذيقونه الذل والمهانة، وفي ذلك تنفير شديد من تلك الصفات والأفعال القبيحة التي لا يفعلها إلا من كذَّب بيوم الدين، ولم يخشَ لقاء ربِّ العالمين [١].

وعلى هذا الأساس فمن يريد إصلاحاً للمجتمع فعليه أن يهتم بكل الطبقات الاجتماعية التي يتكون منها المجتمع، ويعطي كل صنف من الناس حقوقهم ومن أهم من يجب مراعاتهم أولئك اليتامى والمساكين، فواجب علينا احتواءهم، والإحسان إليهم، ومعاملتهم معاملة إسلامية حتى لا يشعروا بضياع حقوقهم، فيحقدوا بذلك على المجتمع، فتقع البغضاء والشحناء بين أفراده، فيصبح مجتمعاً متفككاً ضعيفاً هشاً، لذالك على المصلحين أن يهتموا بالدعوة إلى الإحسان إلى الضعفاء والمساكين واليتامى حتى يكون المجتمع متماسكاً مترابطاً كالجسد الواحد.

المطلب الثاني
دور الأمن في الإصلاح الاجتماعي

لا شكَّ أن الأمن ركيزة أساسية لبناء أي مجتمع على وجه الأرض؛ فلا يمكن أن يقوم مجتمع بدون أمن ينعم به أهله، ولا ينفع أن يعيش الناس في مجتمع يسوده الخوف، ويسيطر عليه الرعب والجزع، وأيُّ حياة ناعمة مستقرة لا بدَّ أن تنشأ في جو من الأمن والسكينة.

وقد ورد ذكر الأمن في غير موضع من كتاب الله ﷻ، ففي سورة النحل ذكر المولى ﷻ أن رغد الحياة والاطمئنان وسعة الرزق هي من أعظم نعم الله ﷻ على العباد، وأيما بلد تنعم بتلك النعم العظيمة وجب على أهله أن يبادروا إلى شكر تلك

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن _ القرطبي _ ٢١١/٢٠

النعم بتوحيد الله ﷻ، وصدق الالتجاء إليه، يقول سبحانه: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[النحل: ١١٢] ، قال السعدي رحمه الله: "وهذه القرية هي مكة المشرفة، التي كانت آمنة مطمئنة، لا يُهاج فيها أحد، وتحترمها الجاهلية الجهلاء حتى إنَّ أحدهم يجد قاتل أبيه وأخيه، فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم، والنعرة العربية فحصل لها من الأمن التام ما لم يحصل لسواها وكذلك الرزق الواسع، كانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر، ولكن يسر الله لها الرزق يأتيها من كل مكان، فجاءهم رسول منهم يعرفون أمانته وصدقه، يدعوهم إلى أكمل الأمور، ينهاهم عن الأمور السيئة، فكذبوه وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه، وألبسهم لباس الجوع الذي هو ضد الرغد، والخوف الذي هو ضد الأمن، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم" (١).

وجاءت السنة المطهرة مؤكدة على ضرورة الأمن وأهميته في حياة الإنسان، فقد ورد عن النبي ﷺ أنَّه قال: **(من أصبح منكم آمنا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا)** (٢).

ولقد جاءت بعض الآيات في جزء عمَّ تبين أهمية الأمن كركيزة من ركائز المجتمع، وضرورة من ضروريات الحياة المستقرَّة، وذلك من خلال تذكير العباد بهذه النعمة الربانية العظيمة، والتي تستوجب على العباد التوجه بالشكر الجميل، والثناء الحسن على المنعم المتفضِّل سبحانه وتعالى، ولعل أوضح ما ورد في ذلك في الجزء سورة قريش، والتي يذكر فيها المولى سبحانه قريش بنعمه عليهم، ويخص سبحانه بالذكر نعمتي الأمن من الخوف، والإطعام من الجوع، قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۞ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۞ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۞ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾[قريش: ١ – ٤]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٤٥١).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه _ كتاب _ باب ، وقال عنه: هذا حديث حسن غريب.

والجدير بالذكر أنَّ من أهم ما يجب على الإنسان أن يوفر له الأمن هو نفسه التي بين جنبيه، والتي هي أمانة عنده، وفي آيات سورتي الفلق والناس علمنا ربنا سبحانه كيف نوفر الأمن الأكيد، والحصن المنيع من كل الشرور، وذلك بصدق الالتجاء إليه سبحانه، والاعتماد التام عليه في إعاذتنا من الشرور كلها، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۞ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۞ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۞ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۞ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١ – ٥] ،وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۞ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۞ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۞ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۞ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۞ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ – ٦] ففي هاتين السورتين بيان واضح لضرورة توفير الأمن الشخصي من كل شر أو مكروه فالله ﷻ أمر نبيه ﷺ بالحفاظ على أمنه بالتجائه لربه والاستعاذة به من كل الشرور.

ولقد أكد النبي ﷺ على أهمية هاتين السورتين لكل مسلم، يحمي بهما نفسه، ويوفر لها أعظم الأمان بالتعوذ برب الخلق أجمعين، ففي حديث عقبة بن عامر ﷺ قال: بينا أنا أسير مع رسول الله ﷺ بين الجحفة والأبواء إذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة، فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ ب (أعوذ برب الفلق) و(أعوذ برب الناس) ويقول: **(يا عقبة تعوذ بهما؛ فما تعوَّذ متعوذ بمثلهما)** [1]

ومن أعظم صور الأمن الذي يجب على الإنسان الحرص على توفيره لنفسه: الأمن في الدار الآخرة، وذلك بأن ينجي المرء نفسه من عذاب الله ﷻ، من خلال السعي في طاعته سبحانه، والعمل على نيل مرضاته، وقد بينت آيات من سور النازعات السبيل إلى الفوز بالأمن في الدار الآخرة، إذ يقول المولى سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ – ٤١]، فمن فاز بالجنة فقد حاز الأمن كله، وسعد السعادة الأبدية، ونفهم من الآيات أنَّ الخوف من الله ﷻ جالب للأمن في الدنيا والآخرة، فمن خاف الله التزم بما أمر، وانتهى عمَّا زجر، وهذه طريق النجاة والفلاح.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه _ كتاب الوتر _ باب في المعوذتين _ ٥٤٦/١_ ح١٤٥٦.

المطلب الثالث

التكافل الاجتماعي

لا شكَّ أنَّ من أساسيات الإصلاح الاجتماعي في أي مجتمع من المجتمعات أن يتكافل أفراده، وأن تجمعهم روابط قوية، يخاف الواحد منهم على أخيه، وتهمه مصلحة إخوانه كمصلحة نفسه، وهم في ذلك كجسد واحد، وبناء واحد يشد بعضه بعضاً، كما وضَّح النبي ﷺ ذلك بقوله: **(مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)**[1].

وأي مجتمع سادت فيه الفرقة والأنانية فهو مجتمع ممزق متهالك، لن تقوم له قائمة، ولن يدوم له عز.

وقد أكد جزء عمَّ في آيات عدة من آياته على أهمية التكافل الاجتماعي كركيزة من ركائز إصلاح المجتمع المسلم، ففي سورة الضحى أمر الله ﷻ بالرفق باليتيم، وعدم زجره وقهره، وأمر سبحانه بالعطف على السائل المحتاج، فقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۞ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩ – ١٠]، فلا ينبغي للمسلم أن يقهر اليتيم بوجه من الوجوه، أو أن يحقره، ولا يجوز له أن يزجر السائل أو أن يغلظ عليه[2]

وفي سورة الفجر توبيخ لأولئك الذين لا يحافظون على أساسات التكافل بين أفراد المجتمع، من إكرام لليتيم، وإطعام للمسكين، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٧ – ١٨]

ويؤكد ربُّنا سبحانه وتعالى على ضرورة التكافل بين أفراد المجتمع بأن جعل من شروط تجاوز العقبة، والنجاة من عذاب الله ﷻ التمسك بتلك العبادات التي من خلالها يرسخ التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، وذلك بإعتاق الرقيق، وإطعام

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه _ كتاب البر والصلة والأدب _ باب تراحم المسلمين وتعاطفهم وتعاضدهم _ ٨/٢٠ _ ح٦٧٥١.

(٢) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الدراية والروية في علم التفسير _ ٥/٦٥١.

المساكين في يوم تشتد فيه حاجة الناس للطعام، والتواصي بين أفراد المجتمع بالمرحمة [1]، قال ﷻ: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۞ فَكُّ رَقَبَةٍ ۞ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۞ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۞ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۞ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد: ١١ – ١٧]

ولقد حذر ربُّنا سبحانه من فعل المنافقين المرائين الذين قست قلوبهم، وخلت من الرحمة على الضعفاء والمساكين، إذ كانون يمنعون حاجاتهم عن العباد، ويبخلون بالقليل عن الناس، قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۞ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ٤ – ٧]، ففي الآيات وعيد للمنافقين الذين يعملون الأعمال لأجل رئاء الناس، ويمنعون إعطاء الشيء، الذي لا يضر إعطاؤه على وجه العارية، أو الهبة، كالإناء، والدلو، والفأس، ونحو ذلك، مما جرت العادة ببذلها والسماحة به، فهؤلاء –لشدة حرصهم– يمنعون الماعون، فكيف بما هو أكثر منه، وفي هذه السورة، الحث على إكرام اليتيم، والمساكين، والحضُّ على ذلك، ومراعاة الصلاة، والمحافظة عليها، وعلى الإخلاص في جميع الأعمال والحث على بذل الأموال الخفيفة، كعارية الإناء والدلو والكتاب، ونحو ذلك، لأن الله ذم من لم يفعل ذلك، فالمجتمع الذي يحرص افراده على البذل و العطاء هو مجتمع متعاضد متماسك متكافل يعيش في أمن وأمان [2]

وبهذا فإنه مما يجب على المصلحين الاهتمام به، وتوجيه الجهود إليه العمل على تنمية التكافل بين أفراد المجتمع المسلم؛ بحيث يعود المسلممن كما كانوا زمن نبيهم ﷺ، تعمهم المحبة، ويسودهم الوئام، وتجمعهم الإخوة في الله ﷻ، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، فالمسلمون اليوم في أمس الحاجة إلى التعاضد والتلاحم، بعد أن مزقتهم الفرقة، وعصفت بهم رياح الفتن، واشتعلت نار الحرب بين الكثير منهم، ولا سبيل إلى الخروج من ذلك إلا بالعودة إلى نهج النبي ﷺ، وإحياء معاني التكافل والإخوة الإيمانية.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ص٩٢٤.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ص٩٣٥.

المبحث الخامس
الإصلاح التشريعي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإصلاح في جانب العبادات.

المطلب الثاني: الإصلاح في جانب المعاملات.

لقد جاء القرآن الكريم بالإصلاح الشامل لكل مناحي الحياة، فلم يترك جانباً من جوانب الحياة إلا وقد نزل الإصلاح القرآني لها؛ فكما أصلح القرآن عقيدة الناس، وعباداتهم، وأصلح لهم أخلاقهم وسائر أمور حياتهم كذلك فإنَّه قد أصلح لهم تشريعاتهم وقوانينهم، وهذا هو الإصلاح التشريعي الذي جاء به القرآن الكريم.

ولا يخفى أنَّ الإصلاح التشريعي هو من سمات القرآن المدني؛ إذ يغلب جانب التشريع فيه، أمَّا القرآن المكي فيغلب فيه الإصلاح العقدي والأخلاقي، إلا أنَّه لم يخلُ من وضع بعض أسس الإصلاح التشريعي، وجزء عمَّ من القرآن المكي الذي فيه بعض هذه الأسس، وهذا ما سيقف عليه الباحث في المطلبين الآتيين.

المطلب الأول
الإصلاح في جانب العبادات

إنَّ من سنَّة الله ﷻ أن يرسل الرسل لهداية الناس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وإصلاح ما بينهم وبين ربهم ﷻ، ببيان طرق العبادة الصحيحة التي يتوجب على العباد التوجه بها إليه سبحانه.

ومع مرور الزمن وتباعد الناس عن زمن الأنبياء والمرسلين ينتشر الجهل بالعبادات، ويبتعد الناس عن الدين القويم، ويبتدعون كثيراً من البدع التي لم ينزل الله ﷻ بها سلطان، وفي ذلك الحين يحتاج الناس إلى مَن يُقَوِّم لهم خللهم، يعيدهم إلى الصراط المستقيم، فينزل الله ﷻ رسله ليقوموا بذلك.

وقد انحرف الناس كثيراً قبل بعثة النبي ﷺ، فابتعدوا عن الحنفية الصافية، واخلوا في توحيد الله ﷻ، وغاصوا في أوحال الشرك والبدع، وجعلوا لأنفسهم ديناً لم يأذن به الله ﷻ، فأرسل الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ، وجاء للناس بالقرآن الكريم، وشرع لهم العبادات التي أرادها الله ﷻ من عباده.

وفي جزء عمَّ قد وضع ربنا سبحانه حداً فاصلاً بين العبادة الصحيحة الخالصة لله سبحانه، المتسمة بشروط العبادة الصحيحة، وبين العبادة المبتَدعة التي لم ينزل الله ﷻ بها من سلطان، وذلك من خلال سورة الكافرون؛ حيث أمر الله ﷻ

نبيه ﷺ بإظهار العبادة الصحيحة، وعدم الالتفات إلى ما كان يعبد الكفار والمشركون، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ – ٦]، فهذه السورة نزلت على النبي ﷺ بعد أن عرض عليه المشركون أن يعبدوا الله عاماً، ثمَّ يعبد النبي ﷺ آلهتهم المزعومة عاماً، فكانت هذه الآيات الحد الفاصل بين العبادة الصحيحة التي جاء بها القرآن الكريم، والعبادة الباطلة التي ابتدعها المشركون، وكأنَّ الله ﷻ يخاطب النبي ﷺ وأمته بأن يعبدوه في الحاضر والمستقبل كما أمر، وأن يبتعدوا في الحاضر والمستقبل عن الابتداع في العبادة، والشرك مع الله بالعبادة آلهة أخرى، وبهذا فإنَّ هذه السورة جاءت لتصلح تلك العبادة المبتدعة إلى تلك العبادة المتبعة لمنهج النبي ﷺ، الذي جاء به من عند ربه سبحانه[1].

إنَّ من أهم جوانب إصلاح العبادات إصلاح القصد فيها، وذلك بجعلها خالصة كلها لله ﷻ، فهذه العبادة الخالصة هي التي يقبلها سبحانه، ولا يقبل غيرها، قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، فما كان أمر الله ﷻ للعباد إلا أن يجعلوا دينهم وعبادتهم خالصة له سبحانه، ويجعلوا أنفسهم خالصة من كل شرك [2].

ثمَّ بعد هذه الأمر بالإخلاص في العبادة لله ﷻ في نفس الآية أكد ربنا سبحانه على أهم العبادات التي على المسلم أن يؤديها خالصة لربه ﷻ وفق شريعته ومنهج نبيه ﷺ؛ فذكر إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة على وجه الخصوص لما لها من أهمية كبيرة في إصلاح الفرد والمجتمع، قال سبحانه: ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[البينة: ٥] ، قال ابن عاشور: "ولما ذكر أصل الدين أتبعه الفروع؛ فبدأ بأعظمها الذي هو مجمع الدين وموضع التجرد عن العوائق، فقال: (ويقيموا) أي: يعدِّلوا من غير اعوجاج ما، بجميع الشرائط والأركان والحدود،

---

(١) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير _ أبو بكر الجزائري _ ٦٢٤/٥.

(٢) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير _ الشوكاني _ ٦٧٣/٥.

ولما ذكر صلة الخالق أتبعها بصلة الخلائق، فقال: (ويؤتوا الزكاة) أي بأن يُحضروها لمستحقيها على خلق الله إعانة على الدين" [1].

وفي سورة الماعون وعيد من الله ﷻ لمن في عبادته خلل؛ فهو يعبد الله على غير مراد الله ﷻ، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤ – ٥]، أي غافلون عنها، غير مبالين بها، يؤخرونها عن أوقاتها، لا يتمون ركوعها وسجودها [2].

المطلب الثاني
الإصلاح في جانب المعاملات

وكما أنَّ القرآن الكريم أصلح للعباد عباداتهم التي تربطهم بربهم ﷻ، فإنَّه أيضا قد أصلح لهم معاملاتهم التي تنظم علاقات بعضهم ببعض، وكما مر سابقاً أنَّ الإصلاح التشريعي في جانب العبادات هو سمة من سمات القرآن المدني مع عدم خلو القرآن المكي منه، فكذلك الحال في الإصلاح التشريعي في جانب المعاملات؛ حيث يغلب ذلك في القرآن المدني، ويقل في القرآن المكي.

وجزء عمَّ كغيره من القرآن المكي يندر فيه جانب التشريع، ولكن لا يخلو من وضع بعض أسس ذلك الإصلاح التشريع.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١ – ٦] [3]، والمطففون هم الذين ينقصون الناس، ويبخسونهم حقوقهم في مكاييلهم إذا كالوهم، أو موازينهم إذا وزنوا لهم ولا يوفون كما

---

(١) التحرير والتنوير _ ٤٤٩/٨.

(٢) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل _ البيضاوي _ ص٥٣٤.

(٣) قد سبق الإشارة إلى خلاف العلماء في سورة المطففين هل هي سورة مكية أم مدنية، ورجح الباحث كون السورة مكية، وهي آخر ما نزل في مكة (انظر ص ١٢ من الرسالة).

أمر الله ﷻ، والمطفِّف هو الذي يُنقص من حقّ صاحب الحقّ بدلاً من أن يعطيه حقه كما شرع الله ﷻ [١].

وإذا كان هذا الوعيد في مطلع هذه السورة بشدته على الذين يبخسون الناس بالمكيال والميزان، فالذي يأخذ أموالهم قهرًا أو سرقة، أو لا يقيم حدود الله ﷻ في توزيع التركة والميراث، أو يحارب الله ﷻ بالربا والمعاملات التي لا توافق شرع الله ﷻ أولى بهذا الوعيد من المطففين، فعلى الإنسان أن يلتزم بما شرع الله سبخانه من المعاملات الإسلامية، وأن يقف على حدود الله؛ فلا يتعدَّ على مال شخص آخر، أو على حق الغير قهراً، أو سرقة واختلاساً؛ فكما يحب أن يأخذ الواحد منا حقه دون نقصان عليه ألا ينقص الآخرين حقوقهم [٢].

وفي كلام نفيس لسيد قطب يقول فيه: "كما أن هذه اللفتة المبكرة في البيئة المكية تشي بطبيعة هذا الدين وشمول منهجه للحياة الواقعية، وشؤونها العملية، وإقامتها على الأساس الأخلاقي العميق الأصيل في طبيعة هذا المنهج الإلهي القويم؛ فقد كره هذه الحالة الصارخة من الظلم والانحراف الأخلاقي في التعامل، وهو لم يتسلم بعد زمام الحياة الاجتماعية، لينظمها وفق شريعته بقوة القانون، وسلطان الدولة، وأرسل هذه الصيحة المدوية بالحرب والويل على المطففين، وهم يومئذ سادة مكة، أصحاب السلطان المهيمن" [٣].

فهذا نموذج على اشتمال سور جزء عمَّ على الإصلاح التشريعي في جانب المعاملات، وبه يتبين أنَّ القرآن الكريم _مكيه ومدنيه_ قد حوى جميع جوانب الإصلاح، ولم يغفل جانباً من جوانب الحياة إلا وأصلح ما فيها من خلل.

ولا يخفى أنَّ المسلمين اليوم في أحوج ما يكونوا إلى العودة إلى منهاج القرآن الحكيم في إصلاح ما فسد من عباداتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم، خاصةً ونحن نعيش في خضم هذه الفتن الحالكة؛ فالقرآن الذي أصلح أمَّة جاهلية، قد سيطرت الجاهلية على عباداتها وأخلاقها ومعاملاتها لا شكَّ أنَّه هو الحل الوحيد لما يعيشه المسلمون

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن _ الطبري _ ٢٧٧/٢٤.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان _ السعدي _ ص٩١٥.

(٣) في ظلال القرآن _ ٣٨٥٥/٦.

من أزمات أخلاقية ومعاملاتية وعبادات قد كثرت فيها البدع.

وكتاب الله ﷻ هو السراج المنير، وحبل الله المتين؛ فيه النور والنجاة والخلاص، ومتى استمسك به المسلمون انفرجت كربهم، وانصلح حالهم.

الخاتمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، محمدٍ ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنني أحمد الله ﷻ الذي بنعمته تتم الصالحات _ أن أعانني ووفقني ويسَّر لي إتمام هذا البحث، الذي كان بعنوان: "**منهجيات الإصلاح والتغيير في جزء عمَّ**"، بعد دراسة ممتعة لجزء عمَّ، واستخلاص وبيان ما فيه من منهجيات الإصلاح والتغيير، ومن خلال هذه الدراسة للجزء، والوقوف على ما فيه من منهجيات خرج الباحث بالنتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: النتائج:

١- إنَّ الإسلام العظيم جاء لإصلاح البشرية؛ فكما أصلح المجتمع الجاهلي فهو الأجدر على قيادة العالم وإصلاح وتغيير الفساد الذي اعترى الفرد أو الجماعة.

٢- حاجة الأمة الإسلامية إلى الإصلاح والتغيير لأحداث نقلة كلية شاملة ترتقي بها إلى ما يؤهلها لإقامة شرع الله ﷻ في الأرض.

٣- تبين أنَّ الإصلاح والتغيير لا ينحصر في جانب واحد؛ بل يشمل جوانب متنوعة ونواحي متعددة ليشمل جميع نواحي الحياة.

٤- اشتمال جزء عمَّ على مبادئ وأسس إصلاحية تتمثل في منهجيات عظيمة وقيمة من شأنها أن تغير حال الأمة إلى الصلاح والفلاح والعزة.

٥- أهم جوانب الإصلاح والتغيير التي اشتمل عليها جزء عمَّ هي الإصلاح في الجانب العقدي، وهذا يعكس طبيعة الإصلاح الذي جاء به القرآن المكي.

٦- من أهم جوانب الإصلاح العقدي الذي اشتمل عليه جزء عمَّ إثبات عقيدة البعث والحساب والميزان، والحديث عن مصير المؤمنين والكافرين، وإثبات حقيقة الملائكة، والحديث عن بعض صفاتهم.

٧- ركزت آيات جزء عمَّ على أساسات الإصلاح الدعوي الذي نحن بأمس الحاجة إليه، ومن أهم مظاهر ذلك بيان أنَّ الهداية بيد الله ﷻ، وبيان عظم أجر الدعاة.

٨- إنَّ طريق الإصلاح والتغيير ملئ بالعقبات والابتلاءات؛ فهو بحاجة إلى الصبر والثبات والعزيمة والتضحية، حتى تحوَّل المحنة إلى منحة، ونصل إلى الهدف المنشود.

٩- احتوى جزء عمَّ على بعض أسس وجوانب من الإصلاح التربوي والأخلاقي؛ فحث على تزكية النفس، ودعا إلى العلم، وأكَّد على أخذ العبرة من فناء الأمم السابقة.

١٠- ظهر من خلال البحث مدى حرص القرآن المكي على حفظ حقوق اليتامى والمساكين، والحث على التكافل بين أفراد المجتمع الواحد، وهذا واضح في بعض آيات جزء عمَّ.

١١- لم يغفل جزء عمَّ _وإن ندر فيه_ عن الإصلاح التشريعي في جانب العبادات وجانب المعاملات.

ثانياً: التوصيات:

١- أوصي طلاب العلم الشرعي بدراسة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم؛ لما في ذلك من كبير فائدة تعود على الفرد والمجتمع.

٢- أوصي الدُّعاة والمصلحين بالاهتمام بموضوع منهج القرآن في التغيير والإصلاح؛ لحاجة الأمة الماسة إلى ما يُصلحها، ويغير حالها.

٣- أوصي الدعاة بالتركيز على الإصلاح العقدي؛ لأنَّه أساس كل إصلاح.

٤- أوصي كلَّ فرد من أفراد المجتمع المسلم بأن يبدأ بالإصلاح والتغيير بنفسه، وبمن يعول؛ لأنَّ صلاح الأسرة ومن ثَمَّ المجتمع لا يتأتى إلا بصلاح الفرد بداية.

٥- أوصي أفراد المجتمع المسلم بالتخلق بما في القرآن من أخلاقيات من شأنها أن ترقى بالمجتمع المسلم، وتجعله في طليعة الأمم.

الفهارس

وتشتمل على:

١-فهرس الآيات القرآنية.

٢-فهرس الأحاديث النبوية.

٣-فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤-فهرس المصادر والمراجع.

٥-فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

(حسب ترتيب المصحف)

م	نص الآية	رقم الآية	الصفحة
	سورة البقرة		
١.	﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾	٢٥	٧٧
٢.	﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾	٦٢	٦٧
٣.	﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾	٢٥٢	٨٦
٤.	﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾	١٧٧	١٤١
٥.	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾	١٦٤	٥٦
	سورة آل عمران		
٦.	﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾	١٨	١٢٦
٧.	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾	١٩	٥٦
٨.	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾	١١٠	٥، ٩٧
٩.	﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾	١٢٢	١٩١
١٠.	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ ﴾	١٥٩	١٠٧
١١.	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ ﴾	١٦٩	١١٥
	سورة النساء		
١٢.	﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾	٢	١٤١
١٣.	﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾	٥٩	٦٧
١٤.	﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾	١٦٦	٨٦
١٥.	﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾	١٦٦	٨٥
	سورة المائدة		
١٦.	﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾	٢٣	٩١
١٧.	﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾	٤٨	٢

م	نص الآية	رقم الآية	الصفحة
	سورة الأنعام		
١٨.	﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ ﴾	١٩	٨٦
١٩.	﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا ﴾	٣٤	١٠١
	سورة الأعراف		
٢٠.	﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾	٨، ٩	٧٩
٢١.	﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾	٥٦	٣
٢٢.	﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾	١٥٧	٦
	سورة الأنفال		
٢٣.	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾	٢	٩١
٢٤.	﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ ﴾	٣٠	١٠١
٢٥.	﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ ﴾	٣١	١٧
٢٦.	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ﴾	٥٣	٤
	سورة التوبة		
٢٧.	﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾	١	٨٩
٢٨.	﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾	١٨	٦٧
٢٩.	﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ ... ﴾	٣٢	٨٧
٣٠.	﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾	١٠٢	٣
	سورة هود		
٣١.	﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾	١٨	١١٢
٣٢.	﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا ﴾	٤٩	١٣٤
٣٣.	﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾	٥٠	٥٦
٣٤.	﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾	٨٨	أ
٣٥.	﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ ... ﴾	١٢٣	٦٣

م	نص الآية	رقم الآية	الصفحة
	سورة يوسف		
٣٦.	﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾	١٠٨	٦٧
٣٧.	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾	١١١	١٣٤
	سورة الرعد		
٣٨.	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾	١١	أ
٣٩.	﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾	٤٣	٨٦
	سورة إبراهيم		
٤٠.	﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾	١٢	٩١
٤١.	﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾	٣٤	٩٣
	سورة النحل		
٤٢.	﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾	٢	٩٣
٤٣.	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا ... ﴾	٣٦	٥٦، ٩٧
٤٤.	﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ ... ﴾	٥٣	٩٣
٤٥.	﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾	٨٩	٨٧
٤٦.	﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي ﴾	١٠٣	٨٧
٤٧.	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ﴾	١١٢	١٤٥
	سورة الإسراء		
٤٨.	﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ﴾	٧	١٣١
	سورة الكهف		
٤٩.	﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾	٢٨	١٠٦
٥٠.	﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾	٢٩	٧٤
	سورة طه		
٥١.	﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ ... ﴾	٧٥	١٢٥

م	نص الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الأنبياء			
٥٢.	﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا ﴾	٥	٨٧
٥٣.	﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ... ﴾	١٩-٢٠	٨٢
٥٤.	﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا ﴾	٤١	١٠١
٥٥.	﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾	٤٧	٧٩، ٨٠
سورة الحج			
٥٦.	﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ.... ﴾	١-٢	٦٧
سورة المؤمنون			
٥٧.	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾	١٢	١٢٠
٥٨.	﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.... ﴾	٨٤-٨٩	٥٨
سورة النور			
٥٩.	﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا ﴾	١٥	٨٠
سورة الفرقان			
٦٠.	﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾	٥	٨٧
سورة النمل			
٦١.	﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ ﴾	١٩	ج
سورة القصص			
٦٢.	﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾	٥٦	٩٩
سورة لقمان			
٦٣.	﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾	٢٠	٩٣
سورة الأحزاب			
٦٤.	﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾	٤٥	١٠٣
٦٥.	﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى....﴾	٤٨	٩١
سورة سبأ			
٦٦.	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ ﴾	٧-٨	٦٣

م	نص الآية	رقم الآية	الصفحة
٦٧.	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ... ﴾	٢٨	١٠٦
	سورة فاطر		
٦٨.	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾	٢٨	١٢٧
	سورة يس		
٦٩.	﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾	١-٣	٨٦
	سورة الصافات		
٧٠.	﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾	١٤٩	١
	سورة الزمر		
٧١.	﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾	٣	٥٨
٧٢.	﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٩	١٢٦
٧٣.	﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾	٦٥	٥٦
	سورة فصلت		
٧٤.	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا ﴾	٢٦	٨٧، ٨٩
٧٥.	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي ... ﴾	٣٣	١٠٧
	سورة الشورى		
٧٦.	وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا﴾	٤٠	١٣١
٧٧.	﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ ﴾	٤٨	٣
	سورة الزخرف		
٧٨.	﴿ حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ... ﴾	١-٤	٨٧
٧٩.	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ﴾	٩	٥٨
٨٠.	﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا ﴾	١٩	٨٢
٨١.	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾	٨٧	٥٨
	سورة الأحقاف		
٨٢.	﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ﴾	٣٥	١٠١

م	نص الآية	رقم الآية	الصفحة
	سورة محمد		
٨٣.	﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ ﴾	٤	١١٥
٨٤.	﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾	٧	١٠٣
	سورة الفتح		
٨٥.	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ ﴾	٢٩	٨٦
	سورة ق		
٨٦.	﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾	١-٣	٦٣
	سورة الرحمن		
٨٧.	﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾	٦	١٣١
	سورة المجادلة		
٨٨.	﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ ﴾	٢٢	٨٩
	سورة الجمعة		
٨٩.	﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ﴾	٢	١
	سورة المنافقون		
٩٠.	﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾	١	٨٤
	سورة التحريم		
٩١.	﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾	٦	٨٢
٩٢.	﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ ﴾	٦	٨٥
	سورة المدثر		
٩٣.	﴿ هُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾	١٨-٢٤	٨٧
	سورة المرسلات		
٩٤.	﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴾	١٦	٣٥
٩٥.	﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾	٢٠	٣٥
٩٦.	﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴾	٢٥	٣٥

م	نص الآية	رقم الآية	الصفحة
	سورة النبأ		
٩٧.	﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾	١	١٠
٩٨.	﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (۝٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾	٦-١٦	٣٥، ٦٠
٩٩.	﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾	١٤	١١
١٠٠.	﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾	١٨	٨٣
١٠١.	﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (۝١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾	١٧-٢٠	٦٧
١٠٢.	﴿ نَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (۝٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴾	٢١-٣٠	٧٤، ٨٠، ١٣٠
١٠٣.	﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (۝٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (۝٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾	٣١-٣٦	٧٢، ١٣٠
١٠٤.	﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾	٣٧	٥٧
١٠٥.	﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ ﴾	٣٨	٨٣
١٠٦.	﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (۝٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾	٣٨-٣٩	٦٨
	سورة النازعات		
١٠٧.	﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (۝١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (۝٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣﴾	١-٥	٨٤
١٠٨.	﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (۝٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (۝٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾	٦-٩	٦٨
١٠٩.	﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (۝١٠) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ۝١١ قَالُوا ﴾	١٠-١٢	٦٤
١١٠.	﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (۝١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (۝١٤) ﴾	١٣-١٤	٦٤
١١١.	﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (۝١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (۝١٦) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾	١٥-١٩	١٠٨، ١١٠، ١٣٢، ١٠٢، ١٣٤
١١٢.	﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (۝٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (۝٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (۝٢٩) ﴾	٢٧-٢٩	٣٢
١١٣.	﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (۝٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (۝٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (۝٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (۝٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾	٢٧-٣٣	٦٠
١١٤.	﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (۝٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (۝٣٥)	٣٤-٣٦	٦٨

م	نص الآية	رقم الآية	الصفحة
	وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (٣٦) ﴾		
١١٥.	﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾	٣٧-٣٩	٧٤
١١٦.	﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾	٤٠-٤١	٧٢، ١٤٦
١١٧.	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ﴾	٤٢-٤٥	١٠٠، ١٠٤
	سورة عبس		
١١٨.	﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ ... ﴾	١-١٠	٩٩، ١٠٦، ١٢٥، ١٤٢
١١٩.	﴿ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ ...﴾	١١-١٦	٨٤
١٢٠.	﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ ﴾	١٧-٢٢	٦٤، ١٢١
١٢١.	﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾	٢٤	٣٢
١٢٢.	﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا ... ﴾	٢٤-٣٢	٦٠، ٩٤
١٢٣.	﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) .. ﴾	٣٣-٣٧	٦٩
١٢٤.	﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ... ﴾	٣٨-٤٠	٧٠، ٧١
١٢٥.	﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾	٤١-٤٢	٧٥
	سورة التكوير		
١٢٦.	﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾	١	١٢
١٢٧.	﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) ﴾	١-١٤	٦٩
١٢٨.	﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) ﴾	١٥-٢٢	٨٦، ٨٨
١٢٩.	﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾	٢٧-٢٨	١٠٠
١٣٠.	﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾	٢٩	٥٧

م	نص الآية	رقم الآية	الصفحة
	سورة الانفطار		
١٣١.	﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ...﴾	١-٥	٦٩
١٣٢.	﴿ يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ ...﴾	٦-٨	٥٧، ٦١، ١٢١، ١٢٢
١٣٣.	﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾	١٠-١٢	٨٤
١٣٤.	﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ... ﴾	١٣-١٦	١٣٠
١٣٥.	﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾	١٤-١٦	٧٥
	سورة المطففين		
١٣٦.	﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾	١	١٢
١٣٧.	﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴾	١-٦	٦٥
١٣٨.	﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	٦	٥٧
١٣٩.	﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ...﴾	١٠-١٧	١١٣
١٤٠.	﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ ...﴾	٢٢-٢٨	٧٢
١٤١.	﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾	٢٩-٣٤	١٠٩-١٣٣
١٤٢.	﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ* عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾	٣٤-٣٥	٧١
	سورة الانشقاق		
١٤٣.	﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾	١	١٣
١٤٤.	﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾	١-٥	٧٠

م	نص الآية	رقم الآية	الصفحة
١٤٥.	﴿ يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾	٦	١٢٢
١٤٦.	﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾	٧-١٥	٧١، ٨١
١٤٧.	﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾	١٠-١٥	٧٥
١٤٨.	﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾	٢٠-٢٥	٧٧، ١١٣
سورة البروج			
١٤٩.	﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾	١	٦١
١٥٠.	﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾	١-٨	١٠٢، ١١
١٥١.	﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾	١٠	١٣٣
١٥٢.	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾	١١	٧٣، ٧٨
١٥٣.	﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾	١٢-١٦	١٣٠
١٥٤.	﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢) ﴾	٢١-٢٢	٣٧
سورة الطارق			
١٥٥.	﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾	١	١٣
١٥٦.	﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾	١-٣	٦١
١٥٧.	﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾	٥	٣٢
١٥٨.	﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾	٥-٩	٦٥
١٥٩.	﴿ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾	٦-٧	٣٧

م	نص الآية	رقم الآية	الصفحة
١٦٠.	﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾	١١-١٤	٣٧، ٨٨
١٦١.	﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾	١٥-١٧	١٠٥، ١٠٩
	سورة الأعلى		
١٦٢.	﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾	١	١٣
١٦٣.	﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴾	٢	٣٧
١٦٤.	﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾	٩	١٠٣
١٦٥.	﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾	١٤-١٥	١٢٤
	سورة الغاشية		
١٦٦.	﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾	١	١٤
١٦٧.	﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴾	٢-١٠	٧٠، ٧٥
١٦٨.	﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾	٨-١٦	٧٣
١٦٩.	﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾	١٧	٣٢
١٧٠.	﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾	١٧-٢٠	٦٢-١٢٨
١٧١.	﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾	٢١	٣٧، ٩٩
١٧٢.	﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾	٢٥-٢٦	٦٥، ٨١
	سورة الفجر		
١٧٣.	﴿ وَالْفَجْرِ ﴾	١	١٤، ٣٧
١٧٤.	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا ﴾	٦-١٤	١١١، ١٣٦
١٧٥.	﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾	١٥-١٧	١٢٢

م	نص الآية	رقم الآية	الصفحة
١٧٦.	﴿ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾	١٧-١٨	١٤٢، ١٤٧
١٧٧.	﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾	٢١-٢٢	٨٣
	سورة البلد		
١٧٨.	﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾	١	١٤
١٧٩.	﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾	٨-١٠	٦١، ٩٤
١٨٠.	﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾	١١-١٨	٧٩، ١٤٨
١٨١.	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴾	١٩-٢٠	٧٦
	سورة الشمس		
١٨٢.	﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾	١	١٤
١٨٣.	﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾	١-٧	٦٢
١٨٤.	﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾	٧-١٠	١٢٤
١٨٥.	﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ...﴾	١١-١٥	١١١، ١٣٥
	سورة الليل		
١٨٦.	﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾	١	١٤
١٨٧.	﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾	١-٢	٦٢
١٨٨.	﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾	١٢	١٠٠
١٨٩.	﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾	١٤-١٦	٧٦، ١١٣
	سورة الضحى		
١٩٠.	﴿ وَالضُّحَى ﴾	١	١٤، ٩٥
١٩١.	﴿ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾	١-٢	٦٢، ٨٦
١٩٢.	﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾	٥	٣٨

م	نص الآية	رقم الآية	الصفحة
١٩٣.	﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾	٦-١١	١٤٣، ١٤٧
١٩٤.	﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾	٩-١٠	١٠٧
سورة الشرح			
١٩٥.	﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾	١	١٥، ٣٨
١٩٦.	﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ﴾	٧	٩٢، ١٤٦
سورة التين			
١٩٧.	﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾	١	١٥
١٩٨.	﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	١-٤	٦١، ٧٨
١٩٩.	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾	٤-٦	٧٧
سورة العلق			
٢٠٠.	﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾	١- ٢	١٥، ١٢٧
٢٠١.	﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾	٦-٨	١٢٣
٢٠٢.	﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى ﴾	٨	٦٦
٢٠٣.	﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾	١٥-١٨	٨٤
سورة القدر			
٢٠٤.	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾	١	١٥، ٣٨
٢٠٥.	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ ﴾	١-٥	٨٥
سورة البينة			
٢٠٦.	﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى	١	١٦

م	نص الآية	رقم الآية	الصفحة
	تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾		
٢٠٧.	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾	٥	٥٨
٢٠٨.	﴿ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾	٥	١٥١
٢٠٩.	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ ﴾	٦	٧٦
٢١٠.	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ ﴾	٧	٧٣
	الزلزلة		
٢١١.	﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾	١	١٦
٢١٢.	﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ﴾	٦-٨	٧٠-٨١
	سورة العاديات		
٢١٣.	﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾	١	١٦
٢١٤.	﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾	١-٥	١١٦
	سورة القارعة		
٢١٥.	﴿ الْقَارِعَةُ ﴾	١	١٦
٢١٦.	﴿الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ ... ﴾	١-٥	٧٠
٢١٧.	﴿ الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾	١-١١	٨١
٢١٨.	﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾	٦-٧	٧٣
٢١٩.	﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾	٨-١١	٧٦
	سورة التكاثر		
٢٢٠.	﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾	١	١٦
	سورة العصر		

م	نص الآية	رقم الآية	الصفحة
٢٢١.	﴿ وَالْعَصْرِ ﴾	١	١٧
٢٢٢.	﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾	١-٣	٧٩
سورة الهمزة			
٢٢٣.	﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾	١	١٧
سورة الفيل			
٢٢٤.	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾	١-٢	١٧
٢٢٥.	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾	١-٥	١٣٦
سورة قريش			
٢٢٦.	﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾	١	١٧
٢٢٧.	﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾	١-٤	٥٩، ١٤٥
٢٢٨.	﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾	٣-٤	٤٠
سورة الماعون			
٢٢٩.	﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾	١-٣	٤٣
٢٣٠.	﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾	٤-٧	١٥٢
٢٣١.	﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾	٧	١٧
سورة الكوثر			
٢٣٢.	﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾	١	١٨

م	نص الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الكافرون			
٢٣٣.	﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾	١-٢	٩٠، ١٥١
سورة النصر			
٢٣٤.	﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾	١	١٨
سورة المسد			
٢٣٥.	﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٥) ﴾	٥	١٨
٢٣٦.	﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾	١-٥	١١٤
سورة الإخلاص			
٢٣٧.	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾	١-٤	٥٧
سورة الفلق			
٢٣٨.	﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾	١	١٩، ٥٧، ١٤٦
سورة الناس			
٢٣٩.	﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾	١	١٩، ٥٧، ١٤٦

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الرقم	الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
١	(أتحبه لأمك)	أحمد	إسناده صحيح	١٣٢
٢	(أتشفع في حد من حدود الله)	مسلم	صحيح	١٣٤
٣	(احفظ الله يحفظك)	الترمذي	صحيح	٩١
٤	(أفلح الرويجل)	أبو داود	صحيح	٢٩
٥	(ألم تر آيات أنزلت الليلة)	مسلم	صحيح	٢٩
٦	(إنَّ الله يرفع بهذا الكتاب)	مسلم	صحيح	٢٧
٧	(إنَّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)	أحمد	صحيح	١١٩
٨	(أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن)	البخاري	صحيح	١٩
٩	(تقوى الله وحسن الخلق)	ترمذي	صحيح	١١٩
١٠	(تضمن الله لمن خرج في سبيله)	مسلم	حسن	١١٦
١١	(ثلاث من فعلهن فقد ذاق طعم الإيمان)	الطبراني	إسناده صحيح	١٢٦
١٢	(خيركم من تعلم القرآن)	البخاري	صحيح	٢٦
١٣	(الذي يقرأ القرآن وهو ماهر فيه)	مسلم	صحيح	٢٦
١٤	(الساعي على الأرملة والمسكين)	مسلم	صحيح	١٤٢
١٥	(عُرضت علي الجنة والنار)	مسلم	صحيح	١٢٩
١٦	(فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً)	مسلم	صحيح	٩٨
١٧	(قد أوذي موسى بأكثر من هذا)	مسلم	صحيح	١٠١
١٨	(طلب العلم فريضة)	ابن ماجه	حسن	١٢٧
١٩	(كافل اليتيم له أو لغيره)	مسلم	صحيح	١٤١
٢٠	(كتاب فيه خبر من قبلكم)	ترمذي	ضعيف	٨٩
٢١	(كان رسل الله يقرأ في العيدين)	مسلم	صحيح	٢٨
٢٢	(كان يقرأ في الظهر والعصر)	النسائي	صحيح	٢٨
٢٣	(لا حسد إلا في اثنتين)	البخاري	صحيح	٢٧
٢٤	**(لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)**	مسلم	صحيح	١٢٣

٢٥	(لموضع سوط في الجنة)	أحمد	صحيح	٧٣
٢٦	(لو أنكم تتوكلون على الله)	أحمد	ضعيف	٩٢
٢٧	(ما من عبد قال لا إله إلا الله)	مسلم	صحيح	١٢٩
٢٨	(مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن)	البخاري	صحيح	٢٧
٢٩	(مثل المؤمنين في توادهم)	مسلم	صحيح	١٣٩، ١٤٧
٣٠	(من أصبح منكم آمناً في سربه)	الترمذي	صحيح	١٤٥
٣١	(من دل على خير فله مثل أجر فاعله)	مسلم	صحيح	٩٨
٣٢	(من سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة)	الترمذي	حسن	٢٧، ٢٨
٣٣	(من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً)	مسلم	صحيح	١٢٧
٣٤	(من رأى منكم منكراً فليغيره)	مسلم	صحيح	٦
٣٥	(من قرأ حرفاً من كتاب الله)	الترمذي	صحيح	٢٧
٣٦	(من نفس عن مؤمن كربة)	مسلم	صحيح	١٣١
٣٧	(من ولي من أمر الناس شيئاً)	أحمد	صحيح لغيره	١٤٢
٣٨	(نعم السورتين هما)	ابن ماجه	صحيح	٢٩
٣٩	(هم الذين لا يسترقون)	البخاري	صحيح	٩١
٤٠	(وأرسلت إلى الخلق كافة)	مسلم	صحيح	١٠٦
٤١	(يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله)	مسلم	صحيح	٢٦
٤٢	(يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته)	مسلم	صحيح	٩٩
٤٣	(يا عقبة تعوَّذ بهما)	أبو داود	صحيح	١٤٦
٤٤	(يا معاذ هل تدري ما حق الله)	البخاري	صحيح	٥٨

فهرس الأعلام المترجم لهم

الرقم	اسم العَلم	رقم الصفحة
١	ميسرة بن عبد ربُّه التستري	٢٥
٢	نوح بن أبي مريم	٢٦
٣	عقبة بن عامر	٢٩
٤	أحمد بن الزبير الغرناطي	٤٣
٥	علي بن أحمد الأندلسي (الحرالي)	٤٤
٦	سهل بن سعد الأنصاري	٩٨
٧	عقبة بن عمرو	٩٨
٨	طارق بن عبد الله المحاربي	١١٤
٩	عبد الله بن معاوية الغاضري	١٢٦
١٠	أبو أمامة الباهلي	١٣٢
١١	النعمان بن بشير	١٣٩

فهرس المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن _ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) _ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم _ الهيئة المصرية العامة للكتاب _ الطبعة: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٢. أحكام القرآن _ القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر ابن العربي الإشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣) _ تحقيق: محمد عبد القادر عطا _ دار الكتب العلمية _ بيروت _ الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم _ أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ) _ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤. أسد الغابة في معرفة الصحابة _ أبو الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير _ دار الكتب العلمية _ الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

٥. الإصابة في تمييز الصحابة _ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) _ تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض _ دار الكتب العلمية _ بيروت_ الطبعة: الأولى: ١٤١٥هـ.

٦. الإصلاح رهان حضاري _ محمود بن محمد سفر _ دار النفائس _ الطبعة الأولى ٢٠٠٥/.

٧. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن _ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) _ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت _ لبنان _ ١٤١٥ هـ /١٩٩٥ م.

٨. إعلام الموقعين عن رب العالمين– المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)– تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم– الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٩. الأعلام– خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ) _ دار العلم للملايين– الطبعة: الخامسة عشر: أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

١٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل _ ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) _ تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي _ دار إحياء التراث العربي _ بيروت _ الطبعة: الأولى:١٤١٨ هـ.

١١. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير _ جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري _ مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية– الطبعة: الخامسة: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
١٢. الإيمان أركانه حقيقته نواقضه _ محمد نعيم ياسين _ مكتبة السنة _ القاهرة _ الطبعة الأولى ١٩٩١م.
١٣. بحر العلوم _ أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي _ تحقيق: د. محمود مطرجي _ الناشر: دار الفكر _ بيروت.
١٤. البحر المديد _ أبو القاسم أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الإدريسي الشاذلي _ الناشر: دار الكتب العلمية _ بيروت _ الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
١٥. البحر المحيط في التفسير _ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) _ تحقيق: صدقي محمد جميل _ دار الفكر _ بيروت– الطبعة: ١٤٢٠هـ.
١٦. البرهان في ترتيب سور القرآن _ أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي _ تحقيق شعباني _ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية _ المغرب _ ١٩٩٠م.
١٧. البيان في عد آي القرآن عثمان بن سعيد الداني _ تحقيق: غانم قدوري _ الناشر: مركز المخطوطات والتراث _ الكويت _ الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
١٨. تاج العروس من جواهر القاموس _ محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) _ تحقيق: مجموعة من المحققين _ دار الهداية.
١٩. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد _ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) _ الدار التونسية للنشر _ تونس _ ١٩٨٤ هـ.
٢٠. التسهيل لعلوم التنزيل _ أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ) _ تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي _ شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم _ بيروت _ الطبعة: الأولى: ١٤١٦هـ.
٢١. التعريفات _ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) _ تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر _ دار الكتب العلمية بيروت _ لبنان _ الطبعة: الأولى: ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٢. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) _ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ) _ الهيئة المصرية العامة للكتاب _ ١٩٩٠ م.
٢٣. تفسير القرآن العظيم _ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) _ تحقيق: سامي بن محمد سلامة _ دار طيبة للنشر والتوزيع _ الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م.
٢٤. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق _ صلاح عبد الفتاح الخالدي _ دار النفائس _ القدس _ الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
٢٥. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج _ د. وهبة بن مصطفى الزحيلي _ دار الفكر المعاصر– دمشق– الطبعة الثانية: ١٤١٨ هـ.
٢٦. التفسير الوسيط للقرآن الكريم _ محمد سيد طنطاوي _ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع _ القاهرة _ الطبعة الأولى: ١٩٩٨م.
٢٧. تفسير البغوي (معالم التنزيل) _ محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ) _ تحقيق: عبد الرزاق المهدي _ دار إحياء التراث العربي _ بيروت _الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ.
٢٨. تفسير الشعراوي _ محمد متولي الشعراوي _ مطابع أخبار اليوم _ ليس على الكتاب المطبوع أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧م.
٢٩. التفسير الميسر _ مجموعة من العلماء _ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف _ الطبعة الثانية: ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
٣٠. التفسير القيم لابن القيم _ تجميع محمد إدريس الندوي _ تحقيق محمد حامد الفقي.
٣١. تنزيل القرآن بمكة والمدينة _ محمد بن مسلم بن عبد الله ابن شهاب الزهري _ تحقيق محمد صالح الضامن _ مؤسسة الرسالة _ الطبعة الثالثة _ ١٩٩٨م.
٣٢. تهذيب اللغة _ أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠) _ تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون _ الناشر: الدار المصرية _ مصر الجديدة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م
٣٣. التوقيف على مهمات التعاريف _ محمد عبد الرؤوف _ تحقيق: محمد رضوان الداية _ دار الفكر بيروت _ الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ

٣٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان– المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) _ تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق _ مؤسسة الرسالة– الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م.
٣٥. جامع البيان في تأويل القرآن _ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) _ تحقيق: أحمد محمد شاكر _ مؤسسة الرسالة _ الطبعة: الأولى: ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
٣٦. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) _ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) _ تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش _ دار الكتب المصرية – القاهرة– الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ /١٩٦٤ م.
٣٧. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون _ أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) _ تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط _ دار القلم، دمشق.
٣٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور _ عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي _ دار الفكر – بيروت: ١٩٩٣م
٣٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني– المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) _ تحقيق: علي عبد الباري عطية _ دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٤٠. زاد المعاد في هدي خير العباد – محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) _ مؤسسة الرسالة، بيروت _ مكتبة المنار الإسلامية، الكويت_ الطبعة السابعة والعشرون: ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.
٤١. زاد المسير في علم التفسير _ عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي _ المكتب الإسلامي _ بيروت _ الطبعة الثالثة: ١٤٠٤هـ.
٤٢. السراج المنير _ شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني _ دار الكتب العلمية _ بيرت.
٤٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها _ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين ابن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الألباني _ الناشر _ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع _ الرياض _ الطبعة الأولى: ٢٠٠٢م.
٤٤. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة _ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين ابن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الألباني _ الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع _ الرياض _ الطبعة الأولى: ١٩٩٢م.

٤٥. سلسلة التفسير لمصطفى العدوي _ أبو عبد الله مصطفى بن العدوي المصري _ دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net
٤٦. سنن ابن ماجه _ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ) _ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- الناشر: دار إحياء الكتب العربية _ فيصل عيسى البابي الحلبي.
٤٧. سنن أبي داود _ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ) _ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد- الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
٤٨. سنن الترمذي _ محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ) _ تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وإبراهيم عطوة عوض _ الناشر:شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي _ مصر- الطبعة:الثانية: ١٣٩هـ / ١٩٧٥ م.
٤٩. سير أعلام النبلاء _ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) _ تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط _ مؤسسة الرسالة _ الطبعة الثالثة: ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
٥٠. الشباب والتغيير _ فتحي يكن _ مؤسسة الرسالة _ بيروت لبنان _ ١٩٩٧م.
٥١. شرح العقيدة الطحاوية _ ابن العز الحنفي _ تحقيق جماعة من العلماء _ دار السلام للطباعة والنشر _ الطبعة المصرية الأولى ٢٠٠٥م.
٥٢. شرح العقيدة الطحاوية _ عبد العزيز الراجحي _ وهو أشرطة مفرغة ضمن الدورة العلمية التي أقيمت بجامع شيخ الإسلام ابن تيمية.
٥٣. شرح العقيدة الطحاوية _ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ _ خرج أحاديثه سليمان القاطوني _ دار المودة _ المنصورة _ الطبعة الأولى _ ٢٠١١م.
٥٤. شرح ثلاثة الاصول _ محمد العثيمين _ دار الثريا للنشر _ الطبعة الرابعة ٢٠٠٤م.
٥٥. صحيح البخاري= الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه _محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي _ تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر _ دار طوق النجاة –الطبعة: الأولى: ١٤٢٢هـ.
٥٦. صحيح سنن الترمذي _ محمد ناصر الدين الألباني _ الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع _ الرياض _ الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
٥٧. صحيح سنن أبي دود _ محمد ناصر الدين الألباني _ الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع _ الرياض _ الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

٥٨. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ) _ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) _ تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي _ دار إحياء التراث العربي– بيروت.
٥٩. صحيح مسلم بشرح النووي (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) _ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) دار النشر:دار إحياء التراث العربي، بيروت _ الطبعة الثانية: ١٣٩٢هـ.
٦٠. طبقات المفسرين _ أحمد بن محمد الأدنه وي _ تحقيق سليمان بن صالح _ مكتبة العلوم والحكم _ المدينة المنورة _ ١٩٩٧م.
٦١. فتح الباري شرح صحيح البخاري– المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)– الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية– الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة– الطبعة: الأولى: ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.
٦٢. فتح القدير– المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ) _ دار ابن كثير _ دمشق _ الطبعة الأولى:١٤١٤ هـ.
٦٣. فتح المنعم شرح صحيح مسلم _ موسى شاهين لاشين _ دار الشروق _ الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
٦٤. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية _ سليمان الجمل _ المطبعة العامرة الشرقية _ مصر _ الطبعة الأولى: ١٣٠٣هـ.
٦٥. الفصل في الملل والأهواء والنحل _ أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي _ مكتبة الخانجي _ القاهرة.
٦٦. الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّته الشَّامل للأدلّة الشَّرعيَّة والآراء المذهبيَّة وأهمّ النَّظريَّات الفقهيَّة وتحقيق الأحاديث النَّبويَّة وتخريجها _ أ.د. وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ _ دار الفكر _ سوريَّة _ دمشق _ الطَّبعة الرَّابعة.
٦٧. في ظلال القرآن– المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ) _ دار الشروق – بيروت– القاهرة– الطبعة: السابعة عشر: ١٤١٢هـ.
٦٨. القاموس المحيط _ محمد بن يعقوب الفيروزآبادي _ تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة _ مؤسسة الرسالة للطبع والنشر _ بيروت _ لبنان _ الطبعة الثامنة _ ٢٠٠٥م.
٦٩. القاموس الفقهي _ سعدي أبو حبيب _ دار الفكر _ دمشق _ سورية _ الطبعة الثانية ١٩٨٨.

٧٠. العلم والبحث العلمي _ دراسة في مناهج العلوم _ حسين عبد الحميد رشوان _ الناشر: المكتب الجامعي _ الإسكندرية
٧١. كتاب العين- المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ) تحقيق:: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي _ دار ومكتبة الهلال.
٧٢. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) _ دار الكتاب العربي _ بيروت_ الطبعة الثالثة: ١٤٠٧ هـ.
٧٣. لباب التأويل في معاني التنزيل- المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ) _ تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين _ دار الكتب العلمية _ بيروت_ الطبعة: الأولى: ١٤١٥هـ.
٧٤. اللباب في علوم الكتاب _ أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ) _ تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض _ دار الكتب العلمية _ بيروت / لبنان.
٧٥. لسان العرب _ محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ) _ دار صادر _ بيروت _ الطبعة الثالثة: ١٤١٤ هـ.
٧٦. لطائف الإشارات (تفسير القشيري) _ عبد الكريم بن هارون بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ) _ تحقيق: إبراهيم البسيوني _ الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب _ مصر _ الطبعة الثالثة.
٧٧. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين _ علي أبو الحسن الندوي _ مكتبة الإيمان _ المنصورة.
٧٨. مباحث في التفسير الموضوعي _ مصطفى مسلم _ دار القلم _ الطبعة الرابعة _ ٢٠٠٥م.
٧٩. محاسن التأويل- المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ) _ محمد باسل عيون السود- الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت- الطبعة: الأولى: ١٤١٨ هـ.
٨٠. المحكم والمحيط الأعظم- المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ) _ تحقيق: عبد الحميد هنداوي _ دار الكتب العلمية _ بيروت_ الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.

٨١. مختار الصحاح- المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ) _ تحقيق: يوسف الشيخ محمد _ المكتبة العصرية _ الدار النموذجية، بيروت – صيدا- الطبعة: الخامسة: ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٨٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) _ تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي _ دار الكتاب العربي – بيروت- الطبعة: الثالثة: ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م.
٨٣. مدارك التنزيل (تفسير النسفى) _ أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي _ تحقيق الشيخ: مروان محمد الشعار _ دار النفائس . بيروت ٢٠٠٥م.
٨٤. مجموع فتاوى ابن تيمية _ تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية _ تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم _ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف _ المدينة المنورة _ ١٩٩٥م.
٨٥. مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين _ جمع وترتيب محمد بن ناصر السليمان _ دار الوطن للنشر _ الطبعة الأولى _ ١٤١٣هـ.
٨٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز _ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٦ هـ) _ تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد _ الناشر: دار الكتب العلمية _ بيروت _ ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
٨٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل- المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) _ تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون- إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي _ مؤسسة الرسالة _ الطبعة: الأولى: ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.
٨٨. المعجم الأوسط _ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني (ت: ٣٦٠) _ المحقق: طارق بن عوض الله الحسيني _ الناشر: دار الحرمين _ القاهرة: ١٤١٥هـ.
٨٩. المعجم الوسيط _ إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار _ المحقق: مجمع اللغة العربية _ الناشر دار الدَّعوة.
٩٠. المحكم والمحيط الأعظم _ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨) _ تحقيق: عبد الحميد هنداوي _ الناشر: دار الكتب العلمية _ بيروت: ٢٠٠٠م.
٩١. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) _ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) _ دار إحياء التراث العربي _ بيروت_ الطبعة: الثالثة: ١٤٢٠هـ.

٩٢. المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ) _ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا _ دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
٩٣. المفردات في غريب القرآن _ الراغب الأصفهاني _ تحقيق: صفوان عدنان الداودي _ الناشر: دار القلم _ بيروت _ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ
٩٤. الموضوعات _ جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي _ تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان _ الطبعة الأولى _ المكتبة السلفية _ المدينة المنورة _ ١٩٦٨م.
٩٥. مناهل العرفان في علوم القرآن _ محمد عبد العظيم الزرقاني _ الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي _ الطبعة الثانية.
٩٦. الموسوعة الفقهية الكويتية _ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية _ الكويت.
٩٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور _ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ) _ دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٩٨. النهاية في غريب الحديث والأثر _ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) _ تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي _ المكتبة العلمية _ بيروت: ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م
٩٩. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز _ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ) _ تحقيق: صفوان عدنان داوودي _ دار القلم، الدار الشامية_ دمشق، بيروت _ الطبعة الأولى: ١٤١٥ هـ.
١٠٠. الوسائل السعيدة للحياة السعيدة _ عبد الرحمن السعدي
١٠١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان _ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان _ المحقق: إحسان عباس _ دار صادر _ بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
الافتتاحية	أ
الإهداء	ب
شكر وتقدير	ج
المقدمة	د
التمهيد	١
أولاً: المقصود بالمنهج لغة واصطلاحاً.	٢
ثانياً: المقصود بالإصلاح لغة واصطلاحاً.	٣
ثالثاً: المقصود بالتغيير لغة واصطلاحاً.	٤
رابعاً: أهمية الإصلاح والتغيير.	٥
الفصل الأول **بين يدي سور جزء عمَّ**	٨
المبحث الأول: أسماء سور جزء عمَّ، وعدد آياتها، وفضلها، ونزولها.	٩
المطلب الأول: أسماء سور جزء عمَّ، وبيان مكيها ومدنيها	١٠
المطلب الثاني: ترتيب سور الجزء، وعدد آياتها.	١٩
المطلب الثالث: فضائل سور جزء عمَّ.	٢٥
المبحث الثاني: المناسبات في سور جزء عمَّ.	٣٠
المطلب الأول: المحور الرئيس لسور جزء عمَّ.	٣١
المطلب الثاني: علاقة سور جزء عمَّ بالمحور الرئيس.	٣٢
المطلب الثالث: المناسبات بين سور جزء عمَّ.	٣٥
المبحث الثالث: مقاصد سور جزء عمَّ.	٤٢
المطلب الأول: المراد بالمقاصد، وبيان أهميتها.	٤٣
المطلب الثاني: مقاصد سور جزء عمَّ.	٤٥
الفصل الثاني **منهجيات الإصلاح والتغيير في جزء عمَّ**	٥٢
المبحث الأول: الإصلاح والتغيير العقدي.	٥٥

المطلب الأول: بيان وحدانية الله ﷻ وبعض صفاته.	٥٧
المطلب الثاني: الأدلة على قدرة الله ﷻ.	٥٩
المطلب الثالث: إثبات حقيقة البعث.	٦٣
المطلب الرابع: بيان أهوال يوم القيامة.	٦٧
المطلب الخامس: الحديث عن مصير المؤمنين والكافرين.	٧١
المطلب السادس: بيان فوز مَن جمع بين الإيمان والعمل الصالح.	٧٧
المطلب السابع: إثبات الميزان والحساب.	٧٩
المطلب الثامن: الحديث عن الملائكة وبيان بعض مهامهم.	٨٢
المطلب التاسع: القسم على صدق النبي ﷺ وصدق ما جاء به.	٨٥
المطلب العاشر: البراءة من الكفر وأهله.	٨٩
المطلب الحادي عشر: صدق الالتجاء إلى الله ﷻ.	٩٠
المطلب الثاني عشر: الدعوة للتفكر في نعم الله ﷻ.	٩٣
المبحث الثاني: الإصلاح والتغيير الدعوي.	٩٦
المطلب الأول: الهداية بيد الله تعالى وحده.	٩٩
المطلب الثاني: الحث على الصبر والتضحية والجد والاجتهاد في سبيل الدعوة.	١٠١
المطلب الثالث: عدم الالتفات إلى المغرضين.	١٠٣
المطلب الرابع: النهي عن الإعراض عن الضعفاء.	١٠٦
المطلب الخامس: تسلية الدعاة.	١٠٧
المطلب السادس: بيان مصير من لم ينتفع بدعوة الأنبياء.	١١٠
المطلب السابع: الوعيد لمن صدَّ عن سبيل الله ﷻ.	١١٢
المطلب الثامن: بيان شرف الجهاد من أجل نصرة الدعوة.	١١٥
المبحث الثالث: الإصلاح والتغيير التربوي والأخلاقي.	١١٨
المطلب الأول: بيان حقيقة الإنسان وصفاته.	١٢٠
المطلب الثاني: الحث على تزكية النفس وعدم إهمالها.	١٢٤
المطلب الثالث: الدعوة إلى العلم.	١٢٦
المطلب الرابع: استخدام أسلوب الترغيب والترهيب.	١٢٩
المطلب الخامس: الجزاء من جنس العمل.	١٣١
المطلب السادس: العبرة بفناء الأمم السابقة.	١٣٤
المبحث الرابع: الإصلاح والتغيير الاجتماعي.	١٣٨

المطلب الأول: الحث على الرفق باليتامى والمساكين.	١٤١
المطلب الثاني: دور الأمن في الإصلاح الاجتماعي.	١٤٤
المطلب الثالث: التكافل الاجتماعي.	١٤٧
المبحث الخامس: الإصلاح والتغيير التشريعي.	١٤٩
المطلب الأول: الإصلاح في جانب العبادات.	١٥٠
المطلب الثاني: الإصلاح في جانب المعاملات.	١٥٢
الخاتمة	١٥٥
أولاً: أهم النتائج	١٥٥
ثانياً أهم التوصيات.	١٥٦
الفهارس	١٥٧
فهرس الآيات القرآنية	١٥٨
فهرس الأحاديث النبوية.	١٧٤
فهرس الأعلام المترجم لهم	١٧٦
فهرس المصادر والمراجع	١٧٧
فهرس الموضوعات.	١٨٦
ملخص الرسالة	١٨٩
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية	A

ملخص البحث باللغة العربية

تم بحمد الله وتوفيقه إتمام هذه الرسالة، وهي بعنوان: **منهجيات الإصلاح والتغيير في جزء عمَّ** " دراسة موضوعية "

تتناول الدراسة استقراء ما في جزء عمَّ من مهجيات إصلاح وتغيير من أجل الارتقاء بالأمة من خلال كتاب الله وسنة النبي ﷺ إلى ما يرضي ربَّها.

وقد سلك الباحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي في هذا البحث، حسب منهجية التفسير الموضوعي للقرآن الكقشريم، حيث تناول في التمهيد التعريفات اللغوية والاصطلاحية اللازمة للبحث، ثمَّ قسم البحث إلى فصلين:

الفصل الأول: تناول فيه الباحث دراسة تعريفية لسور جزء عمَّ؛ حيث قام ببيان أسماء السور، وعدد آياتها، وترتيبها، وفضلها، والجو الذي نزلت فيه، وكذلك تناول المناسبات بين سور الجزء، مبيناً المحور الرئيس للجزء، وعلاقة بقية السور بالمحور الرئيس، والمناسبات بين سور الجزء.

الفصل الثاني: تناول الباحث فيه منهجيات الإصلاح والتغيير التي اشتمل عليها الجزء في شتى مناحي الحياة، من إصلاح عقائدي، ودعوي، وتربوي أخلاقي، واجتماعي، وتشريعي.

وفي نهاية البحث ذكر الباحث أهم النتائج التي توصل إليها، وأهم التوصيات التي يوصي بها، ثمَّ ذكر مجموعة فهارس تسهل الوصول للمعلومة بأقل جهد ممكن.

Abstract

Thank for Allah After finishing this study which is entitled "**Methodologies of Reform and Change in the light of Juz'o A'amma (objective study).**

The study discuss the extrapolation of Methodologies of reform and change In Juz'o A'amma , to improve the nation through the Quran and the Sunnah of Prophet Mohammed to the satisfaction of Allah.

The researcher followed inductive, deduction approach in this research, according to a systematic objective interpretation of the Quran. The research discuss in the introduction the necessary linguistic and idiomatic definition, and then divided the research into two chapter:

Chapter one: the researcher discusses an introductory study of Juz'o A'amma fences, and he explains fences name, the number of verses, its arranged, and its virtues, and the cause in which it was revealed, and the researcher discuss the occasions between all fences, indication the primary part of Juz'o A'amma, and the relationship of other fences with primary part.

Chapter two: the researcher discusses the methodologies of reform and change that included in the Juz'o A'amma which related in various aspects of life, as ideological, lawsuit, educational, moral, social, and legislative reform.

At the end, the researcher concludes the study with most important results, and recommendations, and listed some indexes that facilitate access to information in easy way.